الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

- جامعة منتوري قسنطينـــــة
- كليـــــة العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية
- قسم التاريخ والآثار
- رقم التسجيل :123/Mag/2006
- الرقم التسلسلي : 007/His/2006

العنـــــــوان

# الشيـــخ محمـــد خير الديــــن
# وجـــهوده الإصـــلاحية فـــي الجــــزائر
# 1902 ــ 1993 م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر


- إعــــداد الطالب

أسعد لهلالي

- تحت إشـــــراف الأستاذ الدكتور

عبد الكريم بوصفصاف


تاريخ المناقشة:..../..../2006

- أعضاء لجنة المناقشة -

| | اللقب و الاسم | الرتبة | الصفة | الجامعة الأصلية |
|---|---|---|---|---|
| 1 | أ.الدكتــور عبد الرحيم سكفالــي | أ. التعليــم العالــي | رئيسا | جامعة منتوري -قسنطينة- |
| 2 | أ.الدكتــور عبد الكريم بوصفصاف | أ. التعليــم العالــي | مشرفا ومقررا | جامعة منتوري -قسنطينة- |
| 3 | أ.الدكتــور إسماعيــل زروخــي | أ. التعليــم العالــي | عضــــوا | جامعة منتوري -قسنطينة- |
| 4 | أ.الدكتــور أحمــــد صـــاري | أ. التعليــم العالــي | عضــــوا | جامعة منتوري الأمير عبد القادر -قسنطينة- |
| 5 | الدكتــور محمــد العيد تاورتــة | أ.محــاضـــــر | عضــــوا | جامعة منتوري -قسنطينة- |

**السنة الجامعية:1426ـ1427ه / 2005ـ2006 م.**

## *الإهداء*

**إلى والدي الكريمين .**

**إلى رموز كرامتنا من شهداء و مجاهدين في أرض جزائر مليون و نصف المليون شهيد ،الذين ضحّوا بأنفسهم من أجل أن نعيش أحرارا .**

**إلى كل رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .**

**وإلى كل المخلصين من أبناء وطني الغالي من أجل جزائر أفضل.**

**إلى هؤلاء أهدي هذا الإنجاز .**

**لهلالي أسعد**

## *شكـــــر وتقديـــــــر*

يسعدني ويسرني عند نهاية هذا البحث أن أوجّه شكري وتقديري الخالصين لأستاذي الدكتور عبد الكريم بوصفصاف الذي أشرف علي بتوجيهاته السديدة وآراءه الوجيهة، و تشجيعاته المستمرة ،وقد لمست فيه أخلاق العلماء،وصدق الرجال المخلصين ،وذلك ما دفعني إلى العمل دون توقف في إنجاز هذا البحث ،فله منيّ كل العرفان و الامتنان والشكر.

كما أتوجه بخالص الشكر و التقدير للدكتور علاوة عمارة على ما أسداه لي من نصائح و توجيهات قيّمة كانت لي عونا وسندا ،فجزاه الله عنّي كل الجزاء .

ولا يفوتني أن أشكر إخوتي الذين إجتهدوا في مساعدتي :حفيظة ،سلوى ، سمراء، فارس.

كما أشكر صاحب مكتبة بيروت (بجنان الزيتون، قسنطينة) السيد: خنفري عبد الحليم الذي قام بكتابة وإخراج هذا العمل العلمي على هذه الصورة.

كما أشكر أبناء الشيخ محمد خير الدين خاصة الحاج فيصل والطبيب عقبة.

وأشكر أيضا عمال وعاملات دور الأرشيف والمكتبات التي تردّدت عليها أثناء فترة البحث وأخص بالذكر :أرشيف ولاية قسنطينة ،مكتبة الاعلام و الثقافة بقسنطينة ،مكتبة جامعة منتوري بقسنطينة،مكتبة جامعة الأمير عبد القادر العلوم للاسلامية بقسنطينة ،مكتبة كلية العلوم الانسانية والاجتماعية بجامعة قسنطينة ،المكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة،المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية وثورة أوّل نوفمبر 1954 م، المكتبة المركزية بجامعة فرحات عباس بسطيف،مكتبة دار الثقافة بسطيف ،ومكتبة متحف المجاهد ببسكرة.

ل . أسعد

| فهـــــرس المـــــوضـــوعـــــــات | |
|---|---|
| المـــواضيــــــع | الصفحــــة |
|  |

**مقــدمـــة:**

تعالج هذه الدراسة موضوعا مهما من موضوعات التراجم في تاريخ الجزائر المعاصرة لكونه يتناول بالبحث و التّنقيب جهود أحد الأقطاب البارزين في مسار الحركة الإصلاحية الجزائريّة ألا وهي شخصية الشّيخ محمد خير الدين .

ومن الحقائق التي يقف عندها جلّ المؤرخين ؛ هي أن دراسة التراجم أو سير القيّادات و الشّخصيات في أي بلد من البلدان يعد عملا ضروريا، فقد يرى فيه البعض عملا وطنيا خالصا لأنّ إستجلاء مسيرة الزعماء لا يتوقف عند حد الدراسة فحسب فقد يصل إلى حد الإفتخار و الإعتزاز بهؤلاء وجعلهم قدوة تقتدي بها باقي فئات المجتمع .

إنّ دراسة مثل هذه الشخصية في جزائر المليون ونصف المليون شهيد قد لا تظهر في نظر البعض ذات أهمية بالغة في تراجم القيادات الهائلة التي عرفتها البلاد خلال القرن العشرين ،ولكن بالوقوف عند جلائل أعمالها الوطنية المتعددة فإن الشخصية محمد خير الدين تأتي في مقدمة الروّاد الذين حملوا رسالة العلم والتربية و الدفاع عن الهوية الوطنية.

ولعل إختياري لشخصية الشيخ محمد خير الدين موضوعا لمذكرة الماجستير لدليل واضح على مدى أهمية وفاعلية هذه الشخصية في الحركة الإصلاحية و النهضة الوطنية الجزائرية منذ نشأتها حتى إسترجاع الاستقلال الوطني.

لقد نشأ مترجمنا في ظروف إستعمارية قاسية كانت تعيشها الجزائر قبله بإثنتين وسبعين سنة وبعد ميلاده بستين سنة ولاحظ عن كثب معاناة مواطنيه من القهر، و الجهل ،و المرض ،و الإقصاء، و التهميش على غرار مالاحظه رفقاؤه الآخرون أمثال الإمام ابن باديس والشيخ البشير الإبراهيمي والشيخ مبارك الميلي ،وبقية قادة و مناضلي الحركة الوطنية الآخرين .

في هذه الأوضاع الصعبة وفي إطار جمعية العلماء المسلمين حاول مترجمنا أن يعزّز مسيرة النضال الوطني وأن يضم جهده إلى جهود أبناء وطنه الآخرين لبعث كيان الأمّة من جديد ووضعه على أرضية الصراع مع الإحتلال الأجنبي ،وكانت بدايته الأولى

في حقل التّربية والتعليم باعتبارأنّ هذا العنصر الحيوي في المجتمع هو من أولويات الحياة بالنسبة للشعب الجزائري إلاأنّ المبدأ الذي عمل به المعمرون في البلاد هو التجهيل،والتفقير، و الاقصاء ،فكانت مقاومته نابعة من معاناة الأمة ونكبتها وهي تئن تحت وطأة الاستيطان الفرنسي.

وتتمثل أهمية هذا الموضوع في إبراز علم من أعلام الإصلاح في جمعية العلماء المسلمين بالجزائر،والحق أنّ الشيخ خير الدين قائد من قادة التربية و التعليم إلى جانب الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس و الشيخ البشير الابراهيمي وغيرهما من الذين ساهموا بقسط وافر في الحركة الوطنية الجزائرية عموما وكانوا من أعظم ما أنجبت الجزائر.

ويهدف هذا البحث إلى دراسة و إبراز حياة هذا الرجل ودوره الفعّال في الحركة الإصلاحية خاصة والحركة الوطنية بشكل عام في مواجهة الاستعمار الاستيطاني ،وهي المهمة التي حملتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على عاتقها،كما يهدف إلى إبراز دوره في الثورة التحريرية المظفرة ، ومشاركته في الحياة السياسية الجزائرية بعد الاستقلال .

**ـــ أسباب إختيار الموضوع:**

تعود أسباب إختياري لهذا الموضوع بالذات إلى العوامل الآتية:

**أولا-** غياب دراسة خاصة بالشيخ خير الدين كقائد من قادة الحركة الإصلاحية ،دراسة علمية و أكاديمية من قبل الباحثين رغم مساهماته الواضحة وجهوده البارزة في الحركة الوطنية و الثورة التحريرية الجزائرية ،فإذا كانت الشخصيات الوطنية الأخرى أمثال"الشيخ عبد الحميد بن باديس ،الشيخ البشير الإبراهيمي ،الشيخ العربي التبسي،الشيخ مبارك الميلي،الشيخ الطيب العقبي ،مصالي الحاج،فرحات عباس وغيرهم قد حازوا إهتمام الباحثين فإنّ شخصية الشيخ خير الدين ظلّت بعيدة عن تناول أقلام الباحثين الجامعيين.

**ثانيا**-رغبتي في البحث في مواضيع التراجم خاصة و أنّني في مرحلة التدرج كنت دائما أميل إلى مثل هذه الدراسة و البحث وفق المناهج الحديثة في دراسة التاريخ .

**ثالثا-** رغبتي في تسليط الضوء على الأساليب التي إستعملها لتجسيد جهوده الإصلاحية في وجه المحتلّين و الدّفاع عن الدّين الإسلامي و اللّغة العربية ومحاربة الطّرق الصوفية المنحرفة ،وكذلك الكشف عن دور ه الحقيقي في الثورة التحريرية المظفرة ثم معرفة خلفية معارضته للنظام السيّاسي بعد الإستقلال.

**رابعا-** التشجيع الكبير الذي وجدته لدى المشرف الأستاذ الدكتور عبد الكريم بوصفصاف في الخوض في مثل هذه المواضيع،كما أن إحتكاكي ببعض زملائي الذين تناولوا في بحوثهم شخصيات إصلاحية زادتني شغفا لإبراز سيرة وحقيقة هذا المصلح.

**- إشكالية البحث :**

تتمثل إشكالية هذا البحث في دراسة علم من أعلام الإصلاح والثورة بهدف إبراز الجهود الوطنية والإصلاحية التي سجّلها الشيخ محمد خير الدين في سجلّ الجزائر الحديثة،ومترجمنا رجل مخضرم عاش مرحلتي الاستعمار و الاستقلال ،وأفرغ جل طاقته في الأولى حين كانت الجزائر ترزح تحت نير الاستعمار البغيض، وفي سياق هذه الإشكالية يمكن طرح التساؤلات الآتية : هل كانت تلك الجهود في الجانب الإصلاحي الديني و التربوي أم شملت أيضا الإصلاح الوطني السياسي ؟،وإلى أيّ مدى حققت تلك الجهود الأهداف التي سعى من أجلها ،وهي في الحقيقة نابعة من مبادئ وأهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي ركزت عملها في :تثبيت وترسيخ تعاليم الدين الإسلامي الصحيح، ومحاربة الخرافات والبدع، والأباطيل، والدفاع عن اللغة العربية،وهذه الجهود كان هدفها دعوة الجزائريين إلى اليقظة ومحاربة المستعمر الأجنبي، وكذلك محاربة دعاة الجمود و التحجّر،وبعد تقوية الأساس في ظل الحركة الوطنية انضم مترجمنا إلى مسيرة الكفاح المسلح الذي اختارته شريحة أخرى من أبناء الشعب الجزائري،فهل انضم الشيخ خير الدين إلى هذه الثورة عن دراية واقتناع أم أنه انضم إليها مكرها ؟وما مدى فعاليته في الثورة؟ وما هي حقيقة معارضته للنظام السياسي في الجزائر بعد استرجاع الاستقلال؟ وهل استمر ذلك إلى غاية وفاته أم أنه اقتصر على فترة معينة؟وما مدى تأثير ذلك الموقف على نشاطه الإصلاحي؟.

و هناك أسئلة فرعية تفرض نفسها في هذه الإشكالية وهي:

- هل أثّرت الحياة التعليمية في تكوين شخصية الشيخ خير الدين كرجل مصلح؟.
- ما هي مكانته في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؟.
- إلى أيّ مدى ساهمت وظائفه ومسؤولياته في أن يكون من الشخصيات الفاعلة في مختلف الأحداث السياسية التي عرفتها الحركة الوطنية؟.
- كيف كان يرى الإصلاح ؟ .
- هل كانت كتاباته الصحفية لها علاقة بالإصلاح؟و ما هي انعكاساتها؟.

سأحاول الإجابة عن كل عناصر هذه الإشكالية من خلال توزيع المادة العلمية بمضامينها و منهجها على فصول المذكرة و مباحثها.

**ــ حــدود الدراســة:**

إنّ فترة البحث التي تناولتها بالدراسة تمتد بين 1902م-1993م ،وهي الفترة المحددة بميلاد الشيخ محمد خير الدين ووفاته ،كما أنّ هذه الفترة قد جمعت بين مرحلتين مرحلة الاستعمار الفرنسي ومرحلة الاستقلال الوطني وهما مرحلتان مختلفتان ولكنّهما غنيّتان بالأحداث والوقائع التاريخية والظواهر الثقافية والاجتماعية و السياسية خاصة المرحلة الاستعمارية التي كان للشيخ محمد خير الدين فيها دور كبير على غرار زعماء الحركة الوطنية الآخرين ،حيث شهدت المرحلة أوضاعا مزرية كرستها بشاعة الاستعمار و وحشيته، وقد كان لمترجمنا دور بارز وجهود إصلاحية وطنية معتبرة خاصة بعد ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مع روادها الكبار، حيث كانت الجمعية القلعة الحصينة المدافعة عن مقومات الشخصية الوطنية كما أن الشيخ خير الدين شارك في الثورة التحريرية التي توجت بهزيمة المحتلين وإسترجاع السيادة الوطنية ،وقد واصل مترجمنا نشاطه الإصلاحي في السنوات الأولى للاستقلال إلا أنّ معارضته للنظام السياسي كان لها آثار سلبية على مسيرته الإصلاحية أدت إلى إنعزاله، والاهتمام بحياته الخاصة إلى أن توفي عام 1993م.

**ـــ منـــاهـــج البحـــث:**

اتبعت في دراسة هذه الرسالة في مختلف فصولها ومباحثها منهجين علميين معروفين في مجال الدراسات التاريخية وهما:

**أوّلا- المنهج التاريخي الوصفي:** وقد إستخدمته في سرد الأحداث التاريخية ووصفها وترتيبها حسب التسلسل الزمني في تتبع حياة الرجل وأعماله منذ البداية حتى النهاية.

**ثانيا-المنهج التحليلي النقدي:** وقد اعتمدته في تحليل ونقد النصوص المعتمدة في البحث من مصادره الأساسية أو من المراجع التي كتبت عن الشيخ خير الدين بهدف ربطها ببعضها البعض، و الوصول إلى إستنتاجات لأحكام جزئية أو عامة تلقي الأضواء على الأحداث التي وقعت، و إدراك السلبيات منها بعد دراستها و تحليلها و نقدها و إبراز خطورتها على أمتنا الجزائرية ،علاوة على هذا فان النتائج ستزيد من قيمة تراث الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر و ستعيننا على فهم حاضرنا ورسم مستقبلنا.

**ـــ صعوبات البحث :**

لا شك أنّ إنجاز بحث في موضوع جديد مادته متناثرة يشكل عقبة كأداء أمام الباحث لأن إنجاز البحوث العلمية الأكاديمية ليست بالأمر السهل كما يظنّه البعض من الذين لم يلجوا إلى هذا الميدان ،ومن هنا فقد واجهتني صعوبات شتى أهمها :

**أوّلا-** الجهد الكبير الذي تطلبه البحث للحصول على المصادر و الوثائق خاصة الدوريات و الصحف التي كان الشيخ خير الدين ينشر آراءه ومواقفه فيها، وتكمن الصعوبة في كون بعضها غير موجودة أو غير مرتبة في دور الأرشيف والمكتبات الخاصة وإن وجدت في بعض المؤسسات كالأرشيف الولائي بقسنطينة ،فإن العطب المستمر لجهاز الميكروفيلم قد منعنا الاستفادة منها ،كما أنّ بعض الصفحات ممزقة وأجزاء منها غير موجودة مما صعب قراءة النّصوص و استكمال معانيها،يضاف إلى ذلك تداخل الكلمات نظرا لهشاشة الأوراق و قدمها ،ويظهر ذلك في التقارير العسكرية الفرنسية .

**ثانيا**-صعوبة جمع الشهادات الشفهية فمعظم المعاصرين للشيخ خير الدين من زملاءه وتلاميذه إلتحقوا بالرفيق الأعلى ،دون أن يتركوا آثارا مدوّنة باستثناء القلة النادرة منهم :الشيخ أحمد حماني ،الشيخ محمد الطّاهر فضلاء،الشيخ محمد الصّالح بن عتيق رحمهم الله، أما الأحياء الذين إتجهنا إليهم من التلاميذ فهناك شح كبير في معلوماتهم للاستفادة منها،و الباقون كانون صغارا في ذلك الوقت أي الفترة الاستعمارية.

**ثالثا**-قصر المدة الزمنية المخصّصة لإعداد هذه المذكرة وهي سنة واحدة فقط لأنّ البحث العلمي يتطلّب وقتا أكثر للإحاطة بالمادة الخبرية ونضوج الفكرة العلمية التي يتطلبها البحث ،خاصة العمل التاريخي الذي يعتمد على الوثائق و المصادر و المراجع المتنوعة،إضافة إلى صعوبة جمعها، و نقصها الكبير فيما يتعلق بالفصل الثاني الذي يتطرق لحياة الشيخ وآثاره .

ومهما يكن من شأن الصعوبات التي ذكرتها فهي في الحقيقة تندرج ضمن وسائل البحث وأدواته،ومن ثم فقد إستطعت التغلب عليها بالمواظبة على العمل وقراءة الوثائق قراءة هادئة ومتمعّنة ،وتنقلت باستمرار عبر دور الأرشيف الوطنية و المكتبات العامة و الخاصة دون كلل أو ملل حتى أنجزت هذا البحث ،فإن وفقت فهذا بعون الله وفضله وإن أخفقت فحسبي أنّني بذلت جهدا معتبرا مكّنني من كشف حقائق هامة تتعلق بمسيرة رائد من رواد الإصلاح والنهضة الوطنية في كفاحه المستميت وجهوده المعتبرة إلى جانب أبناء وطنه ضد الاستعمار و التخلّف و الجهل ،وآمل أن تضيف هذه المذكرة لبنة جديدة إلى المكتبة العربية في الجزائر.

**ــ الدراسات السابقة عن الشيخ محمد خير الدين:**

ذكرت في أسباب إختيار الموضوع أنّ الشيخ محمد خير الدين لم يفرد بأيّ بحث أكاديمي عن حياته وجهوده الإصلاحية ، ولذلك وحسب إطلاعي عمّا كتب عنه هو موجود في بعض صفحات مؤلفات لرجال من جمعية العلماء الذين كتبوا عن أنفسهم وعن قضايا تخص الجمعية كما كتبت بعض المقالات المختصرة عن جوانب معينة من حياته نشرت في الصحف و المجلات في مناسبات ذكرى وفاته لذلك رأيت أن أتعامل مع

المصادر الأساسية للرجل وأركّز على أهمّ المسائل التي تجيب على إشكالية هذا البحث لإيفاء الموضوع حقّه ما أمكن .

ــ وصف أهم مصادر البحث ومراجعه.

لقد إعتمدت في إنجاز هذا البحث على مجموعة من المصادر و المراجع تختلف أهميتها باختلاف قربها أو بعدها عن زمن الأحداث وسأقتصر على ذكر أهمها فقط:

**أوّلا-مصادر البحث** :تتميز هذه المصادر بالتّنوع و الثّراء في موضوع الدراسة من بينها :

**أ ــ الجرائد والمجلات القديمة**: وتعتبر من أهم المصادر في الوقت الحاضر وذلك نظرا إلى أن جرائد تلك الفترة كانت جرائد رأي ،ومقال ،ومبدأ ،ونضال، فهناك مجموعة من مقالات الشيخ خير الدين أغلبها منشورة في جريدة البصائر السلسلة الأولى (1935-1939م) والسلسلة الثانية (1947-1956) وأيضا في مجلة شهاب التي كانت تصدر كجريدة من 1925م-1929م وبعد ذلك إلى غاية 1939م كمجلة شهرية،استقيت منها المعلومات الخاصة بالمرحلة الممتدة من 1931م تاريخ تأسيس جمعية العلماء إلى سنة 1939م تاريخ اندلاع الحرب العالمية الثانية و توقّف صحافة الجمعية،وهي غنية بالأحداث التي شارك فيها مترجمنا بالكتابات أو بالنشاط الذي يخص الجمعية باعتبار أن الشيخ خير الدين كان مراقبا عاما لها، كما أنّ هناك جرائد أخرى وجدت فيها معلومات تتصل بمترجمنا كتخرّجه من الزيتونة والتهنئة بذلك،وهناك مقالات كانت نقدا مباشرا له نظرا لتهجماته المتكررة على أصحاب الزوايا والطّرقيين، ووجدنا هذه المعلومات في مختلف أعداد جريدة "النجاح" إضافة إلى جريدة لا تقل أهمية عن جرائد تلك الفترة وهي جريدة "المنار" التي أفردت أعدادا كثيرة لإنشاء الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها وكذا نشاطاتها لأنّ مترجمنا كان من مؤسّسيها.

**ب - الكتــب:**

- "مذكرات المترجم له الشيخ محمد خير الدين" وهي في جزأين تحدث فيها مترجمنا عن كل ما يتعلق بحياته وأعماله منذ ولادته إلى غاية الاستقلال وقد استفدت كثيرا منه باعتباره من المصادر الأساسية، إلاّ أنّ هناك عدّة نقاط كان عليّ أن أتحقّق منها ،كما تمّ إضافة نقاط أخرى لم يذكرها مترجمنا، ربما يعود ذلك إلى تقدّمه في السن لأنّه دون مذكراته وهو يفوق السبعين سنة من عمره.

-كتاب: "حياة كفاح "، لمؤلفه أحمد توفيق المدني وهو من المعاصرين للشيخ خير الدين وقد استفدت منه خاصة فيما يتعلق بالثورة التحريرية والأحداث التي وقعت بالمغرب لأنّ مترجمنا كان هناك في ذلك الوقت كممثل لجبهة التحرير الوطني .

-كتاب: "الجزائر"، لمؤلفه أحمد توفيق المدني وهو من المعاصرين لمترجمنا كما ذكرت ،والذي وظفته لدراسة الأوضاع الاقتصادية والثقافية والسياسية والاجتماعية للجزائر في النصف الأول من القرن العشرين.

-كتاب: "ليل الاستعمار"، لمؤلفه فرحات عباس وهو عبارة عن مذكرات كتب عن أهم المراحل التي مر بها نضاله ،وقد أفادني كثيرا فيما يخص بيان الشعب الجزائري الذي شارك فيه مترجمنا و أيضا جبهة الدّفاع عن الحرية واحترامها.

- كتاب: "آثار البشير الإبراهيمي" ،ج2(1940-1952م)، للبشير الإبراهيمي، جمع وتحقيق الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي وقد استفدت منه فيما يخص دور الشيخ في الجمعية بعد الحرب العالمية الثانية خاصة إنشاء معهد ابن باديس.

-كتاب: "صراع بين البدعة والسنة"، ج2، لمؤلفه أحمد حماني، وهو من المعاصرين أيضا للشيخ خير الدين و الذي أفرد لمترجمنا عدة صفحات تحدّث فيها عن أهم محطّات حياته ،التي خدمتني في فصول المذكرة.

-كتاب: "الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر"، ج3، لمؤلفه عبد الرحمن بن العقون، وهو من الذين عاصروا مترجمنا وقد استفدت منه فيما يخص الثورة

التحريرية الكبرى خاصة المراحل الأولى لانطلاقها ،حيث ذكر بعض المعلومات حول الشيخ خير الدين.

**ج-المصادر الشفهية**: بالإضافة إلى ما سبق من المصادر المكتوبة يمكن أن نشير إلى بعض المصادر الشفوية التي استفدت منها في هذا البحث وهي كما يأتي:

-مقابلة شخصية مع الشيخ عبد الرحمن شيبان: وهو أحد تلامذة الجمعية ورئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حاليا، ولكونه كان إلى جانب مترجمنا بعد إنشاء معهد ابن باديس ،وكذلك في مرحلة الاستقلال.

-مقابلة مع الشيخ محمد الصالح رمضان :وهو كذلك من تلامذة الجمعية، وقد استفدت منه فيما يخص نشاطات الشيخ في الجمعية ،ومكانته ضمن زملائه العلماء .

-مقابلة مع فيصل خير الدين: أحد أبناء الشيخ خير الدين وهو الذي احتفظ بوثائق والده ويمثله في مختلف اللقاءات التي تجري في بسكرة حول شخصية والده، وقد أعطاني بعض المعلومات و الوثائق والصور .

-مقابلة مع الشيخ عبد القادر عثماني:وهو شيخ زاوية سيدي علي بن عمر بطولقة ولاية بسكرة حاليا،وكان موظفا بديوان وزارة التربية والتعليم المغربية بين1957-1962م ،وقد أفادني فيما يخص نشاطات الشيخ خير الدين بالمغرب أيام الثورة التحريرية المظفرة.

**ثانيا-المراجع**: وتعد المراجع التي سأتعرض لها بالوصف في هذه المقدمة من أهم ما كتب عن شخصية الشيخ محمد خير الدين وزملائه الآخرين وهي:

كتاب: "الإصلاح الإسلامي في الجزائر من 1925الى 1940م. Le réformisme musulman en Algérie de 1925à1940 " لمؤلفه علي مراد وهي من أولى الدراسات بعد الاستقلال التي سلط فيها الضوء على شخصيات جمعية العلماء البارزة وقد استفدت منه فيما يخص نشاط الشيخ خير الدين في إطار الجمعية ودوره في المؤتمر الإسلامي.

-كتاب الحركة الوطنية لمؤلفه أبي القاسم سعد الله بمختلف أجزائه ،و قد وظفته في معرفة اتجاهات الحركة الوطنية وخاصة المؤتمر الإسلامي وبيان الشعب الجزائري ودور الشيخ خير الدين في تلك الأحداث.

كتاب: "الجزائريون المسلمون وفرنسا1871-1919م (Les Algériens musulmans et la France 1871-1919) " لمؤلفه شارل روبير أجيرون، ودرس فيه السياسة العامة للاحتلال الفرنسي للجزائر من 1871الى 1919 وأثرها على الجزائر بين المسلمين من جميع الجوانب السياسية و الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وقد استفيت منه التحولات التي كانت سائدة في بداية القرن العشرين وإنعكاسها على الجزائريين .

-كتاب: "تاريخ الجزائر المعاصرة"، لمؤلفه شارل روبير آجيرون ترجمة عيسى عصفور، وقد إستفدت منه فيما يخص التعريف بالتحولات التي كانت سائدة في بداية القرن العشرين.

-كتاب جمعية العلماء المسلمين ودورها في تطور الحركة الوطنية، لمؤلفه الدكتور عبد الكريم بوصفصاف الذي وظفته فيما يخص نشاطات مترجمنا في المؤتمر الإسلامي .

-كتاب: "التعليم القومي والشخصية الجزائرية 1931م ــ1956م" لمؤلفه رابح تركي،وهي دراسة تربوية مقارنة لجمعية العلماء ومؤسساتها والجمعيات الخيرية ومدارسها الإصلاحية عموما، وقد أفادني في معالجة الأوضاع الثقافية للجزائر في النصف الأوّل للقرن العشرين.

كتاب: "الحركة الوطنية الجزائرية من 1912-1954م. (le mouvement national Algérien 1912.1954)، لمؤلفيه كلود كولو وهنري روبير، والذي استقيت منه ما يتعلق بالجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية و إحترامها حيث كان مترجمنا من بين مؤسسيها.

-كتاب: "الثورة الجزائرية في عامها الأول"، لمؤلفه محمد العربي الزبيري، ويتناول المواقف و الردود المختلفة من إندلاع الثورة، وقد أفادني في تناول موقف جمعية العلماء المسلمين من الثورة حيث خصص عدة صفحات لقضية المفاوضات التي شارك فيها مترجمنا.

أمّا فيما يخصّ الدوريات فهناك عدة مجلات معروفة رجعت إليها تناولت قضايا ومنها استخرجت عدة معلومات أفادتني في البحث ومنها، مجلة الثقافة، مجلة الأصالة، المجلة التاريخية المغربية.

**ـ تنبيهات** :

**أولا.** لقد استعملت عبارة(Op.cit) بمعنى المرجع السابق، وعبارة(IBID) بمعنى المرجع نفسه في حالة الاعتماد على المصادر والمراجع الأجنبية.

**ثانيا.** في حالة الاعتماد على أكثر من كتاب لمؤلف واحد نعيد دائما كتابة اسم المؤلف وعنوان الكتاب.

**ثالثا.** اختصرت عبارة دون تاريخ إلى د-ت.

**رابعا.**استعملت بعض الرموز بالعربية وهي:

-إ.د.ب.ج=الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري.

-ح.إ.ح.د=حركة الانتصار للحريات الديمقراطية

**ـ خطــة البحــث:**

تتكون خطة الرسالة من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة ، وملاحق تتصل كلها اتصالا وثيقا بالموضوع ، وفهارس الأعلام والأماكن والموضوعات .

**الفصل الأول** : عصر الشيخ محمد خير الدين، ويتناول التحوّلات العامة في القرن العشرين خاصة النصف الأول منه ، وهو فصل تمهيدي ، لمعرفة بيئة الرجل السياسية ،والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، ولا يخفى دور البيئة والمحيط في التأثير على السلوك والتفكير الثقافي والسياسي .

وقد قسمت هذا الفصل إلى أربعة مباحث و هي :

المبحث الأول : التحوّلات السياسية .

المبحث الثاني : التحوّلات الاقتصادية .

المبحث الثالث : التحوّلات الاجتماعية .

المبحث الرابع : التحوّلات الثقافية .

**أما الفصل الثاني**: فقد عالجت فيه حياة الشيخ خير الدين وآثاره بداية ميلاده ونشأته و الوسط الذي ترعرع فيه ودور الأسرة في تكوينه ثم انتقلت إلى تعليمه ورحلاته مبرزا البدايات الأولى لتعلّم مترجمنا وارتحاله نحو قسنطينة ثم تونس بحثا عن المزيد من العلم والمعرفة حيث تحصل على شهادة التطويع العالمية ،وبعدها عرجت على الوظائف و المسؤوليات التي مارسها مترجمنا في إطار جمعية العلماء و في الثورة التحريرية المظفرة وبعد الاستقلال، كما تطرّقت إلى وفاته وآثاره .

وهذا الفصل يحتوي على :

المبحث الأول : مولده ونشأته .

المبحث الثاني : تعليمه ورحلاته .

المبحث الثالث : وظائفه ومسؤولياته .

المبحث الرابع : وفاته وآثاره .

**أما الفصل الثالث:** فقد درست فيه جهود الرجل في مجال التربية والتعليم من خلال معرفة وشرح مكانة الشيخ خير الدين في جمعية العلماء ،وتحليل نظرته للإصلاح ،وكيف تجسدت في الواقع الجزائري ،ثم تناولت دوره التربوي و الأعمال التي قام بها من خلال بناء و تأسيس المدارس وتشييد المساجد مع إبراز تأثير هذا النشاط على حركية وفعالية الجمعية في الحفاظ على المقومات الشخصية للأمة الجزائرية ،ثم قمت بعد ذلك بشرح نشاطه الصحفي واستعراض المقالات التي كان يكتبها، وتحليلها مبيّنا محتواها وأهدافها وانعكاساتها.

ومباحث هذا الفصل هي :

المبحث الأول : مكانته في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

المبحث الثاني : فكره الإصلاحي .

المبحث الثالث : جهوده في مجال التربية والتعليم .

المبحث الرابع : نشاطه الصحفي .

**أما الفصل الرابع:** و الأخير فقد خصصته لدراسة :مواقف الشيخ خير الدين السياسية من خلال معالجة موقفه من المؤتمر الإسلامي ومدى فعالية مشاركته ذلك أنّه كان أهمّ و أكبر تجمّع سيّاسي للحركة الوطنية في العهد الاستعماري .

هذا وقد تطرقت كذلك إلى مشاركته في بيان الشعب الجزائري، الذي جاء في ظروف ميّزها احتدام الحرب العالمية الثانية بين الأطراف المتحاربة، وتطلع الجزائريين للاستقلال مع الشعارات التي رفعها الحلفاء و الداعية إلى الحرية .

وبعد الحرب شارك مترجمنا في تجمع آخر وهو الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها ،حيث كان من مؤسسيها ،وأكدت الجبهة مرة أخرى التفاف الشعب الجزائري ورفضه للاستعمار و الاستغلال ،ثم حلّلت وبيّنت موقف الشيخ خير الدين من الثورة التحريرية الكبرى أثناء إندلاعها، وانضمامه وتعيينه كممثل لجبهة التحرير الوطني بالمغرب إلى غاية الاستقلال ،حيث أدى دورا هاما بالنظر إلى الثقة و السّمعة التي كان يتمتع بها لدى السلطان المغربي محمد الخامس، و التأثير الإيجابي لتلك العلاقة في خدمة

الثورة ، ثم شرحت بعد ذلك موقف مترجمنا من النظام السياسي بعد الاستقلال، وأثر معارضته وانتقاده للنظام في العقدين الأوّلين لاسترجاع السيادة الوطنية على نشاطه الإصلاحي بالنظر إلى الأوضاع المضطربة التي سادت البلاد في السنوات الأولى للاستقلال .

ومباحث هذا الفصل هي :

المبحث الأول : دوره في المؤتمر الإسلامي الجزائري 1936م .

المبحث الثاني: مشاركته في بيان الشعب الجزائري 1943 م .

المبحث الثالث: مشاركته في جبهة الدفاع عن الحرية واحترامها 1951م .

المبحث الرابع :دوره في الثورة التحريرية الكبرى 1954 ــ 1962 م .

المبحث الخامس : موقفه من النظام السياسي بعد الاستقلال.

وينتهي البحث بخاتمة تتضمن النتائج التي تم التوصل إليها بعد دراسة المادة العلمية، وتبويبها ومناقشتها، وتحليلها طبقا للمناهج المعتمدة ، ومراعاة لتوجيهات الأستاذ المشرف .

وقد دعّمت البحث بملاحق، ثم قمت بسرد قائمة المصادر والمراجع المعتمدة في هذه الرسالة ، وفي الأخير عرض لفهرس الأعلام، والأماكن، ثم فهرس للموضوعات.

# الفصـــــل الأول:

## عصر الشيخ محمد خير الدين .

**المبحث الأول:** التحوّلات السياســية.

**المبحث الثاني:** التحوّلات الإقتصادية.

**المبحث الثالث:** التحوّلات الإجتماعية.

**المبحث الرابع:** التحوّلات الثقــافــية.

يتناول هذا الفصل التحوّلات السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية التي كانت تعيشها الجزائر منذ بداية القرن العشرين إلى غاية ما بعد الإستقلال، لكن سيكون التركيز على هذه التحولات أكثر في مرحلة الإستعمار مع إعطاء لمحة عن الأوضاع العامة بعد الإستقلال.

المبحث الأول: التحوّلات السياسية.

ابتليت الجزائر على مدى مائة وإثنين وثلاثين سنة(132 سنة) بالاحتلال الفرنسي، الذي شرّد أهلها واغتصب أرضها و إستباح ثروتها وخيراتها ، وقد ركّز الاستعمار منذ البداية على إحكام السيطرة السياسية و الإدارية على هذه الأرض وعلى شعبها .

لقد بقيت الأوضاع السياسية مستمرة غايتها إستعمارية وقد طبّقت سياسة الإخضاع بإنشاء قانون التبعيّة الأهليّة 1881م ، وهو مجموعة من العقوبات وكان الهدف منه الاحتفاظ بصلاحيات الحكام الإداريين التي منحت للضباط لكي يسيطروا على القبائل التي لم تخضع بعد ، وقد ساعدت سياسة الإخضاع حكام البلديات المختلطة و منحت لهم هذه الإجازة التي جددت عام 1927 مما أدى إلى بقاء الأهالي خاضعين لهذه العقوبات كالاعتقال الإداري و الغرامات الجماعية والمراقبة[(1)] .

لقد ساعد الفرنسيون الكولون للحصول على الحكم الذاتي المالي سنة 1900م، وخلق المحاكم الرّادعة سنة 1902م كما صدر أيضا منشور جونار[(*)](junard) المشؤوم سنة1906 م، الذي كان ضد الحريات المدنية ثم إصدار قانون الخدمة العسكرية الإجبارية للجزائريين سنة 1912 م[(2)]، وحسب أحمد توفيق المدني فالمسلم الجزائري يقوم بشكل إجباري بأعباء الخدمة العسكرية ،و يجبر على الاعتراف بها وفق قانوني 31 جانفي و 3 فيفري 1912 ، كما أن المجلس الصحي هو الذي يقر صلاحيته و يأخذ إجباريا 150 فرنكا ،ويمضي وصل إستلامه لها ، كما أن هذا التجنيد مسّ سكان الجنوب وأصبحوا هم أيضا ملزمين كأهل الشمال وفق قرار 5 مارس 1921م [(3)].

---

[(1)]شارل روبيرأجيرون: **تاريخ الجزائر المعاصرة**، ترجمة عيسى عصفور ، ط1 ، منشورات عويدات، 1983 ، ص ص 104-105.

[(*)]جونار كان عندئذ حاكما عاما للجزائر وقد بعث بمنشور إلى رؤساء العمالات الثلاث في البلاد أمرهم فيه بغلق مقاهي الجزائريين المشتبه فيهم و منع المهرجانات الجزائرية في النوادي المشكوك فيها ، وبخصوص الأمن أن يسحبوا كل رخص حمل السلاح ...،أنظر أبو القاسم سعد الله ، **الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930)**، ج2 ،ط4 ،دا ر الغرب الإسلامي ، بيروت: 1992 ص 106.

[(2)]أبو القاسم سعد الله : المرجع نفسه ص 106 .

[(3)]أحمد توفيق المدني : **كتاب الجزائر** ، ط2 ،نشر دار البليدة ، الجزائر: 1963، ص ص 330-331.

لقد كان لإندلاع الحرب العالمية الأولى دورا هاما في إنطلاق العمل السياسي نتيجة للتغيرات التي حدثت في فرنسا نفسها حيث أن تخوفها من القوة الألمانية جعلها تجند أكبر عدد من الشبان الجزائريين، وحسب شارل روبير آجيرون ( Charles Robert Ageron) فإن وزير الحرب الأول أكد بأنه سيمنح للجنود الجزائريين حقّ المواطنة الفرنسية منذ5 أوت1914م، ولكل الأجانب المجندين في الجيش الفرنسي[1] ،وقد طالب النواب الأهالي عام 1915 بضرورة تقديم إقتراحات لتسهّل للمجندين وقدماء الحرب الحصول على حق المواطنة[2] ،و حسب سعد الله [3] فإن الحركة الوطنية الجزائرية حققت خلال الحرب العالمية الأولى خمسة أهداف رئيسية أولا:إنهاء فكرة إخلاص الجزائريين لفرنسا و فكرة رضاه بالحكم الفرنسي، ثانيا: نقل القضية الوطنية إلى المسرح العالمي ، ثالثا : نشاط فكرة التعاون بين الثوار و الأهالي وبين العمال و الجنود ، رابعا : أرغمت فرنسا على إدخال الإصلاحات التي تضمّنها قانون 1919 م، خامسا: حققت التعاون بين الجزائريين في الداخل والخارج، ويبدو أنّ المشاريع أو الإصلاحات الفرنسية كانت واعدة في وقت كانت فيه فرنسا منشغلة بالحرب العالمية الأولى ،ولكن عندما عاد السلام وتحقق النّصر أصبحت الإصلاحات أكثر بخلا ومخيّبة للآمال[4].

تعتبر إصلاحات عام 1919م من أهم الدوافع التي أدت إلى بروز نشاط الحركة الوطنية ،وظهور عدة اتجاهات وهذه التنازلات الفرنسية مردّها حسب بعض المؤرخين الفرنسيين أمثال أجيرون (Ageron)، وجوليان(Julien) بأنها نتيجة لوعود سياسيين فرنسيين أمثال كليمنصو(klimanseau)، وغيره الذين رغبوا في التعويض على الجزائريين عما تحملوه في الخدمة العسكرية منذ 1912م ،وما أدوه من تضحيات خلال الحرب العالمية الأولى[5]،ويذكر أحد الكتّاب أن تلك الإصلاحات المتواضعة ثار عليها

---

(1) Charles robert ageron **: les algériens musulmans et la France (1871-1919)** ، tome 2، (p .u.f) paris 1968، p.1190 .

(2) ibid : p. 1191 .

(3)أبو القاسم سعد الله:المرجع السابق،ص321.

(4)المرجع نفسه،ص280.

(5) أحمد الخطيب :**جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر** ،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر:1985م،ص35.

رؤساء بلديات الجزائر لم تفي بالوعود فأصيب الشبان الجزائريين بخيبة أمل ،كما أنّ النشاط السياسي تحرك مع حركة الشبان الجزائريين بعد الحرب رغم إنقسامهم في السنوات التالية فمنهم من نادى بالتجنس مع التخلي عن نظام الأحوال الشخصية لذلك فالفريق الأول يعبّر عن المساواة ،أما الثاني فقد تأثّر بإرادة الجماهير الأهلية في الحفاظ على دينهم و شخصيتهم لذلك وجد في الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر من يحمل رايتهم رغم أن برنامجه كان إندماجيا[1].

و الحق أنّ تجربة فترة النهضة و الحرب العالمية الأولى قد ساهمت في نمو الحركة الوطنية الجزائرية ،أصبحت أكثر نضجا و حكمة بعد الحرب ،وصار التركيز على التنظيم السياسي أكثر من العمليات العسكرية[2].

لقد كانت نهاية الحرب العالمية الأولى بالنسبة للأمير خالد بارقة أمل في الجزائر خاصة و أنّه نال شارته كضابط في جبهات القتال ، و ظنّ أنّ الفرصة مناسبة ، وتوجه على رأس وفد إلى باريس وطرق باب مؤتمر فرساي(Versailles) وحاول إقناع المنتصرين إدخال الجزائر في حماية جمعية الأمم لكن مسعاه فشل ، ثم سلك بعد ذلك الأمير سبيل المنفى والاغتراب[3]، وحكمت عليه محكمة قنصلية فرنسية بالحبس فاضطر على إثرها بالبقاء في دمشق حتى مات في عام 1936م[4].

لقد استمر النشاط السياسي مع ظهور شخصيات أخرى فعّالة في الحقل السياسي، فبرزت شخصية مصالي الحاج الذي قاد منظمة ًنجمة الشمال الإفريقي التي تأسست في مارس 1926 ،حيث جعل منها مصالي حركة وطنية تناضل من أجل إستقلال الجزائر والثورة الاجتماعية ، و تحوّل العمال الجزائريون في فرنسا من رعاة و بائعي الزّرابي

---

[1]شارل روبير أجيرون:المرجع السابق،ص ص117-118.

[2]أبو القاسم سعد الله:المرجع السابق،ص345.

[3]بوعلام بالسايح :" **إبن باديس رجل علم وفكر ومصلح ديني**" ، مجلة الثقافة ، العدد 98 ، الجزائر:مارس-أفريل1987 ، ص 15.

[4]شارل روبير اجيرون: المرجع السابق، ص 119 .

وتحف إلى عمال ذوي مطالب إجتماعية و سياسية[1]، كان مطلبهم الاستقلال وهذه الحركة حوّلها مصالي الحاج إلى الجزائر و رسّخ مبادئها منذ شهر أوت 1936 ، وفي مارس 1937م أسّس في مدينة الجزائر حزب الشعب الجزائري[2].

لقد أثّرت الاحتفالات الفرنسية بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر في نفوس الجزائريين ،حيث كان الاحتفال مهينا للمسلمين وتأكيدا للفكرة التي تدّعي أنّ الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا فقد ظهرت إتجاهات أخرى على غرار حركة الأمير خالد أو حركة الشبان ونجم شمال إفريقيا، ومنها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تأسّست في 05 ماي 1931 م وهي حركة إصلاحية دينية إجتماعية كرّست جهودها لمقاومة الاحتلال في صيغ جديدة تتماشى مع الصحوة الإسلامية و المد الوطني لدى الشعوب ، وظهورها كان حتميا أمام ذلك الفراغ الوطني الإسلامي[3]، ومما لا شكّ فيه هو أنّ مساهمة العلماء في الحركة الوطنية الجزائرية كانت عظيمة حيث أعطوا للشعب الجزائري فكرة الاستمرار بتركيزهم على بعض القيم الاجتماعية و الثقافية التي لولاهم لكانت في طي النسيان[4].

وإلى جانب العلماء ظهر إتجاه الحزب الشيوعي الجزائري عام 1935 الذي كان يطالب بإدماج الجزائريين المسلمين في جمهورية ديمقراطية بروليتارية فرنسية ، كما ظهرت أيضا حركة المنتخبين أي النواب الجزائريين المسلمين ، وأطلق على أفرادها إسم حركة المتطوّرين حيث أنّ معظم أفرادها كانوا من خريجي المعاهد و متشبعين بالأفكار الفرنسية[5].

---

[1] عبد الحميد زوزو: " **دور الهجرة في الحركة الوطنية الجزائري**ة"، المجلة التارخية المغربية، العدد 05 جانفي 1976، تونس: جانفي 1976، ص 44.

[2] شارل روبير أجيرون، المرجع السابق، ص 141.

[3] أبو القاسم سعد الله : **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائري، ج3، ط1/ دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1990، ص 23.**

[4] أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج2، المرجع السابق، ص 406.

[5] علي الشنوفي :" **حفظ الشعائر وتغيير المناكر دعامة من أهم دعائم حركات التحرير الوطني في الجزائر وتونس والمغرب الأقصى** "،مجلة الثقافة ، العدد 79 ،الجزائر:جانفي -فيفري 1984م ، ص162.

من خلال دراسة الواقع التاريخي لهذه المرحلة يتبين أنّ نجاح الجبهة الشعبية في فرنسا و دخول بعض الحريات الديمقراطية إلى المستعمرات قد خلق وضعا آخر في الجزائر، حيث بدأت الحياة السياسية تدبّ من جديد وأنشئت الجمعيات و المنظمات المختلفة، و بدأ الناس يستمعون إلى الآراء ويتحدثون عن الأفكار، و كثرة الإضرابات إلى غير ذلك من التغيرات التي تركت الجماهير الجزائرية حائرة في هذا الجو الذي لم تكن تنتظره[1].

وفي ظل هذه الأوضاع و التغيرات إندلعت الحرب العالمية الثانية (1939م- 1945م) التي كان لها تأثير واضح على الجزائر في وقت كانت فيه فرنسا طرفا أساسيا في الحرب ،لذلك فقد كانت فترة 1942م-1944 مليئة بالنشاط و التجارب للحركة الوطنية الجزائرية، ومع نهاية سنة 1944م أصبحت أكثر وعيا وأعمق تجربة، ودخلت في عهد التحدّي و المواجهة مع الفرنسيين إنتهت بمجازر 8 ماي 1945م[2]، التي كانت منعرجا حاسما في تاريخ الحركة الوطنية وكذا الشعب الجزائري ، حيث تيقّن الفلاح و السياسي أنّ ما يؤخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة ، وقد كتب عن تلك المجازر الشيخ البشير الإبراهيمي[3] فيقول :<< يوم مظلم الجوانب مطرّز الحواشي بالدّماء المطلولة ...، وفي لحظة تسامع العالم بأنّ الحرب إنتهت مساء أمس ببرلين وإبتدأت صباح اليوم بالجزائر ... أعلنت حرب من طرف واحد و إنجلت في بضعة أيام عن ألوف من القتلى العزّل الضّعفاء وإحراق قرى وتدمير مساكن...ذلكم هو يوم 8ماي . يا يوم !... لك في نفوسنا السنة التي لا تمحى و الذكرى التي لا تنسى فكن من أيّـــة سنة شئت فأنت يوم 8 ماي وكفى...>> .

وقد حاولت السلطات الاستعمارية الفرنسية أن تقلّل من شأن الحدث و تجري بعض التغييرات،فأصدرت قانونها المشؤوم في 20 سبتمبر 1947 وحسب شارل أندري جوليان (Charles Andre Gulien) فإنه يمثل أول مجهود لمنح الجزائر قانونا أساسيا، كما أن

---

[1] محمد قنانش ، محفوظ قدّاش : **نجم الشمال الافريقي1926 – 1937م، وثائق وشهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية** ، ديوان المطبوعات ، الجزائر: 1984 ،صن110.

[2] أبو القاسم سعد الله : **الحركة الوطنية الجزائرية** ، ج3 ، ط4 دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1992، ص224.

[3] البشير الإبراهيمي :"**ذكرى8 ماي**"، جريدة البصائر ، العدد35 ،10 ماي 1948.ص1.

مجلس الدولة أوضح بتاريخ 27 مارس 1947م أن المقاطعات الجزائرية مقاطعات لما وراء البحار وهي ليست تابعة للمجموعة المركزية إلى جانب فرنسا وكورسيكا[1]،وحسب أحد الكتاب فالمشاريع السياسية التي كانت تعلنها فرنسا في فترات مختلفة كان الهدف منها هو إمتصاص الغضب الشعبي العام ، و إدماج الجزائر في فرنسالكن بالمقابل تلك المشاريع ساهمت في نمو الوعي الوطني ودفعت أكثر الحركة الوطنية إلى تطور ملموس في مطالبها ، خاصة الفترة الممتدة بين 1954م -1962م ، حيث عاد التلاحم بين السياسة والدين[2]، وهذا التلاحم أدى إلى إنتصار الثورة التحريرية الكبرى التي استطاعت بفضل مليون ونصف مليون من أبناء الجزائر أن تهزم أعتا قوة استعمارية عرفها العالم في القرن العشرين وكان ذلك عام 1962م ، وهو تاريخ بزوغ شمس الحرية على كل ربوع الجزائر.

أما بعد الاستقلال فقد تميزت الأوضاع السياسية بالانشغال ببعض بنود إتفاقيات إيفيان وإنهائها خاصة ما تعلق بالتحرّر من القيود العسكرية ،حيث تمّ جلاء القوات الفرنسية من التراب الوطني منذ عام 1964م ثم عن القاعدة العسكرية(رقان) الواقعة بالجنوب الغربي الجزائري في شهر ماي 1967م وبعدها قاعدة المرسى الكبير في 31جانفي عام 1968م ، بعد حركة 19 جوان 1965م[3]، التي أبعدت بن بلة عن الحكم ليخلفه وزير الدفاع العقيد هواري بومدين عن طريق ما أسماه بحركة "التصحيح الثوري".

لقد اهتمت الجزائر بالسياسة الخارجية منذ الاستقلال حيث إنضمّت إلى منظمة الأمم المتحدة في 8 أكتوبر 1962م ،كما أنها سارت على مبدأ الحياد الإيجابي وعدم الانحياز ، وفي ظل هذه المرحلة نشب نزاع حدودي خطير بين الجزائر و المغرب في أكتوبر عام 1963م ،فالمغاربة كانوا يأملون أن تعدّل الحدود الصحراوية التي وضعتها

---

[1]شارل أندري جوليان: **إفريقيا الشمالية تسير** ، ترجمة المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، تونس: 1976، ص 352.

[2]رابح تركي : **التعليم القومي و الشخصية الجزائرية (1931 – 1956)** ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر:1981 ، ص 74.

[3]جودي الأخضر بو الطمين : **مسيرة الثورة الجزائرية من خلال مواثيقها**، ط1، دار البعث قسنطينة، الجزائر: 1993 ، ص5 11.

فرنسا على حسابهم،وذلك طبقا لاتفاق وقعه محمد الخامس والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية[1].

لقد عملت الحكومة الجزائرية على جعل دولة الجزائر دولة مجالس شعبية وجمعيات متنوعة خلال الفترة الممتدة بين 1964-1969م[2]،فمرحلة الرئيس هواري بومدين كانت رافضة للرومانسية الثورية لذلك أعاد تنظيم البلاد وتجهيزها باقتصاد حديث ، وأقام مؤسسات بلدية إقليمية تمثلت في الإصلاح البلدي لعام 1965 ،وإصلاح الولايات لعام 1969م حيث زوّدوا البلاد بمؤسسات تمثيلية مكوّنة من مجالس شعبية بلدية و مجالس ولائية منتخبة من قوائم يقدمها الحزب ،وفي عام 1976م أقر الميثاق الوطني في إستفتاء شعبي مبني على أسس إشتراكية طموحة[3]، وإستمرت الجزائر في نفس السياسة إلى نهاية الثمانينات و المبنية على النهج الاشتراكي وعلى سياسة الحزب الواحد.

[1] شارل روبير أجيرون : المرجع السابق ، ص 199 .

[2] جودي الأخضر بو الطمين:المرجع السابق ،ص120.

[3] شارل روبير أجيرون المرجع السابق ،ص201.

## المبحث الثاني: التحوّلات الاقتصادية

لقد اهتم الاحتلال الفرنسي بالجانب الاقتصادي إلى درجة كبيرة نظرا لما تملكه الجزائر المستعمرة من خيرات وثروات إلى درجة أنّها أصبحت تصدر إلى دول أوربية أخرى خاصة المنتوجات الزراعية ، ويبدوا أن سياسة المصادرة وسن القوانين التعسّفية الظالمة التي مسّت كل ممتلكات الجزائريين أتت أكلها حيث أصبح الجزائري لا يملك شيئا بل بالعكس صار يعمل كأجير أو كخمّاس أو كموسمي في أرضه، رغم أنها ملكه والأخطر من ذلك أن الذين يسيرون معظم هذه الأراضي والممتلكات هم من المتشردين والصعاليك واللصوص الذين جلبتهم فرنسا لتعزيز مستوطناتها وخدمة إقتصادها .

وحسب أبو القاسم سعد [1]فالثروات والخيرات الموجودة في الجزائر كانت تذهب إلى جيوب الفرنسيين والمعمّرين حيث يقول :<< وفي الفترة 1900م_1914م كان الكتّاب الفرنسيون يتحدثون عن التقدم المادي للجزائر، وعن مضاعفة حجم التجارة الخارجية وعن الثروة الفائضة وسيل رأس المال في الجزائر، ولكن القضية ليست ما إذا كانت هناك ثروة وتقدم مادي ودخل عال،ورأس مال،ولكن قضية من يشرف على هذه الوسائل ومن يستفيد منها فليس هناك من ينكر أنّ الكولون هم الذين كانوا يشرفون على كل وسائل الإنتاج ورأس المال التجارة الخارجية والداخلية،كما كانوا يشرفون على الميزانية لأنهم يملكون أغلبية الأصوات في المجالس المحلية>>.

لقد كان القطاع الفلاحي كل شيء بالنسبة للجزائريين ،فالجزائر كانت تنتج من الحبوب على مختلف أنواعها ما يكفي لتغذية سكانها ، وكان الفائض يصدر إلى فرنسا وحتى إلى إيطاليا لإنقاذ الأوربيين من المجاعة القاتلة ،وقد إهتم المعمرون أكثر بزراعة الكروم حيث خصّصوا حوالي نصف مليون هكتار من أحسن الأراضي لغرس الكروم المنتجة لعنب الخمور[2]، واستغلوا أحسن الأراضي وأجودها، أما الأهالي المسلمين فإن أراضيهم تكاد تكون لا قيمة لها ،فمعدل قيمة الهكتار الواحد من أراضي المعمرين تبلغ

---

[1]أبو القاسسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية** ، ج2، المرجع السابق ،ص ص92-93.

[2]محمد العربي الزبيري:**الثورة الجزائرية في عامها الأول**،ط1،دار البعث،قسنطينة،الجزائر: 1984م،ص ص 40-41

25000 فرنك،وأنّ معدل قيمة الهكتار الواحد لأراضي الأهالي هي 3000 فرنك ،كما أن الفلاحة الأوربية تعتمد على رؤوس أموال ضخمة وإدارات وبنوك وشركات تعطيها كل ما يلزم، بينما الفلاحة الأهلية على عكس ذلك تماما[1].

تعتبر الحبوب أهم منتوج في الجزائر وكانت له أهمية بالغة، فالمردود السنوي كان معتبرا إذ سجلت جريدة النجاح أرقاما في الثلاثينيات حول كمية إنتاج الحبوب حيث بلغ في عمالة قسنطينة مجموع الإنتاج 6 ملايين و 805 ألف قنطار ، أما عمالة الجزائر فالكمية هي 3 ملايين و650 ألف قنطار،بينما عمالة وهران قدر الإنتاج ب2مليون و400 ألف قنطار[2] ، ويذكر أحمد توفيق المدني[3] أنّ إنتاج القمح في قطر الجزائر يقدر بنحو 20 مليون قنطار في السنة ،وتصدر الجزائر من الحبوب إلى الخارج نحو مليون و200 ألف قنطار من القمح و800 ألف قنطار من الشعير، وقد تأثرت الجزائر بالأزمة الاقتصادية التي مست أنحاء العالم لكن الإجراءات التي اتخذتها الحكومة الفرنسية عام 1931 سمحت للمستعمر بتحويل الفائض في الإنتاج من قمح وخمور إلى السوق الفرنسية غير أنّ المنتوجات الأخرى أهملت خاصة تلك التي تعمل من أجل تصدير الزيوت وصناعات التبغ وغيرها و بذلك بدأت في غلق أبوابها وأدى ذلك إلى نقص فادح في المدخولات وكادت أن تصاب بشلل لولا المنتوجات الكرمية المخصصة لإنتاج الخمور[4] وحسب آخر إحصاء أجرته سلطات الاحتلال قبل الفاتح من نوفمبر عام 1945 فإن متوسط ما يملكه المزارع الأوربي قد إرتفع من 108 هكتار سنة 1940 م إلى126 سنة 1952م[5].

لاشك أن الأرض الزراعية كانت مصدر الرزق الأساسي لسكان الريف، والأرض الجزائرية تتوفر على عدد هام من الماشية التي تمثّل هي أيضا مصدر قوت للأهالي لكنها تأثرت كثيرا بحالة الجفاف الذي غالبا ما يتلف ماشية الغنم ، وهي أهم ثروة بالنسبة

---

[1] أحمد توفيق المدني:المصدر السابق ، ص ص 356-357.

[2] جريدة النجاح : مقال"**الحبوب في الجزائر**"، العدد 2091 ، 14 جانفي 1938.

[3] أحمد توفيق المدني : المصدر السابق ، ص 358.

[4] Mahfoud Kaddache : **histoire du nationalisme algérien (1919-1939)**، tome1, éditions paris- méditerranée 2003،p.256.

[5] رابح تركي : المرجع السابق ، ص 87.

لسكان الهضاب والجنوب ، ولو أنّها وجدت العناية اللازمة لأصبحت ثروة هامة في يد الأهالي و الأوربيين لكن العوامل السابقة وعوامل أخرى حالت دون تقدمها[1].

وهناك أيضا مصدر مهم وهو الصيد البحري فهو يشمل ثلاثة أنواع على الساحل الجزائري فهناك صيد الأسماك التي تستهلك محليا و صيد الأسماك التي تدخر مثل السردين و الطن ، كذلك صيد المرجان لكن هذه الثروة كانت حكرا على الإيطاليين والأسبان وتشغل نحو ستة آلاف[2].

أما فيما يخص الميدان الصناعي فقد قامت فرنسا بمنع التصنيع في الجزائر بكل قوة وهذا بهدف إبقائها سوقا للسلع الصناعية الفرنسية الحديثة وترويجا لمنتجاتها[3] ، لذلك فقد بقيت الصناعة ضعيفة خاصة الصناعة الأهلية التي كانت تشمل صناعة نسيج الزرابي و الثياب الصوفية من برانس وحيّاك وغيرها ، ويوجد بالجزائر حوالي 300 معمل للزرابي تشغّل نحو الثلاثة آلاف من رجال و نساء ، وهناك أيضا معامل عائلية منتشرة في الجنوب خاصة بلاد ميزاب وبلاد جبال عمور ، كما أنّ بعض الأهالي بدؤوا في تكوين معامل عصرية تشمل مختلف الصناعات كمعامل الموهوب بالجزائر، و ابن جيكو بقسنطينة للدخان و السجائر ، أيضا هناك معامل إبن ونيش بالعاصمة لصناعة الخشب وغيرها[4].

لقد ظلت السيطرة في يد المعمرين الذين كانوا يتمتعون بالقروض ويحتكرون التجهيزات ويسيطرون على الميزانية التي كانت تعطي البرجوازيين الجزائريين الفتات فقط، والهوة كانت كبيرة بين الجزائريين والأوربيين فإذا أخذنا المؤسسات الاقتصادية نجد أن نصيب 100 ألف مؤسسة جزائرية تقدر ب33مليارا من الفرنكات ،وفي المقابل مداخيل 65ألف مؤسسة أوربية تساوي 375 مليار ، فضلا عن ذلك 90% من النشاط التجاري والصناعي بقي في يد الأوربيين [5]، وهناك عامل مهم زاد في نشاط الصناعة

---

(1) أحمد توفيق المدني : المصدر السابق ،ص 360 .

(2) المصدر نفسه ، ص 362.

(3) رابح تركي :المرجع السابق ،ص89.

(4) أحمد توفيق المدني : المصدر السابق ، ص.364.

(5) Mohamed harbi : **la guerre commence en Algérie** ، édition complexe،Bruxelles ، 1998 pp.89—91.

و هو إكتشاف البترول و الغاز في الصحراء الجزائرية، حيث تم استثمار 668مليار فرنك فرنسي مقابل التجهيز في المرحلة الأولى (1953-1957)[1] ، هذه الاستثمارات الكبيرة و الأموال الطائلة هي التي جعلت السلطات الفرنسية تحرص على إضعاف الصناعة المحلية وعدم فتح الباب للجزائريين و إبقائها مرتبطة بالاقتصاد الفرنسي[2].

أما بالنسبة للتجارة فلم تكن أحسن حالا من الصناعة ، حيث كانت القروض معدومة على الجزائريين و متوفرة بشكل كبير للتجار و الصنّاع و الفلاحين الأوربيين [3] الذين سيطروا على التجارة الخارجية و الداخلية معا ، و كوّنوا شبكات متداخلة مسيطرة على كل المرافق الاقتصادية في البلاد حتى أصبحت الجزائر سوقا رئيسية للتجارة الفرنسية ، مع جلب المواد الخام التي تحتاجها الصناعة الفرنسية و بأثمان زهيدة [4].

لقد قام الاستعمار الفرنسي بخنق التجارة الخارجية و أصبح ميزان التجارة الخارجية خاسرا لأن كل عمليات التصدير و الاستيراد مرتبطة بفرنسا[5] ، ففي سنة 1927 كانت التجارة كالآتي : الواردات 483 مليون و600 ألف فرنك ،و الصادرات 352مليون و 100 ألف فرنك فالميزان الجزائري خاسر[6]، أما في سنة 1937 وخلال الثلاثة اشهر الأولى فقد بلغت الصادرات 924 مليون و494 ألف وأما الواردات فقد قدّرت ب: 857 مليون و176 ألف فرنك[7]، لكن الأرباح كان يجمعها المعمرين على حساب الجزائر وفرنسا معا ، و الملاحظ أنّ السيطرة بقية في يد الفرنسيين والمعمرين سواء الداخلية أو الخارجية إلى غاية الاستقلال عام 1962 .

أما بعد الاستقلال فقد إهتمت الجزائر بالجانب الاقتصادي وما زاد الأمور تعقيدا هو الخراب والدمار الذي خلفه الاستعمار أثناء طرده من البلاد فوضعية الزراعة

---

(1) Jean-Claude Martens : **le modèle algérien de développement bilan d'une decemi (1962-1972)**، (p.S. N) d'édition et de diffusion Alger ،1973، p.25.

(2)رابح تركي :المرجع السابق، ص ص 89-90

(3)أحمد توفيق المدني :المصدر السابق، ص 367.

(4)رابح تركي : المرجع السابق ، ص ص 88-89.

(5)محمد العربي الزبيري : المرجع السابق ،ص43.

(6)أحمد توفيق المدني : المصدر السابق ، ص367.

(7)جريدة النجاح :مقال " **التجارة الجزائرية مع بلاد فرنسا**"، العدد 1999، 2جوان 1937.

والصناعة و التجارة كانت سيئة، فقد كانت المهمة صعبة و ثقيلة رغم ذلك فالتحدي كان قائما لأنّ النهوض بالاقتصاد واجب الجميع فبالأمس ناضل الجزائريون من أجل تحرير الوطن و اليوم يناضلون من أجل بنائه وتطويره .

وفيما يخص القطاع الزراعي فقد اهتمت الحكومة بالأرض وطبقت القوانين المتعلقة بالقطاع الاشتراكي المسيّر ذاتيا وفق توجيهات الحزب و أهداف الميثاق الوطني، وقد وصل عدد الفلاحين إلى غاية 1967 مليونين ونصف موزعين على 2080 وحدة تتربّع على مساحة مليونين و 300 ألف هكتار وأكدت الحكومة على الإصلاح الزراعي مع مكننة الفلاحة و تطويرها[1]، وقد طبقت الدولة الثورة الزراعية في بداية السبعينات وتم إنشاء 5261 تعاونية[2] ومع التحولات الاقتصادية فقد تخلت الحكومة عن الثورة الزراعية وظهرت المستثمرات الفلاحية منذ بداية الثمانينات.

أما فيما يخص القطاع الصناعي فقد سلمت بعض المصانع الكبرى التي تمتلكها شركات فرنسية و جميع المشاريع "السائبة" للتسيير الذاتي وبالنسبة للمشاريع الصناعية الكبرى المسيّرة كانت لا تضم أكثر من 10 آلاف عامل[3]، وتطبيقا لمقررات برنامج طرابلس وميثاق الجزائر فقد تمّ تأميم مجموع الثروات المنجمية بعد القرار الذي إتّخذه مجلس الثورة و الحكومة عام 1966م و أنشأت الشركة الوطنية للبحث و إستغلال المناجم مع التدعيم المباشر من الدولة ، لقد كانت عملية التأميم حافزا مهما لبناء قاعدة صناعية صلبة بعد التخلص من السيطرة الفرنسية حيث شرعت الحكومة في إنشاء المصانع كمصنع الحجار للحديد و الصلب باعتبار أن الحديد هو أمّ الصناعات، أيضا الميكانيكية والعتاد الفلاحي، وعتاد الأشغال العمومية الري والصناعة الكهربائية والإلكترونية والاهتمام بصناعة الزجاج و الخزف والصناعات الخفيفة الأخرى من مواد غذائية وغيرها،و الأهم من هذا هو التطور الملحوظ في صناعة المحروقات أي تكرير البترول وتمييع الغاز بمركبات أرزيو الجزائر وسكيكدة[4]، ومنذ إتمام الأربع سنوات الأولى

---

[1]جودي الأخضر بو الطمين : المرجع السابق ،ص116

[2]شارل روبير أجيرون : المرجع السابق ، ص 203.

[3] المرجع نفسه، ص 194.

[4]جودي الأخضر بو الطمين : المرجع السابق ،ص ص .117-118.

(1970 –1973) و إصدار المخطط الثاني (1974-1977) والجزائر تسعى إلى تحريك و تنشيط مسيرتها في التصنيع وهذا بدفع عجلة الاقتصاد لكنها إصطدمت بالجمود العالمي وإنخفاض صادراتها من البترول[1] .

لقد كانت معظم العلاقات التجارية قائمة بين الجزائر و فرنسا، وقد صدرت الجزائر عام 1964 إلى فرنسا ما قيمته ثلاثة مليارات دينار، وإستوردت بقيمة 2،4 مليار دينار ، ولذلك سعت الحكومة إلى إقامة علاقات مع الدول الاشتراكية خاصة مع الاتحاد السوفيتي الذي قدم قروضا ومعونة فنية ووسعت العلاقات الاقتصادية مع الدول الرأسمالية خاصة المجموعة الاقتصادية الأوربية بنحو 70 % نصفها مع فرنسا ، وامتدت إلى دول أمريكية كالولايات المتحدة الأمريكية بنحو 10% ، وفي السبعينات ظهر شركاء جدد كايطاليا واليابان و ألمانيا[2]، و تشير أرقام وزارة التخطيط أن قيمة ما إستوردته الجزائر قد بلغ سنة 1983 حوالي 50 مليار دينار جزائري وأنّ قيمة ما صدرته في نفس السنة بلغ 61مليار دينار جزائري أي هناك فائض لكن ما يقارب 60 مليار دينار هي من المحروقات و مشتقّاتها، و الباقي يتوزع على أنواع أخرى من الصادرات ، وهذا يشكّل خطرا أي أنّ الجزائر لم تصدر في سنة 1983 إلا ما قيمته 178 مليون دينار من المواد الغذائية ،و المشروبات في حين بلغت قيمة ما صدرت من نفس المواد عام 1981 ب 519 مليون دينار[3] ، فنلاحظ أنّ هناك تراجع ، وبعد الإتفاق الذي أبرم بين فرنسا والجزائر في فبراير 1982 حول سعر الغاز وحجم الكميات المستوردة، فقد تغير الوضع حيث سجلت الواردات من الغاز 5،9 مليون طن سنة 1982 مقابل 4،06 مليون طن سنة1981 ،و الإحصائيات تشير إلى32% من الصادرات الجزائرية في قطاع المحروقات إلى فرنسا هذا عام 1982 [4]، لقد كان التطور الحاسم لهذه الظواهر في صميم إهتمامات المخطط الخماسي 1980-1984م الذي سعى إلى تحقيق نماذج أفضل من الاستهلاك وتوزيع الدخل و تنظيم الإنتاج ، وفي المخطط الذي جاء في 1985 م أي الخماسي الثاني

---

[1] شارل روبير أجيرون : المرجع السابق، ص194.

[2] المرجع نفسه ، ص ص 196-197.

[3] جريدة الشعب: العدد 6755،الجزائر: 4 جويلية 1985.

[4] محمد الميلي : **ابن باديس وعروبة الجزائر** ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر: 1973 ، ص231.

فقد ركزت الدولة على إعادة هيكلة المؤسسات العمومية وتطهير ماليتها و تقييم رأس المال المحدث ، و تقوية طاقة الإنتاج ، وتكييفها مع تكامل السوق[1].

لقد أصبحت مشاريع التصنيع الضخمة من بين المشاكل التي واجهتها الجزائر في الثمانينات حيث إصطدمت بالأزمة الاقتصادية العالمية و بانخفاض أسعار المحروقات ظهرت إشكالية وهي هل تستثمر الدولة في المشاريع الضخمة التي تتطلب الاستدانة؟ أم تبني نهج جديد قائم على ترشيد التسيير والتحكم في المشاريع الموجودة مع عدم الاعتماد المكثف على المواد الخارجية لتمويل المشاريع ، وتم التوصل إلى إعادة النظر في المنهج الاقتصادي مع التطبيع لبعض المشاريع الضخمة وظهرت فكرة إعادة هيكلة المؤسسات[2] هذه المرحلة التي شددت على الأعمال المتنوعة خاصة حسن تسيير الجهاز الاقتصادي وتقييم الرأسمال المحدث، و توسيع طاقة الإنتاج و تكييفها مع تعامل السوق ، وتعديل ممارسات التسيير الممركز للاقتصاد في جميع المستويات وتنشيط وتطوير أدوات تنظيم السوق بواسطة الأسعار و القروض و تطبيق اللامركزية في المسؤوليات مع تطوير التأطير والتأهيل و التنظيم[3].

---

(1)عبد الحميد الإبراهيمي : "**تأملات حول التجربة الجزائرية في التنمية الاقتصادية و الاجتماعية**" ،مجلة الثقافة ، العدد 83 ، الجزائر :سبتمبر -أكتوبر 1984،ص18.

(2)محمد الميلي : المرجع السابق، ص287.

(3)عبد الحميد الإبراهيمي : المرجع السابق، ص ص18-19.

## المبحث الثالث: التحوّلات الاجتماعية.

لقد قام الاستعمار الفرنسي بهدم البنية الاجتماعية عن طريق سن القوانين التي تخدمه فقد صادر الأراضي من الجزائريين في الريف و إستحوذ على الملكية العقارية في المدن، وعلى التجارة و الصناعة وهذا خدمة لمجموعة الأوربيين التي تشكل قسما من المجتمع الجزائري إلى جانب مجموعة الشعب الجزائري ، فالمجموعة الأولى تتكون من الأوربيين الذين وفدوا إلى الجزائر في ظل الاحتلال ،وكان منهم إقطاعيون في الريف،و رأسماليون في المدن وكانت لهم كلمة لدى حكومة فرنسا، رغم أّنهم يختلفون عرقا ولغة وعادات إلا أنهم أمام مصلحتهم وضد الجزائريين فهم كتلة واحدة ، و أما مجموعة الشعب الجزائري فكانوا يحتلون المركز الأدنى من السلم الاجتماعي[1].

وإذا قارنا بين حياة أولئك المعمرين وحياة الجزائريين فنجد أنّ المعمرين عاشوا في رغد يتمتعون بالخير الوفير ، بينما أصحاب الأرض أهل البلاد يعيشون في حرمان وفقر[2]،فلا إدارة تهتم بمصيرهم رغم أن هناك بعض الموظفين الفرنسيين يهتمون بالأهالي لكن ليهضموا حقوقهم و يستغلّوهم فمقابل أربعة عشرة ساعة في اليوم يتقاضى الجزائري أجرة تتراوح ما بين نصف فرنك وفرنك[3].

ورغم هذه الوضعية المزرية فقد شهدت بداية القرن العشرين زيادة سكانية حيّرت السلطة الفرنسية ، فقد كان عدد السكان في سنة 1911 أربعة ملايين و 700 ألف نسمة، ليرتفع في سنة1921 إلى أربعة ملايين و890 ألف نسمة ، ومعروف أن الجزائريين شاركوا في الحرب العالمية الأولى وسقط عدد كبير من الضحايا[4].

لقد لعبت الظروف الاجتماعية السيئة دورها في عملية الهجرة سواء الداخلية من الأرياف نحو المدن أو الخارجية إتجاه البلدان العربية و الإسلامية وحتى البلاد الأوربية فحركة الهجرة نحو فرنسا في بداية القرن العشرين بدأت تتضح أكثر ، فإحصائيات عام

---

[1] رابح تركي: المرجع السابق ،ص ص 91-93.

[2] محمد خير الدين :**مذكرات** ؛ ج1،ط2،مؤسسة الضحى ، الجزائر: 2002،ص270.

[3] فرحات عباس: **حرب الجزائر وثورتها (ليل الاستعمار)** ،تعريب أبو بكر رحال ، مطبعة فضالة ،المحمدية ،المغرب: د-ت، ص115.

[4] علي الشنوفي :المرجع السابق ،ص160.

1912 تشير إلى أربعة آلاف إلى خمسة آلاف جزائري موجودين بفرنسا منهم 2000 في مرسيليا ،حيث كان يشتغلون في الموانئ و العربات العمومية و ورشات البناء[1] ، وهناك عدد مماثل في باريس يعملون في مؤسسات مختلفة مثل شركة العربات العمومية(المترو) والملاحظ أنّ هذا التوجه الكبير نحو فرنسا كان بسبب الحرب العالمية الأولى وللنداء باليد العاملة ، الذي صدر عن الأوساط الرسمية،أثناء التعبئة العامة،وبين سنة 1914م إلى1917م دخل إلى فرنسا ما لا يقل عن 62521 جزائري[2] ،وهذا ما يؤكد أهمية الحرب العالمية الأولى لاسيما وأنّ فرنسا كانت طرفا أساسيا،لذلك عملت السلطات على حشد جنود وعمّال في أوساط المهاجرين و الأهالي فيما يخص إمكانية التشغيل ،وبالمقابل فقد كانت هناك موجة للتعمير والاستيطان للأراضي الجزائرية من طرف الفرنسيين وكذا بعض الأوربيين ، وهذا بهدف إستغلال الثروات وتسخير الأهالي[3]،وأخذت الهجرة إتجاهات كثيرة فبالإضافة إلى فرنسا و لأسباب سياسية و إقتصادية ودينية وإجتماعية ،فقد هاجر آلاف الجزائريين كذلك نحو المغرب الأقصى وتونس، والشرق الأدنى فكانوا يطلبون الحرية والاحترام والفرص التي لم تتح لهم في وطنهم ،وتتمثل إيجابية هذه الهجرة في أنها ساهمت مساهمة فعالة في تدعيم القضية الوطنية عن طريق مهاجمة الحكم الفرنسي والتعريف بالقضية الجزائرية[4].

لقد حث الممثّلون الإسلاميون منذ 1932 م على الاهتمام بالوضعية السيئة التي يعيشها الفلاحون، وذلك بالبحث عن حل يمكنهم من مساعدات مالية كي يواجهوا المجاعة ، حتى الصحافة تدخّلت وندّدت بهذه الوضعية خاصة أنّهم يتوافدون بكثرة على المدن، فقد إنتشر الفقر بسرعة ،فقدمت السلطة مساعدات تجاوزت 15 مليون فرنك ، لكن هذه الأزمة إستغلّت من طرف المعمّرين وسيطروا على هذه المساعدات المالية فقسّمت بينهم وبين بعض المنتخبين وبعض القياد آنذاك ،وتشير جريدة النجاح إلى الوضعية الصحية الجيدة

---

[1] الجيلالي صاري ، محفوظ قداش : **المقاومة السياسية ،1900-1954 م، الطريق الإصلاحي و الطريق الثوري** ، ترجمة عبد القادر بن حراث ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر: 1987،ص220.

[2] المرجع نفسه،الصفحة نفسها .

[3] DJilali Benamrane : **l'émigration Algérienne en France passé présent et devenir** ..S.N d'édition et de diffusion، Alger 1983،pp.26-27 .

[4] أبو القاسم سعد الله :**الحركة الوطنية الجزائرية** ، ج2 ،المرجع السابق ،ص 129.

ومدى الاهتمام الموجود فكتبت :<< ينقسم الوطن في الوقت الحاضر إلى267 قسما صحيا ... وعلى رأس كل قسم من الأقسام الكبيرة 194 طبيب يؤيّده 939 معينا فنيا، و8مساعدين صحيين مجانا ثم القوابل ثم الإسعاف المدرسي والاجتماعي ، وباختصار إنّ العناية بالصحة في قطرنا الجزائري بلغت في الوقت الحاضر مبلغا يبعث الإعجاب والتقدير في نفوس أهل البلدان الأوربية والأمريكية الراقية >>[1]. رغم أن هناك أقسام صحية وصحيين لكن الأكيد أنّ إستفادة الجزائريين منها جد ضعيفة ، حيث أنّه لا يعقل أن يعتني بك من جاء ليستغلّك ، ولئن وجدت هذه العناية فالهدف منها هو عدم فقدان اليد العاملة التي إذا ما تعرضت للأمراض الفتاكة فتكون خسارة للمعمرين والفرنسيين على حد سواء ،فحسب أحمد توفيق المدني" فمسيو فيوليت " في كتابه"هل تحيا الجزائر" ذكر إحصائيات غربية إستخرجها من التقارير العسكرية ،تبيّن سوء الحالة الصحية ، ففي مدينة الجزائر عام 1927م من بين 18607 شاب لبّى دعوة السلطة العسكرية و تبين أن 8268 لا يصلحون للخدمة العسكرية لأنّ حالتهم الصحية تمنعهم من ذلك ،ونفس الشيء بوهران ففي عام 1923م من بين 14642 تبيّن أن 5464 لا يصلحون للعسكرية ومصابون بمختلف الأمراض مثل السل وأمراض العيون أوخلل خلقي في الجسم[2]،والحق أنّ المستفيد الأكبر من الأقسام الصحية والإعانات هم السكان الأوربيون حيث أنّ عددهم إرتفع من 833ألف في عام 1926م إلى984ألف في عام 1954م بمعدل زيادة تقدر بـــ 1% [3].

إن أي باحث في الحياة الاجتماعية لا يمكن له أن يلمّ بجوانب الموضوع دون التعرّض لأهم عنصر في الجانب الاجتماعي الذي يتمثل في المرأة ، فمعاناتها كانت شبيهة بمعانات الرجل و تخضع لظروف قاسية ، فالمرأة كانت تعاني من الجهل و في هذا الصدد يقول أحمد توفيق المدني[4] :<< إن المرأة الجزائرية رغم جهلها العظيم تمتاز بخلال كريمة وسجايا طيبة فهي محافظة أتم المحافظة على التقاليد القديمة و العادات التي

---

[1] جريدة النجاح ، العدد 3878 ، 14 فيفري 1951م.

[2] أحمد توفيق المدني : المصدر السابق ، ص336.

[3] شارل روبير أجيرون : المرجع السابق ،ص124.

[4] أحمد توفيق المدني : المصدر السابق ، ص338.

ورثتها على الأسلاف ،وهي مسلمة متينة الإيمان ...،ثم هي زوجة أمينة صبورة وفيّة تشاطر زوجها آلام الحياة دون جزع ،أما نساء الطبقات الراقية في المدن الكبرى فهن أقلية صغيرة جدا وقد إشتهرت بشدة التمسك بالتقاليد القديمة ... وقد تلقى الكثير منهن مبادئ العلوم الحديثة بالمدارس الفرنسية، فالمرأة الجزائرية محافظة...>>.

وليس معنى تمسّك الجزائرية بتقاليدها ولباسها أنها لم تتطور عمليا ولا ارتقت فكرا أو أنها لا تعِ ما يحيط بها من تغيّرات إجتماعية عالمية بل أنها أدركت مسؤوليتها أحسن إدراك لكنها ظلت محافظة على تقاليدها القومية لكي تبقى جزائرية لا فرنسية[1].

رغم الصفات التي كانت تتحلىّ بها المرأة من حياء وأخلاق عالية فقد كانت محرومة من التعليم فليس لها الحق في دخول الكتّاب و لا الزوايا التعليمية وكل نساء الريف أمّيات بينما في المدن هناك من النساء من إقتحمن مدارس البنات بعد الحرب العالمية الأولى لكن بأعداد قليلة[2]، وبقيت وظيفتها منحصرة في الطبخ والإنجاب ،فهي لم تكن في حاجة إلى العلم و المعرفة لأنّ الرجل كان يعتبرهما معرّة بالنسبة إليها[3] ،لقد كانت للمرأة قيمة حتى في نفوس الفرنسيين خاصة بعض المسؤولين ومنهم مسيو فوليت الوالي العام الذي طلب من النيابات المالية أن تخصص في ميزانيتها 5 ملايين فرنك لإعانة النساء المسلمات الفقيرات أثناء الولادة ،وكان ذلك في جلسة 23 جوان 1926 لكن المجلس رفض ذلك[4].

لقد كانت الظروف الاجتماعية قاسية جدا في ظل الاحتلال الفرنسي الذي أغلق كل المنافذ التي تؤدي إلى حياة اجتماعية طبيعية و بالتالي البقاء تحت القهر والذل والحرمان.

أما بعد الاستقلال فقد كانت الأوضاع الاجتماعية سيئة في مراحلها الأولى ثم تحسنت بعد ذلك نظرا لاهتمام الدولة بالفرد وظروف الحياة الضرورية فالوضع الاجتماعي غداة الاستقلال كان مقلقا ففي عام 1963 بلغ عدد العاطلين عن العمل مليونين

---

(1) عبد الكريم بو صفصاف : **جمعية العلماء المسلمين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية ،1930-1945**،ط1 ،دار البعث ،قسنطينة: 1981 ،ص 331.

(2) أحمد الخطيب: المرجع السابق ،ص 85.

(3) محمد العربي الزبيري: المرجع السابق ،ص 48.

(4) أحمد توفيق المدني :المصدر السابق، ص338.

كما أن مليونين و600ألف شخص لا مورد لهم[1] وقد حاولت الحكومة منذ السنوات الأولى للاستقلال أن تهتم بالصحة والإسكان و الشغل ففي ميدان الصحة كان هناك 285 طبيب و 38 جراح أسنان و70 صيدليا هذا سنة 1963 ،ثم ارتفع العدد خاصة في المخطط الثلاثي1967-1969 إلى1723 طبيب، و210 صيدلي و176 جراح أسنان و373 قابلة كما أنّ مراكز العلاج إرتفع إلى1846 مركز وتمّ برمجة بناء عيادات ومستشفيات ، أما في ميدان السكن فقد تم بناء 30 ألف سكن بالمدن و14 ألف سكن بالأرياف ، كما تم الشروع في بناء 11000 سكن بالمدن ومثلها بالأرياف و تم تخصيص 2000 سكن لتعاونيات المجاهدين ، وقد بلغ عدد العمال حسب إحصاء 1966: 2832200 منهم 234100 مغترب[2]، هؤلاء المغتربين الذين هاجروا إلى فرنسا قبل الاستقلال وبعده.

وأصبحت ظاهرة الهجرة محل إهتمام الحكومة نظرا لما يتعرض إليه الجزائريون في فرنسا من إهانات و توبيخ وفي بعض الأحيان إلى الطرد فالصعوبات الاجتماعية التي ميزت الجزائر في السنوات الأولى للاستقلال هي التي دفعت إلى هجرة بعض الجزائريين إلى فرنسا، و إلى مناطق أخرى مختلفة بحثا عن القوت ، في ديسمبر 1968م وقّعت الجزائر على النص الرسمي الذي أعطت فرنسا رأيها في الهجرة و بالتالي عملت الجزائر على جعل الهجرة نحو فرنسا على المنوال الذي نصت عليها إتفاقيات إيفيان ،ووافقا على مبدأ الدفع السنوي للهجرة الذي حدّد ما بين 1968-1971 ب: 35000 عامل[3].

وإبتداءً من 1973 ظهر إهتمام كبير بالهجرة وبدأت تنظم محاضرات ومناقشات خاصة أثناء إنعقاد مؤتمر عدم الانحياز في سبتمبر 1973و بالتالي إعادة مكانته و قيمة المهاجرين و أصبحت العلاقة الجزائرية الفرنسية مختلفة عن السابق وظهر إهتمام بالجالية الجزائرية في فرنسا[4].

---

[1] شارل روبير أجيرون: المرجع السابق ،ص 195.

[2] جودي الأخضر بو الطمين : المرجع السابق ، ص 119.

[3] DJilali Benamrane : op .cit .،p105.

[4] IBID: pp. 105-107.

إنّ الكثير من الاحتياجات الاجتماعية بدأت تحقق لذلك فقد إتجه إهتمام الحكومة إلى تحسين أكثر للمعيشة ،و التوسع في المنتجات الصناعية والخدمات[1]، وقد شهدت الحياة الاجتماعية تحسنا ملحوظا بعد الاستقلال وهذا راجع إلى إهتمام الدولة بتحقيق الشروط الضرورية للحياة من سكن و صحة وشغل، رغم أنّ المهمة كانت صعبة لأنّ ما أستغلّ و دمّر و فقّر في 132 سنة لا يمكن إستدراكه في بضع سنين.

(1) عبد الحميد الإبراهيمي : المرجع السابق ،ص 18.

## المبحث الرابع: التحوّلات الثقافية.

فرض الاستعمار الفرنسي على الجزائر صراعا عنيفا ضد الشخصية الجزائرية ومحاولة تحطيم قيمها الثقافية و الحضارية ، حيث لا ينكر أي إنسان مثقف بأنّ الوضع الثقافي لأي شعب من الشعوب يعتبر إنعكاسا لواقعه السياسي و بنائه الاقتصادي وتركيبه الاجتماعي ، أما الجزائر فقد كانت حالتها الثقافية سيئة جدا أمام محتل همّه الوحيد هو الحرق و التّقتيل و الاستغلال والنّهب، لهذا فمقاومة الجزائريين عن هويّتهم الثقافية كانت صعبة وشاقة طيلة مائة واثنين وثلاثين سنة من الاحتلال.

لقد إستمر الاستعمار في بداية القرن العشرين في شل الحياة الفكرية ونشر الأمية في أوساط الجزائريين وذلك عن طريق إغلاق المدارس ومحاربة التعليم باللغة العربية وكذلك الإسلام فشعار الاستعمار التفقير والتجهيل والقضاء على خصائص هويته الوطنية و الحضارية[1]، وبما أنّ اللغة العربية هي أساس الثقافة العربية فقد سعى الاستعمار إلى القضاء عليها لأنّ دفنها يعني القضاء على الثقافة العربية و الشخصية الجزائرية ، لذلك عمل على تركيز اللغة الفرنسية وجعلها لغة العمل الرسمي ، ما عدا محاكم الأحوال الشخصية الإسلامية حيث إستمرّ العمل باللغة العربية،و أيضا في إدارة مناطق الجنوب الصحراوية النادرة السكان[2]، ففي عام 1904 م أصدرت الإدارة الفرنسية قرارا يمنع التعليم بدون رخصة، و يبدو أنّ غريزة الدفاع عن النّفس أصبحت أقوى عند الجزائريين فقد إستمروا في تعليم القرآن بواسطة اللوحة و المداد رغم أنّهم أرغموا على دخول المدارس الفرنسية[3]، حيث نظّمت الادارة الفرنسية نوعين من التعليم الأول راق من الدرجة الأولى خاص بأبناء المستوطنين الأوربيين ، و الثاني ضعيف و من الدرجة الثانية مخصّص لأبناء الجزائريين تحت اسم " التعليم الأهلي " الذي كان يدرس في مدارس متواضعة مع معلمين ذو كفاءة ضعيفة وهو العامل الذي ساهم في رسوب معظم التلاميذ

---

[1] أنيسة بركات : **محاضرات ودراسات تاريخية و أدبية حول الجزائر**،منشورات المتحف الوطني للمجاهد،الجزائر: 1995،ص 79.

[2] رابح تركي: المرجع السابق ،ص 94.

[3] احمد الخطيب: المرجع السابق ،ص 64.

في الشهادة الابتدائية أو إمتحان الدخول إلى المرحلة الثانوية[1]، والملاحظ أنّ الإدارة الفرنسية إهتمّت بشكل ضعيف بالتعليم الأهلي لأنّها كانت بحاجة إلى بعض المتعلمين الذين تستميلهم لخدمة مصالحها لأنّ تدهور نظام التعليم التقليدي طرح مشكل نقص المثقفين و القضاة ،كما أنّ الأعوان الأوربيين لم يكن بمقدورهم شغل كل المصالح التقنية لعدم معرفتهم باللغة العربية وبالتالي الاهتمام بهذا التعليم وفق المصالح الفرنسية كذلك لم يكن ممكنا نسب الأعمال ووظائف الدين والقضاء الإسلامي لغير المسلمين[2].

لقد حاول الاستعمار الفرنسي طمس اللغة العربية، و القضاء على التعليم العربي لكن شاءت الأقدار أن يصطدم مع فئة من رجال الإصلاح من هذا المجتمع تمثلت في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي شهد لها التاريخ بفضلها وجهدها في سبيل الدفاع عن الدين و اللغة و الوطن منذ نشأتها عام 1931 .

لقد طالبت جمعية العلماء بإلغاء جميع القرارات القديمة المتعلقة بالتعليم العربي وإستبدالها بقانون موحّد يكون للأمة رأي فيه و لجمعية العلماء إشتراك في وضعه ، لأنّ التعليم العربي بالنسبة لها هو وسيلة تثقيف و بالتالي يجب ترقيته و حريته ،والقرارات السابقة هي محاولة قتله[3]،وبناءً على إحصاء عامل عمالة قسنطينة في سنة 1938 فإن عدد مدارس الجمعية في عمالة قسنطينة يقدر ب85 مدرسة تضم 4047 تلميذ،أما في عمالة الجزائر بلغ عددها سنة 1935 : 28 مدرسة ليرتفع عام 1938 إلى68 مدرسة تضم 9063 تلميذ، وفيها مدارس تأسست خارج إطار الجمعية لكنها عصرية وتدرس الكتب العربية في حين بلغ عدد الكتاتيب القرآنية عام 1934: 2542 بها 2618 معلم منها 3% تابعة للعلماء أي 76 كتّاب.

و نظرا للجهد الجبّار الذي تقوم به جمعية العلماء المسلمين و لمحاولة عرقلتها أصدر وزير الداخلية شوتان (chutin) قرارا رسميا في 8مارس 1938م الذي يمنع تعليم اللغة العربية وإعتبارها لغة أجنبية ، كما أصدرت قرارا آخر في 22جويلية1945 الذي

---

[1] رابح تركي : المرجع السابق ،ص161 .

[2] Fanny Colonna : **instituteurs algériens 1883-1939**، office des publications universitaires, Alger، 1975، p.80.

[3] - حمزة بو كوشة :" **القضاء الإسلامي بالجزائر**" ، جريدة البصائر ، العدد 1، 25 جويلية 1947،ص ص3-4.

يوجب معرفة اللغة الفرنسية لمعلمي المكاتب العربية[1] ،لقد بقي أبناء الجزائريين محرومين من حقهم في التعليم وإن وجد فالرسوب و الفشل حليفهم دائما ، ففي عام 1944 كان التعليم الخاص بأبناء المستوطنين في المدارس الابتدائية يضم 160 ألف طفل موزعين على 1400 مدرسة ، أما التعليم الخاص بأبناء الجزائريين يناهز 92 ألف طفل موزعين على 699 مدرسة ، في الوقت الذي كان فيه عدد الجزائريين يناهز 8ملايين نسمة مقابل 800 ألف أوربي[2] ، فإذا ما تمعّنّا في الأرقام فالمنطق يقول أنّ عدد التلاميذ الجزائريين يكون أضعافا مضاعفة لعدد الأوربيين لكن الإدارة الفرنسية تعمدت هذا الأسلوب لأنها تعي قيمة المدرسة كونها مفتاح الجاهل، ومن هنا إبقاء أبناء الجزائريين في جهل مستمر بعيدين عما يدور حولهم من تطورات في شتى المجالات ،و جعلهم تحت خدمة الفرنسيين و الأوربيين .

وهذين الجدولينيوضحان الفارق بين الجزائريين و الأوربيين في التعليم الثانوي و الجامعي في الفترة ما بين 1920م-1938م.

(1)- عبد الكريم بو صفصاف:**جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و علاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931-1945 ، (دراسة تاريخية و إيديولوجية مقارنة)**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر و الإشهار، الجزائر: 1996 ، ص ص 137-139.

(2)- بسام العسلي : **عبد الحميد بن باديس و بناء قاعدة الثورة الجزائرية** ، ط2، دار النفائس بيروت :1983م،ص52

**مقارنة بين عدد الأوربيين والجزائريين في التعليم الثانوي في الفترة الممتدة من 1920 - 1938م[1]**

| السنـــة | | الأولاد | البنـــات | المجموع |
|---|---|---|---|---|
| **1920** | الفرنسيون | 4346 | 1764 | 6110 |
| | الجزائريون | 0405 | 0040 | 0445 |
| **1924** | الفرنسيون | 4860 | 1814 | 6674 |
| | الجزائريون | 0535 | 0060 | 0595 |
| **1928** | الأوربيون | 4587 | 1833 | 6420 |
| | الجزائريون | 0642 | 0048 | 0690 |
| **1934** | الأوربيون | 7316 | 3533 | 10849 |
| | الجزائريون | 778 | 0085 | 00863 |
| **1938** | الأوربيون | 8952 | 4277 | 13229 |
| | الجزائريون | 0923 | 0068 | 00991 |

**مقارنة بين عدد الأوربيين والجزائريين في التعليم الجامعي.[2]**

| السنـــــة | الأوربيـــون | الجزائريـــون |
|---|---|---|
| 1920 | 1282 | 47 |
| 1925 | 1486 | 66 |
| 1930 | 1907 | 93 |
| 1934 | 2564 | 103 |

(1) -رابح تركي : المرجع السابق ،ص 150.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

| 1938 | 2138 | 094 |
|---|---|---|

من خلال الجدولين السابقين يتبيّن العدد القليل للجزائريين مقارنة مع الفرنسيين والأوربيين سواء في التعليم الثانوي أو الجامعي ، و الغريب في هذه الإحصائيات هو عدد البنات في التعليم الثانوي ففي كل السنوات لم يتجاوز عددهن 100 تلميذة، و هو ما يبيّن القهر و القسوة التي كانت تعيشها . أما فيما يخص الجامعة فليس هناك وجه للمقارنة بين بضع عشرات من الجزائريين و المئات من الأوربيين ،وحتى المحظوظين في الجامعة في أغلب الأحيان هم من العائلات المثقّفة ثقافة فرنسية ، ومهما حلّلنا فيظهر جليّا أنّ الإدارة الفرنسية كانت محافظة على شعارها الذي يقوم على التفقير والتّجهيل والتجويع .

والحق أن التعليم العربي لعب دورا هاما في الحفاظ على الشخصية الجزائرية، كما أنّ عمليات التعليم لم تنحصر في المدرسة بل في أماكن مختلفة بما في ذلك المساجد والمدارس و النوادي ، فالمساجد تمثّل الدين الإسلامي وهي الهدف الثاني بعد الوضع السياسي الذي ركّز عليه الاستعمار و محاولة تمسيح الجزائريين و الدليل هو أنّه لما صدر في فرنسا قانون سنة 1905 القاضي بفصل الدين عن الدولة و طبق في الجزائر بموجب مرسوم 27 سبتمبر 1907م ، لم يشمل هذا القانون الدين الإسلامي إلا نظريا بينما شمل عمليا المسيحية و اليهودية[1] ، و كانت تتبع في المساجد طريقة " السلف الصالح" لتعليم القرآن و السنّة وكذا الوعظ و الإرشاد[2]، رغم أن معظمها حوّل إلى كنائس ومستودعات حتى أنّ الإدارة الاستعمارية أصبحت هي التي تتصرف في المساجد و تعيّن موظفيها وكان الهدف هو إضعاف المسلمين وإحتقارهم ،ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل إمتد إلى القضاء الإسلامي الذي يعد من أكبر المناصب وأهمّها لأنّ القاضي هو المنفذ بالشّرع للأحكام وفق كتاب الله تعالى و سنة رسوله (ص) ، ومما زاد في سوء حالة القضاء صدور قرار نوفمبر سنة 1944م الذي أباح للمحاكم الفرنسية مزاحمة المحاكم

---

[1]- أحمد الخطيب : المرجع السابق ،ص 48.

[2]- أبو القاسم سعد الله :**الحركة الوطنية الجزائرية** ج2، المرجع السابق ،ص ص 400- 401.

الإسلامية في دائرة نفوذها ، حتى أصبح الناس مخيّرين في رفع قضاياهم إلى محاكم إسلامية أو فرنسية [3].

لم يقتصر الجانب الثقافي التعليمي على المساجد و الزوايا بل كان للجمعيات والنوادي دور حاسم ،حيث نشطت أكثر في بداية القرن العشرين فمن أهم الجمعيات التي زرعت البذور الأولى للنهضة الوطنية نجد "الرشيدية "التي أسست عام 1894م، والتوفيقية عام 1908و غيرها ، حيث كانت المحاضرات تلقى باللغتين العربية و الفرنسية [1]، وأما النوادي فظهر العديد منها في الشرق والغرب مثل : التقدم ، الاتحاد ، نادي صالح باي الذي تأسس عام1908م فهو أهم نادي و الأكثر نشاطا ،وكان دور الجمعيات و النوادي يقوم على نشر المعرفة و التنوير الاجتماعي رغم أنّ بعضها يدعو الفرنسيين أنفسهم للأعمال الخيرية دون طرح أي رأي معارض من شأنه أن يوقفها[2] .

أما فيما يخص الصحافة التي كان لها دور فعّال في تثقيف الشعب قوميا و سياسيا ،وكانت تدافع عن الثقافة القومية والشخصية الوطنية ، فقد حاربها الاستعمار وعمل على حصارها وخنق صوتها[3]،فحسب أحمد توفيق المدني فإن أول جريدة عربية صدرت بالجزائر عام 1904م يسيرها فرنسي يدعى قوسلان(Gozlan)"باسم "النصيحة "، وكان هدفه ماديا لكنها إختفت بسرعة ،ثم أصدر الشيخ محمود كحّول جريدة "كوكب إفريقيا"سنة 1907م ومعها "تقويم كوكب إفريقيا "لكنها إحتجبت بسرعة [4]،إضافة إلى صحف أخرى ،ورغم الرقابة التي كانت تفرضها السلطة الفرنسية فإنّ الصحافة والكتب العربية الشرقية كانت تجد طريقها إلى الجزائر حاملة معها دعاية لصالح الجامعة الإسلامية،التي تدعو الجزائريين إلى رفض التغريب و إلى الاحتفاظ بأحوالهم الشخصية كمسلمين في وجه التجنيس[5] ،وكانت السبب في بروز الصحافة العربية الإصلاحية في الجزائر أوائل

---

(3)-حمزة بوكوشة : المرجع السابق ،ص ص 3-4.

(1)- أحمد الخطيب : المرجع السابق ،ص 87.

(2)–المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(3)- رابح تركي :المرجع السابق،ص 95.

(4)-أحمد توفيق المدني:المصدر السابق،ص 344.

(5)- أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية** ،ج2،المرجع السابق ،ص ص 115-116.

العشرينات كجريدة "الجزائر"لعمر راسم و"الفاروق"لعمر بن قدور الذي تأثر بمحمد عبده فكان ينقل بعض مقالات المنار في جريدته وهناك أيضا "الإقدام "للأمير خالد ،و"المنتقد" ثم "الشهاب"لعبد الحميد بن باديس[1] ،وغيرها من الجرائد و الصحف الإصلاحية .

لقد حاول الاستعمار الفرنسي أن يجرّد الجزائري من مقوماته الشخصية الثقافية فحارب التعليم العربي واللغة العربية وحاول فرنسة الجزائريين، كما أنّه حارب الدين الإسلامي سعيا منه لمسخ الجزائريين وشد الخناق على الجمعيات و النوادي و الصحف والقضاء على عادات و تقاليد هذه الأمة العربية المسلمة، و إستمر في هذه السياسة إلى غاية طردهم عام 1962م .

أما بعد الاستقلال فالأوضاع الثقافية كانت سيئة حيث ترك الاستعمار في الجزائر آثارا بالغة نتيجة لسياسة التجهيل ،لذلك بذلت الحكومة جهودا معتبرة في ميدان التربية والثقافة لرفع المستوى الفكري و تكوين إنسان جديد بالتأكيد على الهوية الوطنية الجزائرية[2] .

لقد تأكّد إجبارية التعليم و مجانيته و باللغة الوطنية دون الاستغناء عن اللغات الأجنبية ،حيث أعطت الدولة إهتماما بالغا للتربية الوطنية ، ففي عام 1964 خصّصت لها ما نسبته19.2% من ميزانية الدولة ، وارتفع عدد المتعلمين عام 1966 إلى أكثر من مليون و نصف كما إرتفع عدد الطلاب الجامعيين إلى10آلاف طالب مع العمل على تكوين و جزأرة الإطارات[3] التي تكونت في الحقيقة قبل الاستقلال بين أحضان مدارس جمعية العلماء المسلمين حيث كانوا السبب في تعزيز و تغذية التعريب في مختلف الوزارات والإدارات ، فقد عاد طلاب جمعية العلماء المسلمين بعد الاستقلال إلى وطنهم يحملون أعلى الشهادات العلمية لذلك فقد وجدت فيهم حركة التعريب أكبر سند مع أساتذتهم و معلميهم القدماء[4]، و يؤكد ذلك الشيخ عبد الرحمن شيبان[5] فيذكر أنّه

---

[1]-أحمد الخطيب :المرجع السابق ،ص 93.

[2]-أنيسة بركات:المرجع السابق،ص 85.

[3]-جودي الأخضر بو الطمين : المرجع السابق ،ص 118.

[4]- محمد الصالح رمضان : **جمعية العلماء ودورها العقائدي و الاجتماعي و الثقافي**،مجلة الثقافة ، العدد 83 الجزائر:سبتمبر –أكتوبر 1984،ص 367.

وزملاءه بذلوا جهودا عظيمة لجعل الإسلام دين الدولة، و جعل اللغة العربية لغة رسمية للدولة في الوقت الذي كان هناك تيار تغريبي يدعو إلى أن تكون اللغة العربية لغة للشعب لا للدولة بحيث لا تستعمل في الإدارة ولا في المدارس و لا حتى في المحاكم، و فعلا تأكدت إرادة التعريب تدريجيا في التعليم حيث رأت الحكومة بأنه لا يمكن بناء الاشتراكية بدون تعريب لكن بقيت إزدواجية اللغة الفرنسية العربية ، أمرا واقعيا[1]، إلى غاية بداية الثمانينات حيث بدأت مرحلة التعريب الحقيقية.

و حسب أحد الكتاب[2] فالجزائر خطت خطوات كبيرة على الصعيد الكمّي في قطاع التعليم على كل المستويات منذ 1962 إلى غاية 1986، حيث أن نسبة الأمية تراجعت إلى ما يقرب النصف بعدما كانت تتراوح ما بين 80% و90% من مجموع السكان و هذا يدل على العمل الكبير الذي قامت به الدولة و الساهرين على التعليم رغم العوائق المادية و المعنوية.

إنّ إحتياجات السكان و مطالبهم تتزايد مستقبلا لذلك فالحاجة إلى التربية والتكوين ستظهر أكثر من مستوى التعليم الثانوي و العالي وفي التكوين التقني علما بأنّ ضمان التعليم أصبح مكسبا يتمتّع به الجميع[3] .

---

[5]- عبد الرحمان شيبان: مقابلة شخصية،الجزائر العاصمة: 4افريل 2005.

[1]- شارل روبير أجيرون : المرجع السابق ،ص 197.

[2]- سليم زنير : **التطور الثقافي في الجزائر ، دراسة في النصوص و المؤسسات 1962-1986**، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة: 2001،ص 160.

[3]- عبد الحميد الإبراهيمي : المرجع السابق ،ص 17.

**خـــاتمـــة الفصـــل :**

من خلال ما سبق عرضه ومناقشته خلال هذا الفصل يمكن أن نستخلص النتائج الآتية:

**أولا:** لقد كانت بداية القرن العشرين منعرجا حاسما في جانبه السياسي نظرا لتوقف الثورات الشعبية و ظهور العمل السياسي ، كما أن أفكار المشرق الإصلاحية انتشرت في الجزائر وظهرت حركة إصلاحية وطنية فيما بعد، من جهة ثانية فالحربين العالميتين الأولى و الثانية ساعدا على تبلور الوعي الوطني خاصة مع الإصلاحات التي قامت بها السلطة الاستعمارية بعد الحرب العالمية الأولى بدءا بإصلاحات 1919 ، ونمو نشاط التيارات السياسية في إطار الحركة الوطنية .

**ثانيا:** ساعدت الأوضاع الاقتصادية على منح دفع وطني أكثر للجزائريين حيث أن سياسة المصادرة و الاستغلال التي طبقها الكولون على الجزائر وأرضه زادته تمسكا بأرضه فرغم سياسة المصادرة إلاّ أنّه بقي يعمل فيها خمّاسا وأجيرا، وحتى كموسمي كما أن الجزائري كان يرى بعينيه تلك الخيرات التي تنتجها الأرض وكانت تستفيد منها فرنسا و دول أوربية أخرى .

**ثالثا:** إن الوجود الأوربي الاستيطاني و تدعيمه من طرف فرنسا سبّب الكثير من المشاكل الاجتماعية للجزائريين فبعد الفرنسيين كان المستوطنون هم أصحاب القرار فالوظائف الإدارية و المرافق الصحية و التعليمية و السكنات الجيّدة كانت متوفرة لهم بينما الجزائريين لم يستفيدو إلا النزر القليل و ذلك بهدف إبقائهم في خانة الخدم والضّعفاء .

**رابعا:** لقد سعت سلطات الاحتلال إلى تحطيم مقومات الشخصية الوطنية والقضاء على اللغة و الدين الإسلامي بنشر التعليم الفرنسي و نشر المسيحية كما أنها عرقلت الجمعيات و النوادي و أغلقت المساجد و قيّدت الصحافة ويظهر أن المستوطنين كانت لهم يد واسعة في تحطيم هذه المقومات لأنّهم كانوا يخافون أن يؤدي إلى نشر الوعي في أوساط الجزائريين .

**خامسا**: بعد التخلص من السيطرة الاستعمارية سنة 1962 خلّف الاستعمار الفرنسي أوضاعا سياسية و إقتصادية وإجتماعية وثقافية مزرية نتيجة للفترة الزمنية الطويلة التي وصلت إلى132سنة حيث حاول تغييرها بكل الأشكال لذلك فالدولة الجزائرية وجدت صعوبات كبيرة في بداية مسيرتها، لكن العزيمة كانت موجودة والجزائريون اقتنعوا بضرورة البناء والتشييد وقد عرفت الأوضاع بشكل عام تحسنا مع مرور السنوات.

# الفـــصل الثــــاني :

# حيـــــاته و آثـــــــاره .

**المبحث الأول**: ميــلاده ونشأتـــــه.

**المبحث الثاني**: تعليمـــه ورحلاتـــه.

**المبحث الثالث**: وظائفه ومسؤولياته.

**المبحث الرابع**: وفــاتــه وآثـــاره.

يتناول هذا الفصل حياة الشيخ محمد خير الدين ،ميلاده ونشأته منذ طفولته والأسرة التي ترعرع فيها والمحيط الذي كان يعيش فيه، ثم تعليمه ورحلاته، وصولا إلى مسؤولياته ووظائفه، و أخيرا وفاته وآثاره.

**المبحث الأول: ميـــلاده ونشأت،ه .**

الشيخ محمد خير الدين مصلح جزائري، وهو من بين الرجال الذين ساهموا في إرساء الحركة الإصلاحية في الجزائر، وقد تميز بنضاله الوطني في الدفاع عن الهوية الجزائرية بمختلف الوسائل، عن طريق تأسيس المدارس للتعليم والوعظ و الإرشاد في المساجد والمساهمة بالمقالات المختلفة في الصحافة الإصلاحية، ومشاركته في الثورة التحريرية، وهذا كله في سبيل الدفاع عن الوطن ومقاومة المستعمر الأجنبي.

ولد محمد خير الدين(*) في شهر ديسمبر سنة 1902 م ًببلدة فرفار(**) بواحات الزيبان ببسكرة، من أب يدعى خير الدين بن محمد أبي جملين ،وأم هي الحاجة الزهراء بنت المغربي ، ونشأ مع أربعة إخوة ولدوا بعده وهم : عبد القادر ،إسماعيل ،الحفناوي،عبد السلام،وقد إهتم والدهم بتنشئتهم على التربية الدينية ، وإقتدى الإبن البكر بوالده الذي كان حافظا للقرآن الكريم مواظبا على الصلوات في أوقاتها ،وكان يتلو الأوراد في الصباح والمساء، لذلك فقد حفظ هو أيضا القرآن وواظب على صلواته ونفس الشيء فعل إخوته[1].

---

(*)-لقد أورد الشيخ خير الدين في مذكراته سلسلة نسبه كما يلي :<<محمد بن خير الدين بن محمد أبي جملين بن خير الدين بن الحاج محمد بن محمد بن سليمان بن محان بن الصغير بن معتوق بن أبي دينار سليمان بن علي بن أحمد بن عمر بن محمد بن أبي سرحان مسعود بن سلطان بن زمام بن الرديني بن ذواد بن مرداس بن رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن قيس عيلان بن مضر بن عدنان >> ، وتجدر الإشارة إلى أنّ مترجمنا إعتمد في التعرف على سلسلة نسبه من مصدرين : الأول: وثائق عائلية تنتهي إلى الجد الثاني عشر أبي دينار سليمان بن علي ، أما المصدر الثاني : فهو ما كتبه العلاّمة إبن خلدون في كتابه العبر ، ج6 ،ففي شجرة النسب التي ذكرها يوجد فيها الجد الثاني عشر أبي دينار بن علي بن أحمد وتنتهي إلى هلال بن عامر بن قيس عيلان بن مضر بن عدنان ، وببدو أنّ المصدر الأول هو بناء معرفي مع عدم توفر الوثائق التي تثبت السلسلة الأولى كي نربطها بما ذكره ابن خلدون.

(**)فرفار :إحدى قرى واحة طولقة على بعد ثلاثين ميلا جنوب غربي مدينة بسكرة . والفرفار : تعني الكثير الكلام أي الثرثار ، والفرفار الذي يفرفر كل شيء أي يكسره ، أنظر إبن منظور ،لسان العرب المحيط ،المجلد2 ،ص1071.

(1)-محمد خير الدين: المصدر السابق، ص 60.

لقد كان والده يؤثر مجالسة العلماء ،فكان يأتي إلى منزلهم مجموعة من الشيوخ والعلماء منهم الشيخ العابد السماتي الجيلإلى، والشيخ الشاعر محمد بن عزوز الخالدي، والشيخ أبو عبد الله الغمري ،كما كان لوالده صلة بالشيخ المدني بن الشيخ علي بن عمر ،الذي كان يلقي دروسه في شهر رمضان[1].

يمكن القول أن الشيخ خير الدين كان محظوظا في طفولته نظرا للجو الذي وجده في عائلته ،كما أن والده كان مهتمّا به وبإخوته على اتباع الطريق الصحيح والتربية الدينية التي لا توجد أحسن منها ،و يبدو أن نهج العلماء و المصلحين بدأ يرتسم في ذهن الإبن البكر ،حيث كان يسمع ويرى هؤلاء الشيوخ و العلماء داخل المنزل ، كيف يتناقشون و يتحادثون ، فكان ذلك مهمّا له في تكوينه .

لقد نشأ محمد خير الدين في أسرة ميزها التعاون و الاحترام المتبادل ، خاصة ما تعلق بالأرض التي علّمتهم الصبر ،فقد كانوا يملكون أرضا فلاحيه تزخر بنخيلها ومائها وخيراتها، و اهتموا بها لأنّ الأرض هي مصدر مهمّ للرّزق خاصة في الجنوب و هو عنوان الثراء في ذلك الوقت ، وقد مدح الكثير بسكرة فحسب أحد الكتاب[2] فهي عروس الزيبان العربية و عاصمة الصحراء القسنطينية، ويذكر أن بعض أدبائها يقولون إنّ بسكرة بحذف الباء منها وضم السّين وفتح الرّاء و الكاف المشددة وذلك لحلاوتها وجمال مناظرها وحسن طقسها و عذوبة مائها وكثرت نخيلها وتدفق مياهها وعروبة سكانها ،ويضيف كاتب آخر[3] إن بسكرة قد عرّفها المؤرخون منذ القديم بكثرة العمران ورواج التجارة والفلاحة ،وتربية المواشي وخدمة البساتين وأهم بضائع التجارة فيها هي التمر.

و الحق أنّ مترجمنا قد إستفاد في بداية حياته من منزله و والده كما أنّ الفلاحة أدخلته في ميدان التجارة ،وبذلك نمى فيه نشاط كبير إستغلّه في البحث عن العلم

---

(1)- محمد خير الدين: المصدر السابق، ص60.

(2)-حسن وارزقي :"**<u>جلال الصحراء وجمال النخيل في بسكرة و الزيبان العربية بعمالة قسنطينة</u>**"،جريدة النجاح،العدد 3874، 31جانفي 1951م.

(3)-.جريدة البصائر:مقال "**<u>حديث المتجول في دورته الثانية</u>**"،العدد 149، 20 جانفي 1939م، ص 06

والمعرفة ،حيث إنتقل إلى قسنطينة لينهل من منابعها ثم سافر إلى تونس ليتتلمذ على كبارعلماء جامع الزيتونة ،وقبل أن ينهي تعليمه بتونس بعام أي في سنة 1924 توفي والده ، حيث أوكلت له مسؤولية ثقيلة بعد عودته من تونس و إنهاء دراسته ، فوجد نفسه مكان والده لرعاية إخوته خاصة الأخ الأصغر عبد السلام الذي كان عمره عامين لذلك فالاهتمام بشؤون العائلة وشؤون الفلاحة أصبحا أمرين ضروريين ، فيقول الشيخ خير الدين[1] في مذكراته:<< عدت إلى الجزائر في عام 1925 وكان والدي –رحمه الله- قد توفي في أواخر عام 1924 عن عمر لم يتجاوز تسعة و أربعين عاما فألفيت نفسي أمام وضع جديد كان لزاما عليّ أن أواجه و أن أتحمّل فيه المسؤولية كاملة فقمت بتربية إخوتي و توجيههم التّوجيه السليم، وحافظت على ما ترك والدنا من ثروة الأملاك الفلاحية و التجارية ،واجتهدت في العمل على تنميتها و تنظيمها معهم>>.

لقد أتم الشيخ خير الدين نصف دينه وتزوج عام 1926[*] ، وكانت فرحة له ولوالدته وإخوته، كما حضر إخوانه من بينهم الشيخ محمد العيد آل خليفة الذي ألقى قصيدة بتلك المناسبة[**] ، وتمّ تهنئته من طرف الجميع .

وقد رزق مترجمنا فيما بعد بأبناء هم :فضيل ،عبد المؤمن ، فيصل، عقبة واصل ،معاذ ،وثلاثة بنات[2].

---

[1]-محمد خير الدين : المصدر السابق،ص70.

[*]بحفيدة الحاج أحمد بن حفيظ من بيوتات بسكرة العريقة،وكان صديقا حميما لوالده...، انظر محمد خير الدين، المصدر نفسه ،ص75.

[**]القصيدة التي ألقاها الشيخ محمد العيد آل خليفة" لله أيام الزفاف"، جريدة الشهاب، العدد 28 بتاريخ 27 ماي 1926 ،ص ص 18-20،ونذكر بعض الأبيات:

السعد فيك وفي جبينك بادي  يهنّيك أنك مطلع الإسعاد .
إني رأيت بالفخار مزملا  فاهتز من فرط السرور فؤادي.
ته (يا ابن خير الدين)وافخر بالذي  أولاك ربك من هدي و رشاد.

[2]-عقبة خير الدين ،**مقابلة شخصية** ،بسكرة: 21 ديسمبر 2004م.

كانت الظروف مضطربة في نهاية العشرينات،حيث وقع صدام بين الشيخ خير الدين وبن قانة شيخ العرب، وقد كانت واحات الزيبان تحت الحكم العسكري ، ونشاط الشيخ في فرفار وضواحيها جعل السلطات الفرنسية و عملاءها يدقون ناقوس الخطر ونظرا للمضايقات و الشكاوي التي كانت تعرقله ، إنتقل رفقة والدته وإخوته إلى بسكرة سنة 1930 التي كانت تحت الحكم المدني و هناك إشترى دارا و بستانا من النخيل وأعدّ مركزا للعمل التجاري[1].

استدعى الشيخ خير الدين عام 1934 هو و إخوته لأداء الخدمة العسكرية وفق القانون الفرنسي في الجنوب، فالذين لا يتجاوز أعمارهم ستة و ثلاثين عاما ، و يقيمون في قطاع خاضع للحكم المدني و مدة الإقامة تتجاوز السنة أو أكثر، فهم ملزمون بالخدمة العسكرية ، ولأنّ شيخنا قد إنتقل إلى بسكرة قادما من واحات الجنوب، و أقام بها أكثر من سنة فقد كان ضمن المجنّدين، فا ستدعي هو و إخوته الأربعة لكن الشيخ ــ حسب ما ذكره في مذكراته ــ إتصل سرّا بالسيد الحاج إسماعيل القسنطيني الكاتب المكلف بالشؤون العربية، و المسؤول عن الوثائق في إدارة الحاكم العسكري ببسكرة ،حيث قدم المساعدة له و لإخوته، و زاد في عمر كل واحد منهم عشرة سنوات و لذلك تخلّصوا من التجنيد في صفوف الجيش الفرنسي[2].

و الحق أنّ إنتقال مترجمنا من قرية صغيرة إلى مدينة بسكرة التاريخية هي بداية لمرحلة مهمة في حياته، في المجالين المادي و الإصلاحي ، فالأول كان بتعاون جميع إخوته، و الثاني كان بمفرده حيث سينضمّ إلى الحركة الإصلاحية، التي قادها الشيخ الطيب العقبي ببسكرة ، وكان مترجمنا و أسرته من الذين أيّدوه و ناصروه [3] وبالتالي إنفتح الباب الإصلاحي أمامه و تبدأ مسيرة جديدة وطويلة في نضاله الوطني .

---

[1]-محمد خير الدين : المصدر السابق ،ص 70.

[2]- المصدر نفسه ،ص ص 239-240.

[3]- محمد علي دبوز : **نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة** ،ج2،ط1، المطبعة العربية ، الجزائر:1981،ص 109.

المبحث الثاني :تعليمـــه و رحـــلاتـــه.

لقد بدأت رغبة محمد خير الدين في التطلع نحو العلم و المعرفة منذ أن كان طفلا ، فقد ذكرت سابقا أن هناك شيوخا وعلماء كانوا يزورون بيت والده ، وكان يسمع ويرى ما يدور بينهم من حديث ونقاش ،كما أنّ والده حرص على تعليم أبنائه القرآن الكريم و قراءة المتون العلمية ، و إقامة الصلوات وبذلك فقد تعلّم الابن البكر الكتابة و القراءة،و أتمّ حفظ القرآن.

و حسب رواية أحد الشيوخ، فمحمد خير الدين و أخوه عبد القادر كانا يذهبان إلى زاوية الشيخ علي بن عمر بطولقة[*]، التي تبعد عن فرفار بحوالي ستة كيلومترات ،وذلك قبل الفجر يصليّان و يتعلمان فيها الفقه، والنحو ، والفرائض ،و قراءة القرآن على يد الشيخ المدني ، والشيخ الحاج بن علي بن عثمان وغيرهما[1].

لم يكن في بلدة فرفار من يدرّس الطلاب لكن الله يسّر الظروف لخير الدين للذهاب بعيدا في طلب العلم و المعرفة الذي هو مفتاح ثقافات الشعوب و تحضّرها لذلك كان من الواجب على مترجمنا أن يسافر و يقوم برحلات بحثا عن العلم ، فقام برحلتين هامّتين جعلتا منه فيما بعد قائدا من قادة الإصلاح في الجزائر، فالأولى كانت نحو قسنطينة، و الثانية باتجاه جامع الزيتونة بتونس .

فالرحلة الأولى نحو قسنطينة كانت المحطّة الأولى التي أخذ منها محمد خير الدين ينابيع العلم ، و السبب في رحلته هو والده الذي زار قسنطينة في أكتوبر 1916

---

[*]-كان ببلدة طولقة دار للقرآن الكريم والعلم الشريف والأدب الإسلامي دار سيدي علي بن عمر وهي من ديار الرحمانية الخلوتية، ولا تزال عامرة بطلبة القرآن الكريم ودروس الفقه والتوحيد واللغة العربية والأدب الإسلامي، ولا تزال محافظة على النظام القديم الذي كان عليه الأسلاف ،وكان بها من كبار العلماء من تزال آثارهم العلمية باقية، ومنهم الشيخ الحاج بن علي بن عثمان الذي أسس بالزاوية المذكورة مكتبة علمية عظيمة الشأن وجلب أليها أنفس الكتب القديمة الحديثة وهي مكتبة لا تقدر بقيمة في هذا العصر ،أنظر : حسن وارزقي"**جلال الصحراءوجمال النخيل في مدينة بسكرة والزيبان العربية بعمالة قسنطينة**".جريدة النجاح ،العدد 3874، 31 جانفي 1951م.

[1]- عبد القادر عثماني: **مقابلة شخصية**، بسكرة :24 ديسمبر 2004.

لقضاء بعض شؤونه وتوجه أثناء الصلاة إلى "مسجد الأربعين شريفا"[*]،وصلى به[1]وحضر درس إمامها الشيخ الطاهر بن زقوطة [**]،وبعد الفراغ من الدرس تحدّث الوالد مع الإمام هذا الأخير سأله إذا كان أحدهم قد أتمّ حفظ القرآن فأجابه الوالد بأنّ الابن الأكبر قد أتمّه، فعرض عليه الشيخ الطاهر أن يبعثه إلى قسنطينة ليتعلم، وبالفعل فقد سافر محمد خير الدين إلى قسنطينة ،وعندما وصل إتّجه إلى مسجد "الأربعين شريفا" ووضع أغراضه في بيت أعد له[2] .

والحق أنّ مدينة قسنطينة كانت بها حركة علمية منقطعة النظير، وكان بها ثلاثة مراكز تعليمية وهي :الجامع الأخضر، ويدرّس فيه الشيخ عبد الحميد بن باديس يضم 200 طالب ؛ جامع الكتاني يدرّس فيه الشيخ أحمد الحبيباتني و يضم حوالي 50 طالب ؛و مسجد " الأربعين شريفا " يدرّس فيه الشيخ الطاهر بن زقوطة ويضم حوالي 20 طالب[3].

بدأ خير الدين دروسه سنة 1916 على يد أستاذه الشيخ الطاهر الذي يقول عنه الشيخ أحمد الحماني[4]:<< و قد عرفت الشيخ الطاهر خطيب جامع (سيدي الكتاني أو صالح باي) و كان عظيم التحصيل كفؤ في مهنته، يشتغل بتلقين الطلبة الواردين مختلف الفنون الإسلامية و العلوم العربية >>، أما الشيخ خير الدين[5] فيقول في

---

[*]جامع الأربعين شريفا :هو المعروف اليوم بهذا الإسم في نهج الأربعين شريفا (نهج الشيخ إبن باديس ) وقد أدخل الفرنسيون عليه تغييرات و أضافوا إليه مكاتب المحكمة الشرعية الإسلامية بعد نقلها من جامع سيدي محمد بن ميمون ...،أنظر محمد المهدي بن علي شغيب : **أم الحواضرفي الماضي و الحاضر ،تاريخ مدينة قسنطينة** ،مطبعة البعث ،1980،ص247.

[1]- محمد خير الدين : المصدر السابق،ص62.

[**]الطاهر بن زقوطة : من مشاهير علماء قسنطينة كان إماما خطيبا و مدرسا بمسجد سيدي الكتاني بسوق العصر ، ولبث في الإمامة والتدريس مدة طويلة و كانت و فاته بقسنطينة في 11 نوفمبر 1948.أنظر محمد المهدي بن علي شغيب : المرجع السابق ،ص 317.أنظر أيضا أحمد الحماني : المصدر السابق ، ص279.

[2]-محمد خير الدين : المصدر السابق ،ص ص 62-63.

[3]- المصدر نفسه ،ص 63.

[4] أحمد حماني: المصدر السابق، ص 279.

[5]- محمد خير الدين :المصدر السابق ، ص 64.

مذكراته :<< تلقّيت الدرس الأول عام 1916 على يد الشيخ الطاهر في علم النحو وتابعت دراستي فقرأت عليه كتاب( الأجرومية ) في النحو ، ومنظومة( الرحبية ) في الفرائض و (الرسالة)لابن أبي زيد القيرواني في الفقه >>.

يمكن القول أنّ مترجمنا قد إستفاد من العلوم التي تلقّاها على يد شيخه الطاهر في مدة عامين مع ملء فراغه بتلاوة القرآن و حفظ المتون العلمية، كما أنّه تعرّف على الكثير من الطلبة و الشيوخ و إتسع أفقه خاصة في العام الثاني حيث قدم الشيخ الصالح الرحابي الرياحي الدراجي من تونس بعد أن أتم دراسته بجامع الزيتونة فنزوله ضيفا على الشيخ الطاهر جعل التلاميذ يلتفّون حوله و يسألونه بشغف عن كل ما يتعلق بالدراسة في هذا الجامع العظيم [1]، وهنا كان المنعرج الحاسم لمترجمنا حيث قرّر أن يكمل دراسته بالزيتونة .

أما الرحلة الثانية فقد كانت إلى تونس ، حيث إلتحق بالزيتونة عام 1918م، بعد أن تعلّم بقسنطينة سنتين ، إنتهل منها بعض العلوم لكن شغفه لمزيد من العلم و المعرفة و سماعه لأخبار الجامع، و ما فيه من مزايا دفعه إلى الارتحال ، فعندما انتهت الدراسة، قضى عطلته الصيفية بقريته، و لمّا جاء الخريف كان قد أعدّ الزّاد لرحلته فانطلق دون أن يخبر أحدا ، وأثناء وصوله إلى تونس إكترى دارا ثم توجّه إلى الجامع ليسجل نفسه ، وقد تعجب لما رآه عندما دخل إليه، و يذكر ذلك في مذكراته[2] فيقول :<< ثم دخلت الجامع فهالني ما رأيت من فروق واضحة بين الحياة العلمية في هذا المسجد العامر و الحياة العلمية في مدينة قسنطينة ، فقد شاهدت عشرات الحلقات العلمية يقوم بإلقاء الدروس فيها أساتذة أجلاّء ...،ينهمر العلم من أفواههم كالسيل الدافق وقد جلس التلاميذ لسماع الدروس ...،وعلى سيماهم الرغبة الصادقة ...على يمين المحراب وشماله خزائن الكتب التي تبرع بها الخيّرون ...،هناك مكتبة " العبدلّية " الكبيرة الواسعة ...>>.

---

(1)- محمد خير الدين:المصدر السابق، ص64.

(2)- المصدر نفسه، ص 65.

إنتظم محمد خير الدين في سلك الدراسة بعد أن سجّل نفسه، و ملأ الأوراق الخاصة بالتسجيل و أخذ الدفتر الخاص بالحضور و الغياب و السلوك والنتائج، وقضى بالزيتونة سبع سنوات منكبّا على تحصيل العلم.

كان جامع الزيتونة ذا أهمية علمية بالغة، فكانت مقصد الجميع من كل صوب وحدب و يذكر أحد الكتاب[1] أنّ عدد طلبتها بلغ في العقد الثاني للقرن العشرين عشرة آلاف طالب يكوّنهم أساتذة بارعون[*] ،وكان الطالب يتخصّص في العلوم الشرعية والعربية فيتقنها كما يدرس الكتب العديدة في كل علم فيتقنه أيضا ، وكانت الزيتونة معهدا إعداديا و ثانويا و عاليا ، وبعد دراسة سبع سنوات يتحصّل الطالب على شهادة التطويع[**] ،و هي أعلى الشهادات في ذلك الوقت ، كما أنّ الطالب يختار من يعجبه من الأساتذة .

لقد كانت الصحف والمجلات التونسية تنشر نشاط بعض الطلبة فقد نشرت مجلة النهضة تشطير بيتين للزاهري و الذي قام به البسكري محمد خير الدين في 26 جانفي 1924م [2]، و بعد أن أكمل خير الدين سبع سنوات من الدراسة أصبح مرشحا للحصول على الشهادة النهائية، و هي شهادة " التطويع" ،و بالتالي كان لزاما عليه أن يقوم بالامتحان ،حيث يشرف على هذا الامتحان مجلس شرعي برئاسة شيخ الإسلام

---

[1]-محمد علي دبوز : المرجع نفسه ،ص 58.

[*]-منهم الشيخ محمد بن يوسف ، والشيخ الطاهر بن عاشور ، والشيخ بلحسن النجار ، والشيخ الصادق النيفر و الشيخ البشير النيفر و الشيخ محمد النخلي وغيرهم ، انظر محمد علي دبوز : **أعلام الإصلاح في الجزائر ، عام1921- 1975**، ج1 ،ط1 ، مطبعة البعث، 1974، ص 57.

[**]كان تلاميذ الزيتونة يقضون من خمس إلى سبع سنين عادة من أجل الحصول على شهادة كانت باسم " التطويع" ثم أعطيت إسم "التحصيل" وذلك باتفاق أعضاء لجنة الإصلاح التعليمي الزيتوني في جلستها ليوم 19 نوفمبر1924، وقد سماها قانون الاصلاح لعام 1933 رسميا بهذا الاسم فعلا غير أن التلاميذ لم يبدأو بالتقدم لامتحان هذه الشهادة باسمها الجديد إلاّ سنة 1936، ومعنى شهادة التطويع أنها تخوّل لحاملها التدريس تطوعا بجامع الزيتونة مع إجراء امتحان – أنظر علي الزيدي :"**الوضع العام بالتعليم الزيتوني حتى إصلاح سنة 1951م**"، المجلة المغربية التاريخية ، عدد 33-34تونس،جوان 1984م،ص105.

[2]محمد الصالح الجابري :**النشاط العلمي و الفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962**، الدار العربية للكتاب ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر : 1983م،ص 366.

وقاضيين أحدهما حنفي و الآخر مالكي كما يحضر أيضا النّاظر العام للجامع والمدرّسون و عدد من الطلاب و كان الطالب يجري ثلاث مراحل : كتابية ، شفوية تطبيقية.

و الحق أنّ الطالب خير الدين كانت تغمره رغبة صادقة و حماس دافق، كيف لا و هو الذي قضى سبع سنين كاملة في الكدّ والجدّ، فتقدّم إلى الامتحان في شهر جوان عام 1925م فكان موضوع مقالته (القسمة عند فقهاء المالكية ) فأجاد في عرضها وتفصيلها، أما موضوع الدرس فكان في مادة النحو وهو شرح بيتين من ألفية إبن مالك إستغرق فيها ساعة من الزمن في الشرح مقدّما الأدلة العلمية ، وقد أثنى عليه أعضاء اللجنة خاصة الشيخ الطاهر بن عاشور، كما أثنى على كل طلاب العلم الجزائريين [1] بعد ثلاثة أيام علّقت النتائج على جدران الجامع الأعظم ،و تحصّل الطالب محمد خير الدين على الرتبة الثانية من بين خمسين طالبا ناجحا[2].

لقد أعلنت أسماء الناجحين في جامع الزيتونة المعمور في الصحف و الجرائد الجزائرية فقد كتبت جريدة النجاح[3] في أحد أعدادها :<< فاز في إمتحان الكلية الزيتونية هذه السنة العلماء الأجلاّء المشايخ السادة : الطيب بن الشيخ الهاشمي من وادي سوف ...،محمد بن خير الدين الفرفاري فنهنّئهم بالدرجة العلمية التي حصلوا عليها بفضل كدّهم و ألمعيتهم كما نهنّئ القطر الجزائري بهم>> .

لم تتوقف الإعلانات عن الناجحين، و التهنئة بهم في الصحف و الجرائد فقط بل هناك من كتب شعرا فأحد الشعراء بطولقة كتب قصيدة [*] يهنئ فيها الشيخ محمد خير

---

[1] محمد خير الدين ، المصدر السابق ،ص ص65-66.

[2] المصدر نفسه،ص66.

[3] جريدة النجاح : مقال"**<u>العلماء الجدد من كلية الزيتونة</u>** "،العدد 216، 10 جويلية 1925م.

[*] بعض الأبيات من القصيدة :

أهني خليلي صاحب العز و الفضل ... بتهنئة حفت علي لذي القدر

وحين رأيت في الجزائر فوزكم ... كساني سرور الجذل يا طلعة البدر

أيا ابن خير الدين يا نافث الشهد ... هنيئا بهذا الفوز يا غرة الدهر

حباك إله العرش بأبهج خطة ... لقد نلتها بالجد و الكد و السهر.

الدين بإحرازه على شهادة التطويع بالجامع الأعظم بتونس نشرت في جريدة النجاح[1].

لقد إستفاد الشيخ محمد خير الدين من رحلته إلى تونس، و قبلها إلى قسنطينة حيث حصل على أعلي الشهادات العلمية في ذلك الوقت من الزيتونة ، وإستزاد بالعلم و الثقافة العربية الإسلامية من جهة أخرى،و يبدو أنّ مترجمنا قد إستفاد أمورا أخرى على حسب ما ذكر في مذكراته أشعلت فيه الروح الوطنية، حيث أنّه حضر بعض المظاهرات التي وقعت في تونس ضد الفرنسيين، و هذا ما أثر في تكوينه و هيّأه لمجالين هما الإصلاح الديني و الإصلاح الوطني فيقول :<< و هكذا إستفدت من إقامتي بتونس-زيادة على العلم-بزاد آخر سياسي وإجتماعي ثري،ورجعت إلى الجزائر مؤمنا بأنّ نهضتنا تتحقق بالعمل في المجالين السابقين ، إحياء الدين ،و إذكاء روح النهضة بين المواطنين >>[2].

[1]محمد النوار بن عبد المجيد : "تهنئة"، جريدة النجاح ، العدد 220 ، 7 أوت 1925م.

[2]محمد خير الدين ، المصدر السابق ،ص68.

**المبحث الثالث :وظائفه و مسؤولياته.**

يعتبر الشيخ محمد خير الدين من أبرز قادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فعلمه و عمله وحنكته عوامل جعلته يتقلد عدة وظائف و مسؤوليات خلال مسيرة حياته النضالية، فأيامه كلها كانت تنقلات مستمرة في مختلف مدارس و مساجد أنحاء القطر وإجتماعات و مهام قلّ من كان يقوم بها و يتقنها ،و هذا باعتراف أساتذته و زملائه في الجمعية و على رأسهم الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس ،وذكر مترجمنا ذلك في مذكراته فيقول :<<و كان من عادته –رحمه الله – أن يداعبني و يشد من أزري كلّما إشتدت الأزمات بترديد هذه العبارة ( قضية ولا أباحسن لها)>>[1].

و الحق أنّ الشيخ خير الدين قد مارس عدّة وظائف و مسؤوليات وقد إستخرجتها من الوثائق والكتب و الشهادات ، و بالتالي يمكن تقسيمها إلى ثلاث مجالات ، الأول في إطار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، و الثاني خلال الثورة التحريرية و أخيرا بعد الاستقلال .

وفيما يخص جمعية العلماء التي تأسست في 5 ماي 1931 كان لشيخنا دور بارز إلى جانب أقرانه من العلماء ، فهو من المؤسّسين الأوائل للجمعية، حيث حضر إجتماع الروّاد عام 1928م[2]، مع الشيخ عبد الحميد بن باديس و الشيخ محمد البشير الإبراهيمي و الشيخ مبارك الميلي و الشيخ الطيب العقبي و الشيخ العربي التبسي الشيخ السعيد الزاهري ، وكانت أول مسؤولية كلّفه بها الشيخ عبد الحميد بن باديس هو الوعظ و الإرشاد في منطقة فرفار و ضواحيها، و منذ تأسيس الجمعية إلى غاية حل نفسها عام 1956تولى عدة وظائف و مسؤوليات وهي كالآتي :

---

(1)محمد خير الدين ، المصدر السابق،ص283.

(2)المصدر نفسه،ص ص70-71.

- عين كعضو مستشار في الاجتماع الثاني للجمعية عام1932[1]،ثم أصبح مراقبا عاما لها .

- تولى إمتياز جريدة البصائر منذ صدورها في 27ديسمبر1935إلى أن توقّف عند العدد 180في 25اوت1939، و الجمعية هي التي أوقفتها حتى لا تكون مضطرّة لنشر ما يخالف مبادئها و كذلك فعلت بمجلة الشهاب.

- عيّن كعضو في اللجنة التنفيذية للمؤتمر الإسلامي عام 1936م.

- تولّى تسيير جمعية"إعانة الفقراء"ببسكرة إلى جانب الدكتور سعدان[2].

- عيّن كاتبا عاما لمدرسة الإخاء للتربية و التعليم ببسكرة عام1931.

- جال في طول أنحاء القطر الجزائري لتأسيس المدارس و تدعيمها و للوعظ والإرشاد ،و إذكاء روح النضال و تحرير الناس من الخرافات و الدروشة[*].

- شارك في " البيان الجزائري"في فيفري 1943 إلى جانب فرحات عباس وممثلين آخرين لمختلف الاتجاهات الوطنية .

- تولى نيابة رئاسة جمعية العلماء في عهدها الثاني من 1946إلى 1956، إلى جانب الشيخ العربي التبسي.

- تولى نيابة إدارة معهد إبن باديس بقسنطينة الذي تأسّس سنة 1947[*].

---

[1] تم تجديد المجلس بعد مشاكل خطيرة أدت إلى طرد رجال الزوايا و المرابطين من الجمعية و من هنا بدأت الانطلاقة الحقيقية للجمعية –أنظر عمار طالبي: **كتاب آثار ابن باديس**،ج1،ط1، دار النهضة العربية، بيروت: 1968،ص ص20 -22 .

أيضا انظر: Ali merad : **le reformisme musulman en algerie 1925à1940, assai d'histoire religieuse et social**, deuxieme éditions, el hikma alger 1999,pp 117-118.

[2] عمارهلال: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1962م**،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر: 1995،ص273.

[*] من أهم الأمور التي قررتها جمعية العلماء منذ تأسيسها و نفذتها بالفعل إيفاء و فود من شيوخ إدارتها يتجولون في بلدان القطر في ظرف كل سنة لتعريف الأمة بالجمعية ...،أنظر فرحات بن دراجي:"**وفود جمعية العلماء في القطر**"، جريدة البصائر ، العدد 35 ،18 سبتمبر 1936،ص08.

- ترأس لجنة التعليم التي كانت تشرف على المدارس وتنظيم شؤونها .

- تولى منصب "أمين مال الجمعية" بعد وفاة الشيخ مبارك الميلي.

- كان عضوا مؤسسا في جبهة الدفاع عن الحرية و إحترامها ،التي تأسست في أوت 1951م ،ومعه الشيخ العربي التبسي ،وقد شاركا باسم جمعية العلماء إلى جانب إتجاهات أخرى[1].

و الحق أنّه لا يمكن حصر ما قام به الشيخ خير الدين من وظائف و مسؤوليات في سطور و إن كانت ستكتمل بانضمامه و إنضمام الجمعية إلى الثورة التحريرية التي اندلعت في أوّل نوفمبر 1954.

لقد إنضمّ الشيخ خير الدين إلى الثورة، كما إنضمّ كل جزائري غيور على وطنه فقد لبّى نداء جبهة التحرير الوطني، و إلتحق بركب الكفاح كما إلتحق أقرانه من العلماء كالشيخ العربي التبسي، و الشيخ أحمد حماني و غيرهما، مما زاد في قوة وصلابة الثورة، أما الوظائف والمسؤوليات التي مارسها أثناء الثورة فهي:

- عين كممثل لجبهة التحرير الوطني في المغرب.

- شارك في مؤتمر طنجة المنعقد من 27-30 أفريل 1958إلى جانب فرحات عباس ، عبد الحفيظ بو صوف ،عبد الحميد مهري، أحمد فرنسيس وأحمد بو منجل.

- عين كعضو بالمجلس الوطني للثورة الجزائرية.

---

[*]كان نائب المدير فعندما يذهب الشيخ العربي التبسي إلى تبسة لأنه كان متعودا على الذهاب إلى مسقط رأسه ، فينوبه الشيخ خير الدين، و كان متمكنا من إدارة المعهد ، معلومات أخذتها عن الشيخ محمد الصالح رمضان ، **مقابلة شخصية** ،الجزائر العاصمة: 21 جوان 2005.

أنظر أيضا:البشير الإبراهيمي :**آثار البشير الإبراهيمي** ،جمع وتقديم الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي ،ج2،دار الغرب الإسلامي ، بيروت: 1997،ص ص356-357.

[1]جريدة المنار:مقال" **لجنة إنشائية لتأسيس جبهة جزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها** " ، العدد 6 ،30 جويلية1951،ص 01 .

يمكن القول أنّ وظائف و مسؤوليات الشيخ خير الدين أثناء الثورة لم تكن أقلّ أهمية من سابقاتها، لكنها كانت في ظروف كان فيها الاستعمار الفرنسي، قد ضاعف قواته و إزداد شراسة ،و شدد المراقبة على القطر الجزائري خاصة بعد إستقلال تونس و المغرب سنة 1956م، فكانت المهام محفوفة بالمخاطر لكن في سبيل الحرية والاستقلال قدم إلى جانب أبناء وطنه النفس و النفيس و دفعوا فاتورة قيمتها مليون ونصف مليون شهيد.

أما بعد الاستقلال فقد مارس مترجمنا بعض الوظائف و المسؤوليات القليلة نظرا لتقدمه في السن ،كما أنّه قد أفرغ جلّ جهده في مرحلة الكفاح ضد الإحتلال الفرنسي و هذه الوظائف هي:

- عيّن نائب بأوّل مجلس و طني جزائري مستقل من 1962إلى 1964[1].

-شارك في أول مجلس إسلامي أعلى في الجزائر سنة 1966 و عيّن كعضو[2].

- عين كرئيس شرفي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي توقفت عن النشاط منذ الاستقلال – لأن سياسة الحزب الواحد منعت أي نشاط آخر- إلى عام 1991 أين إعتمدت رسميا، و بدأت نشاطها سنة 1999[3]،و في ذلك الوقت كان الشيخ خير الدين قد التحق بالرفيق الأعلى سنة 1993م.

---

(1)محمد الحسن فضلاء: **من أعلام الإصلاح في الجزائر** ،ج2، مطبعة هومة للنشر و التوزيع ، الجزائر: 2000،ص 10.

(2)عبد الرحمان شيبان : **مقابلة شخصية** ،الجزائر العاصمة،4 أفريل 2005 ، أيضا أنظر إبراهيم بيوض بن عمر : أعمالي في الثورة ، نشر جمعية التراث ، الزيتونة للإعلام و النشر ، باتنة ، الجزائر: 1990،ص75.

(3)بشير كاشة الفرحي : **الشيخ أحمد الحماني ، العالم المجاهد المجتهد**، دار الآفاق ، الجزائر: 2004،ص ص75-78.

**المبحث الرابع:وفـــاتـــه و آثـــاره.**

لقد عاش الشيخ محمد خير الدين واحد وتسعين عاما،فترة كان جزءها الأكبر قد عاشه أثناء الفترة الاستعمارية ،حيث كرّس حياته في سبيل الدّفاع على مقومات الشخصية الوطنية من لغة ودين في إطار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ثم جنديا في الثورة التحريرية ، أمّا بعد الاستقلال فنشاطه كان محدودا و قليلا نظرا لتقدمه في السن ، ومنذ بداية الثمانينات مال إلى العزلة وقراءة الكتب ، ويقول أحد الكتاب : << ...ثم مال إلى العزلة في منزله معتنيا بالقراءة و التأمل و إقتناء الكتب الثمينة و المخطوطات النادرة ، وتمكّن من إنشاء مكتبة عظيمة يعتزّ بها ،و يعمل لإنمائها ،و كثيرا ما كان يستقبل في داره إخوانه القدماء-وهم كثيرون- من علماء وسياسيين و مناضلين و تجار و محترفين يحمل له الجميع الاحترام و التقدير و الثقة ويجدون في حضرته الأنس و الذكريات العطرة>>[1] .

توفي الشيخ محمد خير الدين – رحمه الله - يوم الجمعة 26 جمادى الثانية 1414ه ، الموافق ل 10 ديسمبر 1993[2]،في الجزائر العاصمة بعد مرض عضال ثم نقل جثمانه إلى بسكرة و دفن في 11 ديسمبر بعد صلاة العصر في روضة أسرته بمقبرة البخاري ،و قد قام بتأبينه الشيخ علي المغربي بكلمة شملت معظم محطات حياته،و شيّعت جنازته في موكب عظيم ، وقد حضر الجنازة ، شخصيات علمية وثقافية بارزة منها محمد الصالح يحياوي ، محمد الشريف مساعدية ، محمود الواعي سليمان الشيخ ، محمد سعيدي وغيرهم[*]،وقد ألقيت قصيدة تأبينية كتبها الشيخ أحمد سحنون[3]،و نظرا لمرضه فقد أوكل الشيخ محمد الطاهر فضلاء [**].

---

[1]أحمد حماني : المصدر السابق،ص384.

[2]أحمد سحنون : "**تأبين شيخي العظيم الإمام محمد خير الدين**"،مجلة الموافقات، العدد 03 ، الجزائر: جوان 4 199 ،ص381.

[*]الأخضر رحموني : **مقابلة شخصية** ،بسكرة: 23 ديسمبر 2004 م .

[3] أحمد سحنون: المرجع السابق ،ص382.

إلتحق الشيخ محمد خير الدين بالرفيق الأعلى، وخلف آثارا لكنها ليست بالكثيرة فلم يترك سوى بعض من المقالات التي نشرت في البصائر و الشهاب، فهو من ذلك الصنف من رجال الإصلاح الذين كانوا يفضّلون إعداد الرجال الأبطال و تهيئة النشء الجديد على تأليف الكتب و نفس الشّيء بالنسبة لغالبية رفقاء و تلاميذ الشيخ إبن باديس وذلك بسبب انشغاله بالتعليم وتنقله بين مدارس جمعية العلماء في مختلف أنحاء القطر الجزائري، ومحاربة الطرقيين، و القيام بالوعظ و الإرشاد في المساجد ، أما أثناء الثورة التحريرية، فقد خصّص كل وقته للكفاح المسلح من أجل تحرير البلاد ،وبعد الاستقلال، شارك في الحياة السياسية إلا أنّ مشاركته لم تتعد العقد الثاني نظرا لتقدمه في السن إضافة للمضايقات التي كان يتعرض لها ممّا أدّى إلى انعزاله نهائيا ،ومن الآثار التي خلفها مترجمنا ما يأتي:

1- خلف مكتبة هائلة زاخرة بشتى أمهات الكتب القديمة و الحديثة من كل فن من فنون المعرفة ،وقد قدمها هدية لمكتبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية (تحتوي على 770 كتابا )، نجد في الديانات (251كتابا )، في التاريخ (184كتابا) ،في الآداب (102كتابا) ،في المعارف العامة(33 كتابا) ،في الفلسفة(25كتابا) ،في العلوم الاجتماعية(41كتابا)، اللغات(17كتابا).

2 ـــ أصدر مذكراته في جزأين:

الكتاب الأول: يشتمل على كل نشاطه من صغره حتى قيام الثورة التحريرية . صدر عام 1985 م.

الكتاب الثاني : تحدّث عن كل نشاطه من قيام الثورة التحريرية إلى غاية الاستقلال د-ت ، ثم أعادت مؤسسة الضحى طبعهما عام 2002.

---

(**) لقد تحصلت(الباحث) على نسخة( مخطوط) من هذه القصيدة التأبينية التي كتبها الشيخ أحمد سحنون، وقد نشرت في مجلة الموافقات العدد السابق ، وقد أعطاني إياها الشاعر الأخضر رحموني (عضو الجمعية الخلدونية للأبحاث و الدراسات التاريخية ببسكرة)، على هامش الملتقى الذي نظمته الجمعية الخلدونية حول العلامة عبد الرحمن الأخضر ي من 21 إلى 23 ديسمبر 2004 م ، و ذكر لي بأنه تحصل على نسخة من تلك القصيدة في اليوم الذي ألقيت فيه .أنظر الملحق رقم:

3- له مجموعة من المقالات التي كتبها في جرائد و صحف الجمعية و قد كتب الأغلبية منها في البصائر، و بعضها في الشهاب ، وهي تعالج مختلف المواضيع الدينية و التعليمية .

4- قام بتصدير مجموعة جريدة البصائر من ديسمبر 1935 إلى جانفي 1937 بطلب من الشيخ محمد الحسن فضلاء –أحد تلاميذ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين – و كان ذلك عام .1984

5- خلّف مقالا ممتازا بعد الاستقلال في مجلة الثقافة العدد 81ماي-جوان 1984 عنوانه "مناقشات حول خلافة ابن باديس".

6- ترك أثرا ماديا هو مسجد " السنة[*]" الذي بناه في الثمانينات بمدينة بسكرة.

---

[*]زرت (الباحث) المسجد بمدينة بسكرة و أخذت صورا عنه ، فتصميمه يشبه جامع الزيتونة لكن أصغر حجما ، ويبين إعتزاز الشيخ خير الدين بالزيتونة التي كانت إحدى المحطات الأساسية في حياته الدراسية .

**خـــاتمـــة الفصـــل:**

من خلال ما سبق عرضه و مناقشته خلال هذا الفصل يمكن أن نستخلص النتائج الآتية :

**أولا-** لقد كانت نشأة الشيخ خير الدين في ظروف ميّزها الوجود الاستعماري الذي كان حكمه عسكريا في الجنوب ، ممّا ولّد في نفسه الحقد و الكراهية تجاه هذا الأجنبي المحتل خاصة أنه كان هو و أبناء منطقته محرومين من حقهم في التعلّم، و لم يكن في قريتهم من يدرّس الطلاب ، كما أنّ الفضل من انتقاله ليتعلم في قسنطينة يرجع إلى والده حيث سمحت له الدراسة في قسنطينة بالانتقال إلى جامع الزيتونة حيث نال قسطا كبيرا من العلم و المعرفة.

**ثانيا-** لقد سمحت له شهادته –شهادة التطويع العالمية- و علمه بالالتحاق بصفوف الحركة الإصلاحية ،و الانضمام إلى جمعية العلماء المسلمين ،حيث اصبح من القادة البارزين، و مارس في إطارها عدة مسؤوليات ،كما أنه شارك في عدة أحداث سياسية نظرا لحنكته السياسية ، مما أدّى بجبهة التحرير الوطني أثناء الثورة التحريرية المظفرة إلى تعيينه كممثل لها في المغرب الأقصى إلى غاية الاستقلال.

**ثالثا** – يمكن أن نعتبر الشيخ خير الدين من الذين صنعوا تاريخ هذا الوطن إلى جانب أقرانه من العلماء، و باقي الرجال من مختلف المشارب السياسية ، ففي جنازته حضرت شخصيات علمية ،و سياسية، و ثقافية بارزة تقديرا له ولوطنيته، و تكريس حياته خاصة مرحلة شبابه خدمة و دفاعا عن الدين و اللغة و الوطن ضد الإحتلال الفرنسي.

## الفصـــــل الثالـــــث:

## جهـــوده في مـــجال التـــربية والتـــعليم.

**المبحث الأول** : مكانته في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

**المبحث الثاني** : فكره الإصلاحي

**المبحث الثالث** : دوره التربوي.

**المبحث الرابع**: نشاطه الصحفي.

يتناول هذا الفصل الجهود الإصلاحية التي قام بها الشيخ محمد خير الدين في مجال التربية و التعليم، ودراسة مكانته في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ثم نظرة الشيخ للإصلاح، ثم دوره في الجانب التربوي الذي هو من ركائز الجمعية، وأخيرا نشاطه الصحفي.

**المبحث الأول:مكانته في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.**

الشيخ محمد خير الدين رائد من الروّاد الأوائل ،و عالم من علمائها المصلحين وأحد أقطاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،وكان من جيل الرجال العمالقة و على رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس و معه الشيخ الإبراهيمي ، والشيخ مبارك الميلي والأستاذ أحمد توفيق المدني ،و الشاعر محمد العيد آل خليفة و الشيخ العربي التبسي وغيرهم كثيرون ، وهذا يبين ما للجزائر من رجال عمل معظمهم تحت راية الإسلام في نطاق جمعية العلماء ، لقد ترك هؤلاء العظماء على صفحة الجزائر المجاهدة أخاديد عميقة، ورفعوا في سمائها منارات مضيئة[1].

و الحق أن مكانة الشيخ خير الدين إفتكّها منذ السنوات الأولى للعمل الإصلاحي الذي قاده ابن باديس في العشرينيات ، فقد حضر مترجمنا إجتماع الرواد سنة 1928م وكلّفه الشيخ إن باديس بالوعظ و الإرشاد في "فرفار" و ما جاورها من قرى واحات الزيبان[2]، و بذلك يمكن أن يعتبر من الرواد الأوائل الذين و ضعوا الأساس الأول لميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 5 ماي 1931 م، لكنه لم يكن من أعضاء مجلس الإدارة الأول نظرا لانضمام ممثلي الزوايا و المثقفين أشخاص عاديين ،وابن باديس لم يشأ أن يكون عدد العلماء المصلحين هم الأغلبية كي لا يلفت انتباه الإدارة الفرنسية وحتى أصحاب الزوايا و المرابطين حتى لا يقضي على الحركة في مهدها ، وبالتالي فالتقريب بين جميع الشرائح المثقفة في البلاد [3]، و ظهر إسم الشيخ خير الدين في مجلس الإدارة بعد الانشقاق الذي وقع عام 1932م حيث تم إخراج ممثلي الزوايا و المرابطين بعد صراع عنيف قاده ابن باديس وزملاؤه سمح للحركة الباديسية بالإنطلاق[4].

إنّ سنة 1932م لم تكن سنة تسوية الحركة الإصلاحية الباديسية ،لكن كانت أيضا نقطة بداية إرساء جذورها عبر مختلف أنحاء القطر الجزائري ، وأصبح الشيخ خير الدين

---

[1]بسام العسلي: المرجع السابق، ص07.

[2]محمد خير الدين : المصدر السابق ،ص ص 71-73.

[3] Ali Merad : op.cit ,p.17.

[4]عبد الحميد ابن باديس :"**جمعية العلماء المسلمين في عامها الثاني**"،مجلة الشهاب،مج 8، ج8 ،أوت 1936م ،ص400.

مراقبا عاما للجمعية(*)، حيث كان يراقب كل نشاطات الجمعية و هي في الحقيقة مهمة صعبة ، كما أن هذه المكانة جعلت الشيخ يتحرك في كل الاتجاهات خدمة لمبادئ الجمعية التي دافعت عن الدين و اللغة و الوطن .

لقد كان الإمام ابن باديس يعتز كثيرا بالشيخ خير الدين ،فأثناء تجديد المجلس الإداري عام 1938م و أثناء التعريف بأعضائها قال:<< و ثالثهم الشيخ محمد خير الدين عميد الحركة الإصلاحية في بسكرة و ضواحيها و هو -من بين إخوانه- ممتاز بحسن التدبير التجاري و الفلاحي، الذي قلّ أن لا يعود عليه بالأرباح لكنه كثيرا ما ترك ذلك في سبيل خدمة الجمعية بذلك التدبير ، وهو مراقب الجمعية العام >>[1] ، لم يقتصر هذا على الإمام ابن باديس بل كان أيضا من زملائه في الجمعية فالشيخ الإبراهيمي الرجل الثاني في الجمعية دائما يعتمد على الشيخ خير الدين في حل معظم المشاكل الصعبة، لذلك كان ينشد دائما قوله :"الدين خير كله و أنا أرى من خير هذا الدين <خير الدين> "[2] .

وهناك من تلاميذ الجمعية [3] من يتذكر مواقف ومكانة الشيخ فيقول:<< والذي نعرفه عن الشيخ خير الدين هو الثبات على المبدإ و الشجاعة في قول الحق ،و الحكمة في التصرف ،و قد خدم الجمعية بعمله وعلمه وماله>>.

لقد نال الشيخ خير الدين ثقة كبيرة داخل الجمعية حتى أنهم كانوا يزورونه في بسكرة(**)، مثل الشيخ إبن باديس، الشيخ البشير الإبراهيمي ، العربي التبسي سواء في زيارات رسمية في إطار الجمعية أو زيارات عادية كأشخاص.

---

(*)لقد كانت كل الرسائل الموجهة من مختلف الشعب ترسل إلى الشيخ محمد خير الدين المراقب العام للجمعية-أنظر عبد الكريم بو صفصاف :جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى ، المرجع السابق ، ،ص ص405ــ 426.

[1]محمد خير الدين ، المصدر السابق ،ص 294 . أنظر أيضا: عبد الحميد بن باديس: " **المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين** " ،جريدة البصائر، العدد 137، 28 أكتوبر 1938،ص2.

[2]محمد خير الدين:المصدر نفسه، ص 231. أنظر أيضا خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ج6،ط 7، دار العلم للملايين ، بيروت : 1986، ص54.

[3]الشيخ عبد الرحمان شيبان: **مقابلة شخصية** ،الجزائر العاصمة: 4 أفريل 2005.

(**)فيصل خير الدين: **مقابلة شخصية** ،بسكرة: 21 ديسمبر 2004، وذكر لي بأن شيوخ الجمعية عندما كانوا يأتون إلى بسكرة ينزلون في بيتهم الكبير ببسكرة القديمة، فيتناولون العشاء، ويتكلمون حول المدارس وفي السياسة.

والحق إن الشيخ خير الدين كان يتميز بحنكة و دهاء كبيرين، وحنكته ظهرت منذ سنة 1932م و هي السنة التي إنطلقت فيها الجمعية، و أصبح مترجمنا عضوا فيها ،و تم طرد ممثلي الزوايا و المرابطين الذين أرادوا السيطرة عليها، ففي هذه السنة وعند تجديد المجلس إمتلأت القاعة برجال "بن عليوة" زعيم الطرقيين،وقد لاحظ الأمين العمودي ذلك العدد الهائل منهم، فأسرع إلى الشيخ خير الدين والسعيد الزاهري و دبّروا خطة تتمثل في أن يعلنوا أنه في المساء ستتغير أوراق الانتساب إلى الجمعية و ذلك بناءً على إمتحان يقوم به شيخان من العلماء لإثبات علمية المنتسب أو جهله[1]، وقام الشيخ أبو اليقظان يطبع الأوراق الجديدة ذات اللون الأزرق عوضا عن الأوراق القديمة ذات اللون الأصفر وخاف الطرقيون من الامتحان و بذلك فشلت محاولتهم بصورة قانونية، و بدون إتاحة الفرصة لأعوان الاستعمار للتدخل في شؤون جمعية العلماء المسلمين[2].

ويبدو أن الشيخ خير الدين قد نال ثقة الإمام ابن باديس منذ الزيارات الأولى لبسكرة ففي عام 1931م قام وفد العلماء بزيارة إلى الصحراء ،فكانت المحطة الأولى بسكرة ،فقام الشيخ ابن باديس بإلقاء دروس الوعظ و الإرشاد في المسجد، أما مترجمنا فإنه لم يدخل المسجد بل لازم الوقوف خارجه يراقب الموقف، ويعمل على تمكين المسلمين من سماع درس الإمام[3]، لقد كان الشيخ خير الدين داهية فهو يحسن التدبير لذلك فقد كلّفه الإمام ابن باديس في أواخر سنة 1934م بالتوجه نحو ورقلة نظرا للمشاكل التي تعانيها شعبة الجمعية هناك والعودة بتقرير مفصّل، لكن مترجمنا ذكّره بالقرار الذي يقضي بمنع أعضاء جمعية العلماء من الدخول إلى الصحراء ،لكن الإمام أصر على ذهابه ،ويذكر مترجمنا ذلك في مذكراته فيقول:<< قلت له:إنّك تعلم بالقرار الذي أصدره الوالي العام في الجزائر منذ سنة الذي يقضي بمنع أعضاء جمعية العلماء من الدخول إلى الصحراء، فأجابني :يجب أن تصل إلى عين المكان، و دعهم يردّونك تحت الحراسة مقيّدا

---

(1) محمد الأخضر السائحي ، **محمد الأمين العمودي الشخصية المتعددة الجوانب** ،ط2،دار هومه للطباعة و النشر بوزريعة، الجزائر:2001م،ص32.

(2) المرجع نفسه ،ص32.

(3) محمد خير الدين:المصدر السابق،ص ص 82-83.

بالأغلال>>[1]، و بالفعل فقد وصل إلى ورقلة و استطاع أن يراوغ العساكر ،كونه جاء لزيارة صديقه(الأب جوزيف) فسمح له بالدخول و إتصل برئيس الشعبة ودرس مع الوضع وفي اليوم الموالي عاد إلى قسنطينة وحمل تقريرا مفصلا إلى الإمام إبن باديس[2].

لقد كان الاستعمار الفرنسي و عملاؤه يتتبّعون ما يقوم به الشيخ خير الدين وكانوا يعرفون أنه أحد أعمدة الحركة الإصلاحية في الجنوب ، وللحدّ من نشاطه وعرقلته صدر أمر من عامل العمالة يقضي بنفيه، وأبلغه عميد الشرطة ببسكرة بذلك ووضعه تحت الإقامة الجبرية"بمجانة" في دائرة برج بوعريريج، ويقضي بها شهرين ليطلق سراحه بعد إستجوابه و تأكيده على انه يقوم بأعمال تربوية دينية لا علاقة لها بالسياسة أو بتهديد فرنسا[3] .

رغم ما تعرض له الشيخ خير الدين من مضايقات ونفي إلا أنه واصل المسيرة وزاد إصراره على أداء رسالة الجمعية ،لذلك فقد إستدعاه الإمام ابن باديس كعادته في صيف 1937م بعد الاضطراب و التصدع الذي وقع للحركة في العاصمة وضواحيها فقد أغلق نادي الترقي ، ونادي بلكور بالعاصمة، كما تم غلق نادي شرشال في البليدة وشلّت حركة النوادي الأخرى في منطقة الوسط ،كما أن الشيخ الطيب العقبي كثر عليه الضغط و التضييق ،خاصة من شبيبة (حزب الشعب)، ويبدو أنّ السلطة الفرنسية قامت بغلق النوادي ورصد كل التحركات نظرا للاضطرابات التي كانت تسود أوربا بسبب إستفحال الخطر النازي الألماني ، واقتراب موعد الحرب العالمية الثانية، لذلك تخوفت فرنسا من وقوع تمرد أو عصيان داخلي قد يشكل خطرا عليها.

لقد كان الشيخ خير الدين أمام الأمر الواقع لذلك أقام بالعاصمة ثلاثة اشهر،عمل رفقة الشيخان حمزة بوكوشة والشيخ فرحات بن الدراجي على تجديد نشاط الشعب والفروع، مع إجراء جولات في أنحاء عمالة الجزائر، و تم تنظيم العمل بالنوادي، وكان

---

[1] محمد خير الدين:المصدر السابق، ص227.

[2] المصدر نفسه،ص229.

[3] المصدر نفسه،ص241.

مترجمنا يلقى دروسا فقهية يوميا بنادي الترقّي ،كما أنه يتنقل إلى نوادي بلكور وشرشال و البليدة، وسارت الحركة الإصلاحية بشكل طبيعي بعيدا عن الصراعات[1].

وهكذا كانت المشاكل التي يلاقيها مترجمنا تزيده تجربة وحنكة مع مرور الأيام ،و أصبحت الجمعية تعتمد عليه كلية ، فهذا الشيخ البشير الإبراهيمي رئيس الجمعية -بعد وفاة إبن باديس- يكلف الشيخ خير الدين في مهمة نحو الغرب الجزائري إلى مدينة سيدي بلعباس حيث أغلقت المدرسة، وعزل مديرها، و انقطع الاتصال بين جمعية العلماء و الجمعية المحلية لسيدي بلعباس ،فاقترح مترجمنا أن يكتب أعضاء الجمعية المحلية عقد إيجار المدرسة و المسجد لمدة 99 سنة،فكتب العقد و سافر إلى سيدي بلعباس ،والتقى رئيس الجمعية المحلية وجمع توقيعه، وتوقيع أعضاء الجمعية التي اشترت الأرض، و أقامت عليها البناء ،و تم تجديد جمعية المدرسة، و عادت الأمور إلى طبيعتها ،ورجع شيخنا إلى العاصمة ففرح الشيخ البشير الإبراهيمي وردد مقولة يقول عنها الشيخ خير الدين أنه يعتز بها كثير –ذكرناها سابقا-: " الدين خير كله و أنا أرى من خير هذا الدين خير الدين"[2].

لقد استمرت المشاكل التي كانت تتعرض لها الجمعية، و استمر الشيخ خير الدين في التصدي لها ،ففي عام 1947م وقعت مشكلة في مدينة صدراته بسوق أهراس، وسببها هو الانتخابات الخاصة بالمجلس المالي، حيث كان هناك مرشّحان الأول موالي للإدارة الفرنسية و الثاني من الأهالي الأثرياء و هو السيد (عزاق) رئيس جمعية المسجد و المدرسة الذي طلب زيارة من الشيخان البشير الإبراهيمي و العربي التبسي إلى صدراته ليقوّي أنصاره ففعل الشيخين،لكن شاعت أخبار بأن الإدارة الفرنسية ستقوم بتصفيتهما ،لذلك فقد نصح رجال الإصلاح هناك الشيخين بمغادرة المدينة ففعلا، فانتهزت الإدارة الفرنسية هذا الموقف، و أغلقت المدرسة ،و طردت الإمام ،فما كان على الشيخ البشير الإبراهيمي إلا الاتصال بالشيخ خير الدين و إعلامه بالقضية حيث إتجه مباشرة نحو صدراته و اتصل بأعوان الحركة، وحثّهم على عدم شل حركة التعليم في وجه أبنائهم ،أو

---

[1] محمد خير الدين:المصدر السابق ،ص ص283-284.

[2] المصدر نفسه:ص ص229-231.

تعطيل الإصلاح الديني ،وكل واحد حر في مساندة أي مرشح ،لكن ليس على حساب مصلحة أبنائهم أو ضد دينهم ،فاقتنعوا عادوا إلى فتح المدرسة و المسجد[1].

لقد إستطاع الشيخ خير الدين أن يؤدي دوره الإصلاحي على أحسن وجه والثقة التي وضعها فيه الشيخ البشير الإبراهيمي كانت محل تقدير وإعتزاز ، حتى أن الإدارة الفرنسية كانت تخشاه ، فوضعته في خانة النشطاء داخل الجمعية ومن الذين يمكنهم أن يتزعموا الجمعية ،فبعد وفاة الإمام ابن باديس عام 1940م،حاولت الإدارة الفرنسية أن تتدخل في إختيار خليفة للإمام ،و إقترحت الشيخ الطيّب العقبي كرئيس للجمعية وإغتنمت فرصة نفي الإبراهيمي ،كما أنها كانت تتوقع أن يتولى مهام الجمعية الرجال المقربون كالشيخ العربي التبسي، و الشيخ مبارك الميلي، أو يتولاها عضوان هما الشيخ محمد خير الدين و بوشمال[2]،وتم الاتفاق داخل الجمعية على تعيين الشيخ البشير الإبراهيمي حتى وهو في المنفى باعتباره نائبا للرئيس[*].

وهكذا فإن المناوئين للحركة الإصلاحية كانوا دائما متربّصين بها و بالشيخ خير الدين ،فقد أوردت جريدة النجاح[3]أخبار خطيرة مفادها أن هناك خلافا كبيرا بين الشيخ ابن باديس و مراقب الجمعية،ومفادها أن المراقب رفض مهمة أسندها إليه الرئيس

و أنّ ذلك الموقف قد إستعجب له الحكيم بن حلول و جماعته كما أن الشيخ خير الدين سخط سخطا كبيرا وأنّه يريد أن يكون أحد الذين يصدرون أوامر الإدارة.

وفي عدد آخر لجريدة النجاح[4]،وردت أخبار مفادها أنّ معركة كبيرة تجري داخل الجمعية حول ضياع قيمة مالية قدرها 65 ألف فرنك، ووقعت مشاجرة عنيفة بين خير

---

[1]محمد خير الدين : المصدر السابق،ص ص234-235.

[2]عبد الكريم بو صفصاف: **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و دورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية**، المرجع السابق،ص305.

[*]الواقع أنّ خلافة ابن باديس شكلت نقطة هامة في تاريخ جمعية العلماء خاصة قضية الطيب العقبي الذي أتّهم بقتل "الامام كحول" كما أنه لم يتفق مع الإمام إبن باديس أثناء اندلاع الحرب العالمية الثانية لمساندة الأول لفرنسا ،و معارضة الثاني لها ،أنظر، الشيخ محمد خير الدين ومحمد الميلي: "**مناقشات حول خلافة ابن باديس**"،مجلة الثقافة،العدد81، الجزائر:ماي-جوان1984،ص ص165-174.

[3]جريدة النجاح: مقال " **خلاف كبير بين رئيس جمعية العلماء وكونطروله**"،العدد 2173، 12أوت 1938.

[4]جريدة النجاح: مقال"**حال جمعية العلماء وأمرها المريج** "،العدد 2196، 6 أكتوبر 1938م.

الدين و الميلي و العمودي وبن باديس و التبسي وتراشقوا كلمات السب الجارحة والإهانات ،فهل يعقل أن يصدر السّب من الشيخ بن باديس أو الشيخ البشير الإبراهيمي وأن يصل الموقف إلى هذه الدرجة من الدّناءة، كما أن المقال أضاف أن خير الدين حاول إبعاد أبي اليقضان من منصبه كخليفة أمين المال، لكن يمكن أن نتساءل هنا أيضا، هل الشيخ خير الدين هو الرئيس حتى يعزل أيّا كان من منصبه؟

ويضيف المقال فيما يخص استقالة الطيب العقبي من الجمعية أن الشيخ خير الدين سارع إلى قطع العلاقة ومد الأسلاك الشائكة بين السكان الصحراويين من بساكرة ومزابيين، وأهل سوف ،وبين شيخهم العقبي ،وهنا أيضا نتساءل هل كان مترجمنا يدعو إلى الدفاع عن هوية الأمة وعن المدارس و المساجد ومحاربة الاستعمار أم يدعو إلى محاربة زملائه في الإصلاح ؟كالشيخ الطيب العقبي الذي كان أول من سانده الشيخ بماله في سبيل شراء مطبعة لطبع جريدته الإصلاح؟ .

يمكن القول إنّ أعداء الجمعية كانوا دائما يحاولون اختراع الأكاذيب وابتداع المشاكل ،للنيل من الجمعية ورجالها، وإلا كيف نفسر هجومهم العنيف على الشيخ خير الدين الذي كان دائما حاضرا في سبيل خدمة الجمعية، فما من مشكلة إلا وكان حاضرا ويترك لأجلها عائلته وأهله ويسافر مباشرة إلى المهام التي ذكرناها سابقا، وعودته دائما تكون مرفوقة بالحلول.

لقد كان داهية كما يقول أحد تلامذة الجمعية:<< الشيخ محمد خير الدين همزة وصل بين الأحزاب السياسية والصحافة ،تحتاجه دائما جمعية العلماء،لقد كان داهية>>[1].

والحق أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عانت الكثير من المشاكل في سبيل حركتها الإصلاحية واشتدت بها الأزمات خاصة بعد وفاة الإمام عبد الحميد بن باديس سنة 1940م، وأهمها أزمتي سنة 1954 ،فالأولى يسميها أبو القاسم سعد الله بالأزمة الخفية، وشبهها بتلك التي أصابت حزب الشعب الجزائري، لكنها كانت معلنة وجاءت في ظروف عصيبة فالرئيس الشيخ البشير الإبراهيمي، كان متغيبا عن الجزائر في المشرق منذ سنة 1952م، و الإشاعات كانت تحوم ،كما أن الشيخ العربي التبسي سافر أيضا لأداء

---

(1) محمد صالح رمضان : **مقابلة شخصية**،الجزائر العاصمة :21 جوان 2005م.

فريضة الحج، كما سافر لنفس الغرض أحمد بوشمال، و بالتالي أصبح أربعة من أهم قادة الجمعية في المشرق، إضافة إلى الورثلاني،وقد شعر الشيخ خير الدين بخطورة الانقسام – انقسمت ح .إ.ح.د سنة 1953م –لذلك واصل مترجمنامهمته في حل المشكلة كسابقاتها ،خاصة أمام شكوى شبان الجمعية من احتكار الرعيل الأول لشؤون الجمعية،فقام بجولات في أنحاء القطر يتفقد و يفتتح المؤسسات مع الوعظ والإرشاد ،ثم دعا إلى عقد المجلس الإداري أواخر سبتمبر في غياب عشرة أعضاء من أصل سبعة و عشرين عضوا ،فالمجلس لم يضف أعضاء جددا ،لكنه وجّه لوما وتوبيخا للمقصرين من أعضاء الجمعية وبقيت تلك الأزمة غامضة[1].

أما الأزمة الثانية فهي الموقف من ثورة أول نوفمبر ،فالرئيس كان غائبا والإتصالات مع القاهرة مقطوعة،وكان على الجمعية أن تتخذ موقفها من العمل المسلح،ورغم أن الإبراهيمي قد أصدر بيانا من القاهرة يساند الثورة إلا أن الجمعية إنتهى الأمر بحلها عام 1956م .

لقد إنضم رجال الجمعية إلى الثورة ،و الشيخ خير الدين كان واحدا منهم،وقد عينته جبهة التحرير الوطني كممثل لها في المغرب الأقصى منذ سنة 1956م،ويمكن القول إنّ تعيينه خارج الوطن وفي هذه المسؤولية لم يكن بالصدفة،فالذين أعلنوا الكفاح المسلح يعرفون جمعية العلماء ،و يعرفون أعضاءها،ويعرفون حنكة ودبلوماسية الشيخ خير الدين. [2]

إنّ الحنكة الدبلوماسية التي اكتسبها الشيخ خير الدين كان مصدرها تنقلاته المستمرة في أنحاء القطر في إطار جمعية العلماء، والصدامات المستمرة مع الإدارة الفرنسية، كما أنّه كلف بمهمة في غاية الأهمية عام 1952م.أثناء الاجتماع الذي عقدته جبهة ميثاق إتحاد حزب الشمال الإفريقي بباريس حيث شاركت فيه أحزاب مختلفة من تونس و المغرب وشارك من الجزائر حزب البيان الجزائري وحزب انتصار الحريات الديمقراطية ،امّا العلماء كان على رأسهم الرئيس الشيخ البشير الإبراهيمي الذي كان في

---

[1] أبو القاسم سعد الله :**أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**،ج2،ط2،دار الغرب الإسلامي،بيروت: 1990،ص ص66-69.

[2] أبو القاسم سعد الله :**أفكار جامحة**، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر:1988م،ص100.

الحقيقة هو الدّاعي إلى عقد هذا الميثاق ، وقد خرج المؤتمرون بوثيقة سلمت إلى السيد تريفيلي الكاتب العام لجمعية الأمم ،وقد قام الشّيخ خير الدين و الشيخ العباس بتسليمها نيابة عن وفد أحزاب شمال إفريقيا[1].

يمكن القول إنّ الشيخ خير الدين قد تبوأ مكانة هامة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وجعلته يتحرك في كل الاتجاهات خدمة للجمعية، ودفاعا عن الدين ،و اللغة و الوطن.

---

[1] محمد خير الدين :، المصدر السابق ،ص ص304-305.

**المبحث الثاني:فكــر ه الإصلاحــي .**

يرتبط مفهوم الإصلاح بالحركة الإصلاحية التي ظهرت في الجزائر و تزعمتهـا جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تأثرت بتيار الجامعة الإسلامية الذي كان وراءه رجال عظماء، كجمال الدين الأفغاني ،و محمد عبده ،ومحمد رشيد رضا، الذين دعوا إلى التمسك بتعاليم الدين الإسلامي الصحيح و محاربة البدع و الخرافات وكل ما يخالف كتاب الله، وسنة رسوله.

وحسب الدكتور أبو القاسم سعد الله[1] فإنّ الكثير يربط الإصــلاح فــي الجزائــر بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،لكن الإصلاح أوسع من مفهوم الجمعية، ويســتدل بعدد من المثقفين من أصحاب الثقافة العربية الفرنسية الذين كانوا مصلحين ولم ينظمــوا إلى الجمعية ،حيث خالفوها في بعض المبادئ و الأهداف ،كما أن الجمعية قد شخّصــت الحركة الإصلاحية في الجزائر و كوّنت مدرسة جديدة لم يقــم بهــا الإصــلاح القــديم والجمعية ولدت نتيجة الحركة الإصلاحية وليس العكس،ويرى أحد الكتاب[2]أنّ الجمعيــة اقتصر عملها على الصعيدين الثقافي و الديني بقوله:<<إنّ التراث السياسي الثقافي الــذي تولى الرعيل الأخير من النخبة المثقفة القسنطينية في 1887م،نقله إلى الخلف في خطوطه العامة قد إنشق أو يكاد عندما انتقل إلى جمعية العلماء التي خففــت أو أهملــت جوانــب السياسة الصّرفة وركزت على جوانبه التربوية (نشر اللغة العربية) والروحيــة(محاربــة العقليــة الخرافيــة التــي يروجهــا المرابطــون و المطالبــة بفصــل الــدين عــن الدولة)والتشريعية(العمل من اجل استقلال القضاء الإسلامي الأصيل)>>.

إنّ الإصلاح الذي قامت به جمعية العلماء هو في الحقيقة من وضع الإمــام عبــد الحميد بن باديس وهذا الإصلاح ينطلق من آلام وآمال الشعب الجزائري ،ويقول في ذلك

---

[1]أبو القاسم سعد الله:**أفكار جامحة**،المرجع السابق،ص90.

[2]مصطفى الأشرف:**الجزائر الامة و المجتمع**،ترجمة حنفي بن عيسى ، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر:1983،ص243.

الدكتور عبد الكريم بوصفصاف[1]:<< والحق أنّ بن باديس لم يفصل في حركتـــه بـــين النظرية و التطبيق، أو بعبارة أدق لم يفرق بين العقيدة و العمل ،وقد بدأ الإصلاح ســـهلا هيّنا جعل المستعمر يظنّ أنّ لا خطر فيه ،ذلك أنّه بدأ يتكلم عن الدين و الأخلاق والعقيدة وضرورة الإصلاح الديني، و النصيحة من أجل الآخرين و الشورى عند الملمّات استعدادا لمرحلة الجهاد والكفاح، أي أنه وضع البذرة وتعهّد النبتة>>.

ومن هنا يمكن أن نتحدث عن الإصلاح عند الشيخ خير الدين باعتباره أحد زملاء وأتباع الإمام بن باديس ،و قائد من قادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وكما ذكرنا سابقا العمل الإصلاحي بدأه ابن باديس ثم التحق به مترجمنا كمـــا التحـــق قبلـــه الشـــيخ الإبراهيمي ،و الطيب العقبي و غيرهما، ويقول عنه أحد زملائه[2] :<< الفكر الإصلاحي عند الشيخ خير الدين هو فكر بن باديس وفكر الإبراهيمي و مبارك الميلـــي و العربـــي التبسي ،شعاره في ذلك لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها وفي صفاء العقيدة لا تشوبها البدع و الضلالات>>.

لقد تكوّن الشيخ خير الدين في مدينة قسنطينة لمدة سنتين ثم إنتقـــل إلـــى تـــونس ودرس بها لمدة سبع سنوات ليحصل على شهادة التطويع العالمية التـــي تعطـــى الحـــق للحاصل عليها التدريس متطوعا بالجامع بعد إجراء إمتحان، وقد مكّن مستواه العلمي من أن يكون واحدا من دعاة الإصلاح البارزين في جمعية العلماء ، فبعد تخرجه من الزيتونة بثلاث سنوات حضر إجتماع الرواد الذي مهد لتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م ،ويصبح الشيخ خير الدين من أعضائها البارزين و يعيّن كمراقب للجمعيـــة ليعلن هو وزملاؤه حربا ضد الاستعمار لا هوادة فيها،مـــدافعين عـــن ديـــنهم و لغـــتهم ووطنهم ، وفق مبادئ و أهداف الجمعية.

---

[1] عبد الكريم بو صفصاف:**الأبعاد الثقافية و الاجتماعية و السياسية في حركتي محمد عبده وعبد الحميد بن باديس(دراسة فكرية تاريخية مقارنة)**،ج1،أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث و المعاصر،غير منشورة،جامعة تونس الأولى، السنة الجامعية: 1996-1997،ص229.

[2] عبد الرحمان شيبان:**مقابلة شخصية**،الجزائر العاصمة:4 أفريل 2005 م .

و الحق أنّ الشيخ خير الدين قد أعطى تعريفا شـاملا للجمعيـة سـنة 1935م[1] بقوله:<< وأصول هذه المبادئ هي: إحياء الإسلام الصـحيح بإحيـاء الكتـاب و السـنة ونشرهما بين الناس حتى يرجع لهما سلطانهما على نفوس المسـلمين ،ونشـر فضـائلها وآدابها ، وإحياء اللغة العربية وآدابها ، وإحيـاء التـاريخ الإسـلامي ،ورجالـه الغـرّ الميامين>>.

كما أنّه عرّف الإصلاح بقوله:<< إن الإصلاح الحقيقي الثابت الأركـان المتـين الدعائم هو ما تبنيه شبيبتنا المتعلّمة على أساس العلم ،ولا نفرح ببلوغ هذه الغايـة حتـى نؤمن بصدق توجّه الشبّان إليها توجّها جديا صحيحا>>[2].

يمكن القول أن الإصلاح عند الشيخ خير الدين لا يختلف عن الإصلاح عند بـاقي القادة المصلحين ،فهي عمليات متواصلة فهو يركز على إصلاح الـنفس بإتبـاع الـدين الصحيح بالكتاب و السنة،كما أنه يركز على إصلاح المجتمع بنشـر الفضـائل والآداب ويركز أيضا على النشء أو الشباب بضرورة تعلّمهم ومعرفتهم للغتهم و إحياء تـاريخهم وأمجادهم، لقد كتب الشيخ خير الدين مجموعة من المقالات في البصائر والشهاب ،عالج في اغلبها قضية التعليم ومنه ما هو موجّه نحو الزوايا،ففي أول مقال كتبه سنة 1927 في جريدة الشهاب بعنوان"نهضة الجزائر الدينية أو موقف المصلحين إزاء خصومهم " ،تحدث الشيخ عن الإصلاح بحماس كبير وحث على إتباع الأمة لدينها و النهوض به و الابتعـاد عن الباطل و الخرافات و يجب على الأمة ان تساعد المصلحين ،و هاجم أولئـك الـذين يعرقلون الإصلاح ويقفون ضده ،وإتهمهم بأنهم يخافون على مناصبهم و مكانتهم في حالة ما إذا واجهوا العلماء المصلحين لأنهم أنصار الباطل و دعاة التضـليل ،ويبـيّن أهميـة الإصلاح الديني بقوله[3]:<< ذلك هو الأمر الجلل الحامل لعلماء الإصلاح على الاصداع

---

[1]البشير الإبراهيمي :**سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين** المنعقد بمركزها العام، نادي الترقي، الجزائر ،دار الكتب،الجزائر: 1982،ص،176.

[2]المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

[3]محمد بن خير الدين :" **نهضة الجزائر الدينية ، أو موقف المصلحين إزاء خصومهم** "جريدة الشهاب ، العدد 103، 30 جوان 1927،ص ص 2 ــ 6.

بكلمة الحق وإن كانت مرّة المذاق وهو الباعث الأصلي لهم عن التجاهر بقضية الإصلاح الديني إذ هو الركن الأعظم الذي عليه مدار حياتنا معشر المسلمين>>.

كما أنّ جريدة البصائر – كان الشيخ خير الدين صاحب الامتياز في سلسلتها الأولى من1935إلى1939 ـ حظيت بمقالات كتبها مترجمنا تدور في أغلبها حول التعليم العربي الإسلامي ،ومنها ما هو موجّه إلى الطرقيين ،فقد كان يرى الشيخ التعليم العربي الإسلامي جزء هام من هذه الأمة ،وما قامت به الإدارة الفرنسية من غلق للمكاتب القرآنية و للمدارس الأهلية الدينية هو في الحقيقة طمس لكيان الأمة وهويتها وضرب في جذورها التاريخية الإسلامية،حيث سنّت قوانين منها ما أكد فصل الدين عن الدولة ،لكنه طبق على المسيحية و اليهودية فقط ،ولم تطبق على الدين الإسلامي ،ويرى الشيخ خير الدين أن الحرية الدينية ضرورية لكي تسير بشكل صحيح فيقول:<<في هذا الذي يسمونه عصر النور و المدنية في هذا الوطن ...تقفل المكاتب القرآنية وتوصد المدارس الأهلية الدينية ويضرب على أيدي القرّاء ورجال الدين فيحال بينهم وبين أداء وظيفتهم التي هي نشر تعاليم الإسلام...في حين إنّنا نرى رجال الدين من الكاثوليك و البروتستانت حتى التّابعين لحكومات أجنبية منهم و المشعوذين المنسوبين إلى الإسلام...يتمتعون بكل حرية في حلّهم و ترحالهم>>[1].

وكانت كتاباته تهاجم الطرقيين والمناوئين للجمعية وتدعو إلى القضاء على البدع والأباطيل و الشعوذة و محاربة المرابطين ، الذين كان دورهم سلبيا فحياتهم التعليمية والدينية في الزوايا كانت جامدة تدور في دوّامة فارغة حيث أنّها لم تتغلغل داخل المجتمع ولم تفتح له الطريق ليتعلّم الأساليب التي يدافع بها عن دينه ولغته، بل بالعكس كان أصحاب الزوايا هم الذين ينتظرون من يأتي إليهم ليتعلم التخاذل والجمود ويستسلم لواقعه ،ويقول الشيخ خير الدين[2] في ذلك:<<وأوضح برهان على ضرر الطرقية وأثرها الفعّال في موت الشعوب أنها ما انتشرت في بلد إلا كان عنوان الجمود والتأخر و الانحطاط

---

[1] محمد خير الدين :" **التعليم العربي الإسلامي بالجزائر -محاولة القضاء عليه**"،جريدة البصائر ،العدد 115، 27 ماي 1938،ص02.

[2] محمد خير الدين : "**للحقيقة و التاريخ في الزوايا**"،جريدة البصائر ، العدد 124، 29 جويلية 1938،ص02.

وكان أكلة سائغة للآكلين و ما قلّت في بلد إلا كان أقرب إلى النهوض والسعادة ،ودونك تاريخ الأمم و الشعوب تجد ما قلته لك صحيحا >> .

لقد كان الشيخ خير الدين مهتما بالإصلاح الديني كباقي أقرانه من العلماء لكن يبدو أنّه كان مهتما أيضا بالإصلاح الوطني الذي يرتبط بالحقوق الوطنية و السياسية وهذا منذ رجوعه من تونس حيث يقول[1]:<<وهكذا إستفدت من إقامتي بتونس –زيارة على العلم – بزاد آخر سياسي و اجتماعي ثري ، ورجعت إلى الجزائر مؤمنا بــأنّ نهضــتنا تتّصــل بالعمل في المجالين السابقين:الدين و إذكاء روح النهضة بين المواطنين >>،وهذا الجانب من الإصلاح تزامن مع الإصلاح الديني ،فمترجمنا كان مراقبا عاما للجمعية ،فكان يراقب المدارس و المساجد و يتابع نشاطها،لتخريج جيل صلب متمسك بدينه الإسلامي و لغتــه العربية، و يكون قادرا على التمييز بين تعاليم الدين الصحيح وبين الأباطيل و الخرافــات ،كما انه يسعى إلى التحرّر من الأغلال الاستعمارية .

لقد كان الشيخ خير الدين يركّز على المدارس و المساجد في إصـــلاح المجتمــع ،بالخطب التي كان يلقيها و الاجتماعات التي كان يجريها و المدارس التي كان يبنيها في مختلف أنحاء القطر في إطار جمعية العلماء ،كما أنّه كان يقــوم بتوعيــة الجزائــريين بحقوقهم الوطنية و السياسية وقد إستلهم كل هذا بمشاركته في المؤتمر الإســلامي ســنة 1936،وفي بيان الشعب الجزائري سنة 1943م،كما أسّس إلى جانب شخصيات سياســية جبهة الدفاع عن الحرية و إحترامها سنة 1951م،وقد إحتوت هذه اللقاءات والمــؤتمرات كل الاتجاهات السياسية رغم أن العلماء أكدوا في مبادئ الجمعية أنها غير معنية بالسياسة وليس معنى ذلك أنها غير مهتمة بالسياسة فيقول الدكتور أبو القاسم سعد الله[2] في هــذا الصدد:<< و الإصلاح بالمعنى الشامل قد يبدأ بالثقافة أو بالدين أو بالمجتمع و لكنه فــي نهاية الأمر يغطي كل مظاهر الحياة في مجتمع ما بما في ذلك السياسة ...فالإسلام كمــا هو معروف دين ودولة،ولا يمكن أن نتحدّث عن الإصلاح في الإسلام مجردا من معنــى الدولة وهذا حتما هو عين السياسة>>.

[1]محمد خير الدين : **مذكرات** ، ج1 ،المصدر السابق ،ص68.

[2]أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية ،ج3، المرجع السابق،ص89.

و يبدو أنّ الشيخ خير الدين لم يفصل بين الإصلاح الديني و الإصلاح الوطني فقد كان يعمل إلى جانب زملائه من العلماء إلى بلوغ الهدف الثاني للجمعية بعد تكوين جيل متشبّع بثقافته العربية الإسلامية الذي هو الجهاد و تحرير البلاد وفي هذا الصدد يقول الدكتور عبد الكريم بو صفصاف[1]:<< والحق أن ابن باديس لم يفصل في حركته بين النظرية و التطبيق أو بعبارة أدق ،لم يفرق بين العقيدة و قد بدأ الإصلاح هيّنا جعل الاستعمار يظن أن لا خطر فيه،ذلك أنّه بدأ يتكلم عن الدين و الأخلاق العقيدة ،وضرورة الإصلاح الديني و التضحية من أجل الآخرين و الشورى عند الملمّات ،إستعدادا لمرحلة الجهاد و الكفاح>>.

فالشيخ خير الدين كان من الذين يؤمنون بالعمل القاعدي في تنشئة الأجيال أي الانطلاق من الأساس الذي هو الدين و اللغة مع متابعته ومسايرته في ظل الظروف السياسية حتى يكون الجيل يقظا، لأنّ الاستعمار من أهدافه جعل الأمة تعيش في سبات عميق، كي لا تطالب بحقوقها و الحقوق تأتي بالممارسة ، وقد تتلاقى هذه الفكرة مع ما قاله الشيخ ابن باديس حسب ما ذكره الشيخ خير الدين [2]في مذكراته:<<وأذكر أنّه ذات يوم من عام 1933 م إلتفّ نفر من الشباب المتحمّس حول الإمام ابن باديس بنادي الترقي و طلبوا منه أن يرفع صوته قويا مدويا عاليا مطالبا باستقلال الجزائر و حريّتها فقال لهم –رحمهم الله جميعا- :وهل رأيتم أيها الأبناء إنسانا يقيم سقفا دون أن يشيّد الجدران ؟فقالوا –كلا- ولا يمكن فقال لهم:إنّ من أراد أن يبني الأسس ويقيم الجدران أولا ثم يشيد السقف على تلك الجدران،ومن أراد أن يبني شعبا ويقيم أمة فإنّه يبدأ من الأساس لا من السقف>>.

لقد كان الشيخ خير الدين مؤمنا بالعمل الإصلاحي الديني و الوطني ،وبرز تحركه جليّا في النشاط الوطني السياسي رغم أنّ الجمعية لم تعلن صراحة إهتمامها بالسياسة حتى أن معظم رجالها إلتزموا بذلك ،وهذا ما جعل من مترجمنا رجل دين وسياسة ،ويقول في

---

[1]عبد الكريم بو **صفصاف: الأبعاد الثقافية و الاجتماعية و السياسية في حركتي محمد عبده و عبد الحميد بن باديس( دراسة فكرية تاريخية مقارنة)** ، المرجع السابق، ص229.

[2]محمد خير الدين: **مذكرات** ، ج1 ، المصدر السابق، ص289.

مذكراته[1] :<< تبلورت فكرة الحرية و الاستقلال في حرية الإصلاح الديني، و الحفاظ على مقومات الشخصية الجزائرية و السير بالنهضة الإصلاحية خطوة خطوة حتى بلوغ الغاية المنشودة ،وقد تبنّى هذا الاتجاه رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بقيادة الإمام إبن باديس>>.

ما يمكن أن نقوله هو أنّ الشيخ خير الدين ناضل كباقي العلماء للمحافظة على الدين و اللغة وكان من اللاّزم أن يدافع سياسيا عن ثقافته وشخصيته الجزائرية ،ومما يؤيّد رأينا ما قاله أبو القاسم سعد الله [2]:<< فعبارة العلماء تعني أولئك الجزائريين المثقفين الذين بالرغم من تعليمهم العربي و توجيههم الإسلامي أصبحوا هادفين بشكل واضح سياسيا وطنيا،وهذا التحول من وجهة نظر دينية محضة إلى التدخل السياسي قد حتّمته سياسية فرنسا نحو الثقافة و الشخصية الجزائرية>>.

كما أنّ كتاباته وخطبه ونشاطاته كانت هادفة،ولو أنّها لم تكن كذلك فلماذا كتب تلك المقالات القيّمة و المتنوعة التي تدعو إلى فتح المدارس وتعليم أبناء الجزائر فالهدف واضح ،فالشيخ خير الدين كباقي العلماء، وكل الجزائريين يرفضون المدرسة الفرنسية ويرفضون الدين المسيحي، ومعنى هذا إرحلوا عنّا فالمحافظة على الأساس شيء مهم أمام استعمار لا يعترف بأي شيء ويريد أن يمحو كل شيء،وتلك الأسس هي الدين واللغة والوطن ،ويؤكّد أحد تلامذة جمعية العلماء فيقول:<< وقد إتفق روّادها الأوائل المؤسسون لها على إخفاء البعد السياسي الثوري الذي يهدفون إليه وراء المقاصد الدينية و الثقافية التي أعلنوها في قانونها الأساسي ،وعملوا لها جهارا نهارا بحكمة ورويّة في دائرة القوانين الجاري بها العمل حينئذ، فأعمالهم تقوم أساسا على التربية و التعليم و محاربة الآفات الاجتماعية ،وعلى إحياء قيمنا الإسلامية العربية وقد إتخذوا لذلك شعارا واضحا هادفا في ثلاث كلمات خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان وهي"الإسلام ديننا ،والعربية لغتنا، و الجزائر وطننا" مما لا يصعب فهمه وإدراك مغازيه على أحد>>[3].

---

[1]محمد خير الدين: **مذكرات** ، ج1 ، المصدر السابق، ص272.

[2]أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية** ، ج2،المرجع السابق،ص385.

[3]محمد الصالح رمضان: "**جمعية العلماء ودورها العقائدي والاجتماعي والثقافي**" ، المرجع السابق،ص360 .

**المبحث الثالث:دوره التــربــوي.**

كانت جمعية العلماء تؤمن بدور التربية و التعليم في خدمة الشــعب الجزائــري وإيقاظه من سباته ،وحفظ تراثه ،منذ تأسيسها سنة 1931م وهي تشيّد المــدارس الحــرة لتعليم وتربية النشء فيتعلمون اللغة العربية و الدين الإسلامي ،كما أنّهم يتلقون معــارف أخرى كالتاريخ و الجغرافيا و الحساب،وقامت الجمعية ببناء المساجد الحرة البعيدة عــن السيطرة الفرنسية ليتفقّه أبناء الجزائر و ليعرفوا جيّــدا تــاريخ بلادهــم لأنّ الاســتعمار الفرنسي كان هدفه القضاء على دين و لغة و تاريخ هذه الأمة.

في ظل تلك الظروف وجد الشيخ خير الدين نفسه أمام مسؤولية كبيرة خاصة بعد أن نال قسطا وافرا من العلوم و المعارف، كانت نهايتها نيل شهادة التطويع العالمية مــن جامع الزيتونة، لذلك عزم على منح أبناء بلاده ما تعلّمه، وأصبحت الظــروف ملائمــة عندما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،وانضم إلى عضويتها إلى جانب علماء أجلاّء كالإمام عبد الحميد بن باديس و الشيخ البشير الإبراهيمي و الشيخ الطيب العقبــي وغيرهم ،و كلّهم عزم و إصرار للدفاع على كيان وشخصية هذه الأمة العربية الإسلامية.

و الحق أنّ الشيخ خير الدين قد بدأ نشاطه التربوي منذ أن عقد اجتماع الرواد سنة 1928م حيث كلّفه الإمام ابن باديس بالوعظ و الإرشاد بمسجد فرفار[*]،و القرى المجاورة له، فكان يعلّم أبناء المنطقة مبادئ الدين و اللغة وبعدها يتوجهون نحو قســنطينة أو إلــى تونس أو الجامع الأزهر لمواصلة تعليمهم في مختلف العلوم والمعارف وقــد أدى هــذا النشاط التعليمي إلى تنسيق العمل الإصلاحي مع جماعة من الروّاد في بسكرة أمثال الشيخ الطيب العقبي، والشيخ علي بن عمارة البرجي، والشيخ محمد العيد آل خليفة، و الأســتاذ الأمين العمودي.

---

[*]من الذين درسوا على يدالشيخ خير الدين : فرحات بن الدراجي ،أحمد سحنون ،علي بن العرافي المغزي ،الطاهر بخوش، المختار المغزي ،عبد الرحمان غريّب،الحسين أبو عبد الله وغيرهم ،أنظر محمد خير الدين، **مذكرات** ، ج1 ،المصدر السابق،ص74.

لقد ساهم مترجمنا في تكوين "جمعية الإخاء" وتأسيس مدرسة الإخاء للتربية التعليم ببسكرة(**) سنة 1931م واقترح أن يكون مجلس الإدارة من أعضاء لهم علاقة بالسلطة الفرنسية كي لا تقوم بعرقلتها ،أمّا مترجمنا فقد عين ككاتب عام فقط وهذا لضمان السير الحسن للمدرسة ونشر الثقافة العربية الإسلامية[1].

ومن النشاطات التي قام بها الشيخ خير الدين في بسكرة توحيد صلاة العيدين التي كانت تؤدي في عدد من المساجد الموزعة بين المدينة القديمة و الجديدة فأصبحت تقام لجميع المصلّين ببطحاء المدينة القديمة وقد وقع اختيار الشيخ خير الدين إماما لصلاة العيدين لمدة أربع سنوات[2].

لقد انطلق شيخنا في عمله الإصلاحي من فرفار ثم بسكرة و كان يؤمن إيمانا راسخا بدور التربية و التعليم في الحفاظ على كيان و تراث الأمة،خاصة أنّ منطقة الجنوب كانت تعاني من نشاط المرابطين، و حسب شارل أندري جوليان فإن تقديرات سنة 1939م أحصت 400 ألف منخرط في الزوايا، نصفهم بأراضي الجنوب وقد وضعت الحكومة يدها عليها[3]، و عندما أرست الحركة الإصلاحية أسسها ببسكرة وضواحيها ،كان العلماء الآخرون ينشطون في مناطق أخرى من الوطن و أصبح العمل أكثر تنظيما بعدما وزع الإمام ابن باديس المهام على رجال الجمعية وفق مبادئها وأهدافها.

ويبدو أن الجمعية كانت مهتمّة بالتعليم العربي و الديني، لأنّ التعليم العربي الحر كان محصورا في دائرة ضيقة بالنظر إلى أساليبه و كتبه، ولذلك فقد قامت الجمعية بجهود كبيرة لتوسيع ذلك التعليم عن طريق إنشاء مكاتب حرة للتعليم المكتبي للصغار،وتنظيم

---

(**) ألقى الشيخ خير الدين قصيدة عند رجوع رئيس مدرسة الإخاء من الحج، أنظر الملحق رقم: 01.

[1] محمد خير الدين : المصدر نفسه،ص78.أنظر أيضا :محمد خير الدين **:" اجتماع هام بدار المحترم الحاج الحفناوي دبابش النائب العمالي و تأسيس جمعية ( الايخاء ) ببسكرة "** ، جريدة النجاح، العدد 1183 ، 22 جويلية 1931 .أنظر أيضا :مجلة الشهاب: مقال " **في المجتمع الجزائري ،دور محمود من أدوار الجزائر الحاضرة "**، مج 7 ،ج8 ، أوت 1931 ، ص ص 529 ــ 530.

[2] محمد خير الدين : **مذكرات** ، ج1 ، المصدر السابق ،ص ص79-82.

[3] شارل أندري جوليان :المرجع السابق،ص126.

دروس في الوعظ و الإرشاد الديني في مساجد وتنظيم محاضرات في النـــوادي غايتهـــا التهذيب و شؤون الحياة العامة[4].

والحق أنّ نشاط الشيخ خير الدين كان ينبع من صميم القلب ،ومن جروح ومعاناة أبناء أمته ،وفي إطار أهداف الجمعية ونشاطاتها تم تأسيس جمعية خيرية لإعانة الفقـــراء والمساكين و تعليم البنين و البنات، مقرها بسكرة كان رئيسها أصيمدة عبد القـــادر، أمـــا نائبه فهو الشيخ خير الدين وقد تعمّد مترجمنا أن لا يكون الرئيس لتفـــادي الصـــدام مـــع السلطة الفرنسية، و كي تصادق على قانون الجمعية و هو ما تم فعلا[1]، كما أن تـــنقلات الشيخ في بسكرة وضواحيها لم تتوقف خاصة إذا تعلق الأمر بوفد لجمعية العلماء و على رأسها الإمام ابن باديس ،ففي جانفي 1938م،زار وفد الجمعية قرية القنطرة في ضواحي بسكرة ،وكان الوفد يتكون من الإمام الرئيس والشيخ مبارك الميلي ، الشيخ العربي التبسي ،إضافة إلى مترجمنا ،وقد ألقى الوفد خطبا في الجامع ،وعند الانتهاء خطب الشيخ خيـــر الدين في الناس، و عرّف بالجمعية و علمائها ومبادئها و أهدافها[2].

لقد استمر نشاط الشيخ خير الدين مع وفد الجمعية في الجنوب، فقد زار الوفد وادي سوف و طولقة، ومنها إلى بلدة سيدي عقبة و ذلك في سبيل التعريف بالجمعية وتنشـــيط الحركة الإصلاحية و التأكيد على أنها ليست خاصة بالشمال فقط، بل هي شاملة للقطـــر الجزائري ،وأنّ الجنوب من إهتمامات الجمعية ،مما أدى إلى تحرك خصوم الجمعية مـــن مرابطين ورجال الزوايا محاولين منع العلماء من أداء رسالتهم الإصلاحية التي كان مـــن بين أهدافها محاربة هؤلاء الخصوم الذين كانوا يعيشون في جمود وبعيدين عن واقع الأمة ومعاناتها ،كما أصبحوا أداة في يد السلطة الفرنسية[3].

كما أن السلطة الفرنسية تفطّنت إلى خطر العلماء، لأنّ أصحاب الزوايا والمرابطين كان لهم دور في تحذير الإدارة الفرنسية بما أن مكانتهم أصبحت في خطر لذلك حاربـــت

---

[4]البشير الإبراهيمي: **سجل جمعية العلماء المسلمين** ،المصدر السابق،ص64.

[1]جريدة البصائر: مقال" **الجمعية الخيرية الإسلامية** " العدد 4، 24 جانفي 1936 ، ص7 .

[2]عبد اللطيف بن علي: "**وفد جمعية العلماء يزور القنطرة**" ،جريدة البصائر،العدد95 ،14 جانفي 1938 ، ص5 .

[3]أبو القاسم سعد الله:**الحركة الوطنية الجزائرية**،ج3،المرجع السابق،ص95.

مدارس الجمعية و نواديها وحتى المساجد،فقد قامت بغلق المدرسة الحرة "دار الحديث"بتلمسان بتاريخ 31ديسمبر 1937م وأعلن ذلك الأجراء رسميا يوم 4 جانفي 1938م،هذا الإغلاق أحدث انفعالا كبيرا ،وهلّل له أعداء الشيخ البشير الإبراهيمي وأعداء الجمعية[1]،حتى أنّ الجرائد في ذلك الوقت عندما أعلنت الخبر ذكرت اسم المكتب الخاص ولم تذكر المدرسة الحرة"دار الحديث"[*].

لقد ركزت السلطة الفرنسية على المدارس لكي تقيّد نشاط العلماء، فأصدر وزير الداخلية "شوتان" قرارا رسميا في 8 مارس1938م يمنع تعليم اللغة العربية في الجزائر ومما جاء في ذلك القرار :<<إنّ اللغة العربية تعتبر لغة أجنبية>>[2]،وما كان لهذا القرار إلا أنّ زاد الشيخ خير الدين وزملاءه في الجمعية إصرارا على مواصلة جهودهم التربوية ،وبناءً على إحصاء عامل عمالة قسنطينة في سنة 1938م ، فعدد مدارس الجمعية في عمالة قسنطينة 85 مدرسة تضم 4047 تلميذا مسجلا،ويسيرها معلمون مصلحون،أما في عمالة الجزائر فبلغ عدد مدارسها عام 1938م 68 مدرسة تضم 9063 تلميذا[3].

و الحق أنّ مرسوم الثامن مارس المشؤوم قد عرقل التعليم العربي،كما أنّ ظروف الحرب العالمية الثانية قد أثرت في نشاط الجمعية التي أوقفت نشاطاتها كي لا تستغلها فرنسا في خدمة مصالحها،وعودة التعليم جاء بعد نهاية الحرب العالمية الثانية حيث خطت الجمعية خطوة كبيرة بإنشائها لأعظم معهد ثانوي في تاريخها وهو معهد عبد الحميد بن باديس سنة 1947م.

---

[1] **bulletin mensuel d’informations concernant la politique indigène dans le département d’Oran** mois de janvier 1938, S. L. N. A, archive historiques .W. de Constantine

[*]ذكرت جريدة النجاح في مقال عنوانه: "**غلق مكتب خاص بتلمسان**" ، العدد 2090، 12جانفي 1938، أنّ سمو الوالي العام هو الذي أمر بالغلق النهائي للمكتب الخاص الذي أحدثه الشيخ البشير الإبراهيمي بتلمسان تحت إسم "دار الحديث"لم تذكر أنها مدرسة كما أنّ تاريخ الإغلاق ليس الخامس جانفي وإنما الرابع جانفي حسب التقرير السابق للشرطة الفرنسية .

[2]بسام العسلي: المرجع السابق،ص52.

[3]عبد الكريم بوصفصاف: **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى**، المرجع السابق،ص ص137-138.

ويقول الشيخ خير الدين [1]في ذلك :<< وهنا تبلورت فكرة إنشاء معهد ابن باديس[*]، في قسنطينة ولم يكن من الممكن أن نعود إلى التعليم بالجامع الأخضر لأنه لم يكن لدينا رخصة للتعليم فيه كالتي كانت للإمام ابن باديس ،فجمعنا التبرعات وإشترينا دارا كبيرة كانت ملك أحد أفراد "إبن الفقون"،و أثّثنا هذه الدار وجهزناها بالطاولات والمقاعد والبسط،ووضعنا البرامج وعيّنا المدرسين الأكفّاء ،وتولى إدارة المعهد الشيخ العربي التبسي تساعده لجنة من الأساتذة>>،وقد عين الشيخ العربي التبسي مديرا للمعهد أما النائب فكان الشيخ خير الدين ،وقد حقّق المعهد نجاحا كبيرا مما أجبر الجمعية على توسيع المكان و الدخول إلى الجامع الأخضر، والجامع الكبير الممنوع التدريس فيها وفق قرار منع المساجد على الجمعية الذي صدر في27 فيفري 1933م[2]،لكن الجمعية أصّرت على فتحهما وكان مترجمنا على رأس طلبة الجامع الكبير ، والشيخ العباس على رأس طلبة الجامع الأخضر ،وقد تزايد عدد التلاميذ بشكل سريع بهدف التحصل على الشهادة النهائية من المعهد[**]،وهي تعادل الشهادة " الأهلية " بتونس ويحصل عليها التلاميذ بعد دراستهم في المعهد مدة 4 سنوات[3].

---

[1]محمد خير الدين : **مذكرات** ، ج1 ، المصدر السابق ،ص170

[*]لقد بلغت تكاليف معهد إبن باديس أكثر من 60 مليون فرنك فرنسي في الإنشاء و التأثيث،كما أنه يشتمل على ألف طالب ويسيره الشيخ العربي التبسي كشيخ المعهد ونائب رئيس جمعية العلماء،والشيخ محمد خير الدين النائب الثاني للرئيس.أنظر أحمد توفيق المدني :**حياة كفاح(مذكرات)في الجزائر ،1925-1954م**،ج2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر:1977م، ص408 .

[2]محمد الطاهر فضلاء:**التحريف و التزييف في كتاب حياة كفاح** ،ط1،دار البعث للطباعة ،قسنطينة،الجزائر: 1982م،ص448.

[**]في مقابلة لي(الباحث)مع الشاعر عمر البرناوي ببسكرة بتاريخ 23 ديسمبر 2004م،روى لي الشاعر(التلميذ)قصته عندما كان تلميذا بمعهد إبن باديس سنة 1952م فذكر لي أنّ الشيخ خير الدين هو الذي ساعده لإكمال دراسته بقسنطينة،حيث كان المسؤول عن فرع جمعية العلماء ببسكرة فقام بجمع الأموال لمساعدة التلميذ عمر البرناوي،كما ذكر لي أنّه ذات مرة كان يلعب في إحدى قاعات التسلية بمدينة قسنطينة لعبة" البيار" ،هوو بعض زملائه وفجأة دخل عليهم الشيخ خير الدين والشيخ العربي التبسي والشيخ العباس ، فقال لنا الشيخ خير الدين أكملوا لعبكم وغدا تعالوا إلى المكتب ، وفي الغد توجهنا إلى المكتب فأعطاني الشيخ خير الدين ضربا مبرحا لن أنساه طوال حياتي وكان ذلك في مصلحتي ومن أجل تربيتي ، وقد كنت ضمن الدفعة التي نجحت للدراسة في تونس عام 1954 م .

[3] محمد خير الدين : **مذكرات** ، ج 1 ، المصدر السابق ، ص ص 170 ــ 171 .

لقد حاولت السلطة الفرنسية أن تقضي على المدارس الحـــرة وأن تجـــذب أبنـــاء الجزائريين للتعليم في مدارسها ،حيث نص الفصل 57 من قانون الجزائر الصادر ســـنة 1947م على إعتبار اللغة العربية إحدى لغات الإتحاد الفرنسي كما أنها تدرّس في مختلف مراحل التعليم،غير أن هذا النص لم يدخل حيّز التنفيذ إلاّ في سنة 1954م[1].

لم يكن الشيخ خير الدين من الذين يضعون السلاح جانبا ويستسلمون للعـــدو، بـــل بالعكس فقد واصل نشاطه التربوي ،حيث قام برحلة علمية في ربيع 1948م إلى عمالـــة وهران ودشّن بها المدارس ونظّم الشعب وألقى دروس الوعظ و الإرشـــاد،وفي غليـــزان أُستقبل مترجمنا بحماس كبير وقد كتبت جريدة البصائر :<< وما دقّت الساعة الثانية حتى وقف القطار السريع يحمل إلينا شخصية بارزة من رجال العلماء الذين قـــاوموا الجهـــل والاستعباد ،والبدع و الضلال مدى عشرين عاما منذ تأسيس جمعية العلماء ،مع المرحوم الأستاذ عبد الحميد بن باديس ومع خلفائه من بعده،فالشيخ خير الدين رجل مضحّ بنفســه وبنفيسه، و ما من مشروع خيري للصالح العام إلاّ ويؤيّده ويمدّه وينصره...>>[2].

وبعد عودته إلى بسكرة رأى أنّ حركة التعليم تسير بشكل سريع وتعـــرف إقبـــالا كبيرا ممّا صعّب على مدرسة التربية والتعليم[*]، استقبال كل التلاميذ لذلك قرّر الشيخ خير الدين مع الأعضاء إنشاء مدرسة جديدة ، فشرع في البناء بنشاط مكثّف وكانت المرحلـــة الأخيرة قد بدأت في 18 ديسمبر 1949م عندما حلّ الشيخ البشـــير الإبراهيمـــي رئـــيس الجمعية بدعوة من الجمعية المحلية وتمّ توجيه الدعوة إلى سكان بسكرة والزيبـــان ومـــن

---

(1) Mohamed harbi : op.cit . p. 91.

(2)فرحات العابد : "**الشيخ محمد خير الدين في غليزان**" ،جريدة البصائر،العدد36، 17ماي 1948،ص07.

(*)وقد تخرج من هذه المدرسة عدد من الشخصيات البارزة :

الشهيد العربي بن مهيدي أحد رواد ثورة التحرير الستة،وأخوه محمد الذي استشهد في حرب التحرير بالولاية الثانية ،وحسن الشريف الذي استشهد في حوادث 8ماي 1945م بقالمة ،ومحمد الغسيري الذي صار أستاذا ومفتشا لمدارس جمعية العلماء وسفير ا في سوريا و الكويت و السعودية ،ومحمد مراوي المحامي بباتنة وخليفة العروسي الذي أصبح رائدا في جيش التحرير و الكاتب العام للولاية الخامسة في الثورة ووزير الاقتصاد في الحكومة الأولى بعد الاستقلال ،ومحمد شيبوب العقبي وأخوه،وخير الدين عبد السلام ،والمسعود الغسيري الذي صار كاتبا برتبة ضابط في الولاية الأولى،أما الأساتذة الذين تدارسوا على إدارة هذه المدرسة فهم المشائخ: محمد بن العابد الجيلالي، علي مرحوم ،علي المغربي ،أحمد معاش.أنظر: محمد خير الدين: **مذكرات** ، ج1 ،المصدر السابق،ص136.

مختلف أنحاء القطر ،فحضر الحفل العلماء و النواب و الأطباء والمحامون، وتمّ افتتاح المدرسة ،وألقى الرئيس خطابا بليغا كعادته، ثم جاء دور الشيخ خير الدين فألهب الجمهور بكلمات بين العامية و الفصحى ومما قاله:<< إنّكم ستسمعون منّي كلمات ليست من باب الحمد و الشكر و لكنها من باب الحث و الإزعاج ،وسأصل بها مبدأ هذا العمل بنهايته فقد بدأناه مجتمعين ...وما دمنا في موقف استنهاض الهمم وشدّ العزائم وما دمت عارفا بأسرار لغتي وتاريخ أجدادي،فإنّني أؤثر أن يكون افتتاح هذا الحفل التاريخي بالشّعر ...فأنا أريد أن أرجع بكم إلى ذلك الماضي الجليل،ولئن قال لنا أقوام :إنّكم تعيشون في الماضي القديم ، قلنا إننا نعيش بالاستمداد من الماضي و العمل للحاضر و الاستعداد للمستقبل...>>[1].

وهكذا توالى فتح المدارس و بناء المساجد في شتّى أنحاء القطر ،ففي مدينة سطيف وفي يوم 8 أكتوبر1950م، تمّ تدشين مدرسة الفتح الجديدة ،وحضر حفل التدشين الشيخ البشير الإبراهيمي و الشيخ العربي التبسي و الشيخ خير الدين و الأستاذ فرحات عباس وكان حاضرا أيضا أحد علماء فاس الشيخ إبراهيم الكتّاني، إضافة إلى أساتذة ومديرين آخرين من داخل البلدة وخارجها[2]،كما كان للشيخ تنقلات إلى مناطق أخرى ،ففي عام 1948م زار بلدة ندرومة [*]، رفقة الشيخ السعيد الزموشي، وكانت هذه البلدة عامرة بالزوايا حيث كان بها سبع زوايا ،ولم تنشأ بها شعبة لجمعية العلماء ،ولم تفتح بها أية مدرسة لتعليم القرآن و اللغة العربية، واقترح الشيخ خير الدين بناء مسجد كبير وتعيين إمام لأداء الصلوات وإلقاء دروس الوعظ والإرشاد ،وتم بناء المسجد وإنتشرت الحركة الإصلاحية فيها بشكل سريع[3]،ثم زار الشيخان بلدة بريقو[**]،وأسّسا بها شعبة وألقى الشيخ

---

[1]الحفناوي هالي: "**وصف الاحتفال الرائع بفتح مدرسة بسكرة**"،جريدة البصائر،العدد 140 ــ 141 ، 5فيفري 1951،ص ص6-7، أنظر جريدة الشعلة:مقال "**بسكرة تحتفل بوضع الحجر الأساسي لمدرستها**" ،العدد 19 ، 20افريل 1950م، ص 2 .

[2]علي مرحوم: **تدشين مدرسة الفتح بسطيف**"،جريدة البصائر ،العدد 133، 23 أكتوبر 1950م،ص02.

[*]ندرومة :تقع غرب مدينة تلمسان وتبعد عنها ب 41 كلم.

[3]محمد خير الدين :**مذكرات** ، ج1، المصدر السابق ،ص232

[**]بريقو :المحمّدية حاليا :تقع شمال معسكر تبعد عنها ب 26 كلم.

خير الدين حاضرة في المسجد إلى جانب محاضرة سعيد الزموشي بين من خلالها مقاصد الجمعية و أعمالها وآمالها[1].

وقد زار الشيخ خير الدين بلدة شاطودان[*]،في السابع من أفريل سنة 1954م وقام بتجديد هيئة المدرسة و الشعبة ،وقدّم التقرير المالي للجمعية وتمّ إنتخاب الهيئة الجديدة بإعادة تجديد الثقة فيها[2]،كما حل الشيخ ببلدة سوق أهراس في صيف 1954م وقام بوضع حجر الأساس لبناء المدرسة الجديدة ،وقد أقبل سكانها على البناء و الترميم فرحا بالمشروع العظيم[3].

وفي خريف 1954 تنقّل الشيخ خير الدين إلى أقصى الغرب الجزائري إلى بلدة بني صاف،حيث إفتتح بها "مسجد بني صاف" وممّا قاله الشيخ في خطبة الافتتاح:<< إنّ فتح المساجد معناه إحياء أمّة وميثاق مع الله على العمل لنشر الدين الصحيح التعاليم والنقيّة في هذا الوطن ...،أيها الإخوان إنّ الإنسان في هذه الحياة يحيا ثم يموت ثم لا يرجع إلا بعد أن يقف بين يدي الله، و الأمم كذلك ولكن الأمة لا تقبر بل تموت موتا معنويا وحياتها لا بروح تدخل وتخرج إنما تحيا بالحياة الحقة وما الحياة الحقة إلا العزة والكرامة والقوة...>>[4].

لقد إستمر شيخنا في خطبه البليغة ،بمختلف المساجد وفي مناسبات عديدة ،وكان ذلك في عهد الإمام عبد الحميد بن باديس الرئيس الأول لجمعية العلماء ،حيث ذكرنا سابقا أنّ النشاط الذي قام به الشيخ خير الدين هو الوعظ والإرشاد في بلدة فرفار وضواحيها، ونشر الحركة الإصلاحية بها ،فكانت تلك البداية التي فتحت له الطريق ليكون ضمن أبرز الوفود التي عيّنها الإمام ابن باديس عام 1933م للوعظ في شهر رمضان ،فكان ضمن قائمة وعّاظ مدينة قسنطينة بالجامع الكبير ،ثم عيّن في الوفد الأول من بين ثلاثة وفود

---

[1] السعيد الزموشي: "**وفد جمعية العلماء في بريقو** ،جريدة البصائر ،العدد 43، 12 جويلية 1948م،ص02 .

[*] شاطودان:شلغوم العيد حاليا:تقع غرب قسنطينة تبعد عنها ب 45 كلم.

[2] جريدة البصائر:" **أعمال جمعية العلماء** " ،العدد 269، 30 أفريل 1954م،ص05.

[3] محمد مسلاتي:"**آثار النهضة الإصلاحية بسوق أهراس**"،جريدة البصائر ،العدد 276،25 جوان 1954م،ص07.

[4] محمد منيع: " **إفتتاح مسجد بني مصاف وخطاب الشيخ خير الدين**" ،جريدة البصائر ،العدد 283، 3 سبتمبر 1954،ص07.

كبيرة إلى جانب الإمام ابن باديس و الشيخ مبارك الميلي حيث ركزوا نشاطهم بالشرق الجزائري[1].

وهكذا كان الشيخ خير الدين يقوم بالوعظ في كل شهر رمضان ،ففي شهر ماي 1951م عيّن ببلدة العلمة[2]،ثم عيّن بقسنطينة في ماي 1952م[3]،وتنقّل بين مساجدها باعتباره النائب الثاني لرئيس الجمعية،ثم عيّن بالجامع الكبيبر بقسنطينة في أفريل 1954م[4]،كما تمّ تعيين شيوخ وأساتذة الجمعية في جميع مساجد القطر للوعظ والإرشاد و الدعوة للتمسك بالدين و اللغة و كانت أسماء الشيوخ و المناطق التي عيّنوا فيها تنشر في جريدة البصائر، و الحق أنّ مترجمنا كان حريصا على مدارس الجمعية دؤوب الحركة ،فكان يشرف على نشر الإعلانات الخاصة بأعظم معهد ثانوي شيّدته الجمعية "معهد ابن باديس"، وما يخص شروط قبول التلاميذ و ضمان الالتحاق العادي والحسن بالمعهد ،كما أنّ هذه الإعلانات التي تنشر في البصائر تساعد التلاميذ الجدد الراغبين في الالتحاق للدراسة بالمعهد بتحضير الوثائق اللازمة و الشروط الأخرى التي تدون مع الإعلان،وبعد أربع سنوات من مسيرة المعهد ،أصبح الشيخ خير الدين مديرا للمعهد نظرا للظروف الصحية التي كان يعاني منها الشيخ العربي التبسي لذلك طلب الاستعفاء من مهمته،كما أنّ الشيخ البشير الإبراهيمي طلب من مترجمنا تولي المهمة ،كونه نائب المدير[5].

و كانت لجان الامتحانات تقوم بدور كبير لتعيّن الناجحين بعد الامتحان ،وكان يشرف على اللجان الشيخ العربي التبسي والشيخ خير الدين ويشاركهم الإمام البشير الإبراهيمي في التنظيم[6].

---

[1]محمد خير الدين: **مذكرات** ، ج 1 ،المصدر السابق،ص ص221-226.

[2]جريدة البصائر: "**قائمة الوعّاظ** "،العدد156، 21 ماي 1951م،ص02.

[3]جريدة البصائر: "**قائمة الوعاظ لشهر رمضان** "،العدد190، 19 ماي 1952م،ص02.

[4]جريدة البصائر: "**قائمة الوعاظ لشهر رمضان** " ،العدد 269، 30 افريل 1954م،ص03.

[5]محمد خير الدين: **مذكرات**، ج1 ، المصدر السابق ص170.

[6]جريدة البصائر: مقال "**معهد عبد الحميد بن باديس** " ،العدد 158، 4جوان 1951م،ص02.

ونورد إحدى خطابات الشيخ خير الدين [1]في الاحتفال بالناجحين في الشهادة الأهلية بالمعهد: << فإنّ العلم أشرف المطالب وأسمى المقاصد و الرغائب فهو حياة الأمم وهو عزها ومجدها ...لقد فهم أسلافنا العظام هذه الحقائق فأقبلوا على العلم بجميع فنونه وتهافتوا على مناهله العذبة يكرعون منها فسادوا في الدنيا و قادوا الأمم وفتحوا – مع البلدان- القلوب و العقول ورفعوا مشعل الحضارة و المدنية...>>.

لقد كان الشيخ خير الدين حريصا على تلقين أبناء وطنه مختلف العلوم لأنّه كان يعرف قيمة العلم في بناء الحضارات ،لذلك لم يقتصر حرصه على تلاميذ المعهد والمدارس داخل الوطن بل امتد حرصه إلى خارج الوطن ،ففي جامع الزيتونة كان الشيخ يقوم بزيارات مستمرة ليتفقّد طلبة الجزائر وكان يلقي عليهم خطبا متنوعة،رغم أنّه كان يتعرض في بعض الأحيان للمضايقات من بعض الطلبة كتلك التي تعرض لها في صيف 1948م ،لكن رغم ذلك فمترجمنا كان يعي ما يحدث ويعرف أن هناك محاولة للنيل من الجمعية و سمعتها،لكن الطلبة استنكروا تلك الأفعال وأعلنوا تقديرهم واحترامهم لشيخهم وولاءهم لجمعية العلماء[2].

يمكن القول أنّ الشيخ خير الدين كان يخوض تنقلاته ويقوم بدوره التربوي بكل شجاعة من الشرق إلى الغرب ،ومن الشمال إلى الجنوب تاركا وراءه تلك الخطب البليغة الحماسية المثيرة للنفوس وخلفه تلك القلاع الحصينة من مدارس ومساجد، التي و بدون شك قد منعت الاستعمار الفرنسي من تسلّق أسوارها العالية المحصّنة بالدين الإسلامي واللغة العربية، ووراءها جند من أبناء الجزائر ،وبتلك الإنجازات التربوية التي قام بها شيخنا إلى جانب أقرانه العلماء ،حافظت الجمعية على مقومات الشخصية الوطنية.

---

[1]جريدة البصائر: مقال" **خطاب فضيلة الأستاذ محمد خير الدين في الاحتفال بالناجحين في الشهادة الأهلية بالمعهد**" ، العدد 281 ، 30 جويلية 1954 ، ص 01 .

[2]جريدة البصائر:مقال "**الشيخ خير الدين في تونس ، إستنكار وتبرؤ**"، العدد 41 ، 28 جوان 1948 ، ص 03

**المبحث الرابــع:نشاطــه الصحفــي.**

لقد كانت الصحافة من أهمّ الوسائل التي إعتمــدتها جمعيــة العلمــاء المســلمين الجزائريين في نشاطها الإصلاحي، وقد إستعملتها أحزاب أخرى كحزب البيان والحــزب الشيوعي وحسب الدكتور أبو القاسم سعد الله فإنّ عبارة "الصحافة الوطنيــة"فــي العهــد الاستعمار تعني الصحافة المعبّرة عن الاتجاهات الوطنية سواء منها المتطرفة أو المعتدلة وسواء كانت باللغة العربية أو الفرنسية[1].

وقد ظهرت الصحافة الوطنية الجزائرية في بداية القرن العشرين ضعيفة الإخراج ،ركيكة الأسلوب ،لكنها إهتمت بالقضايا الوطنية ،فكانت صحافة نضال مستمر ضد الفساد و الاضطهاد وضد نظام الاندجينا[2]، رغم أنّ مستوى الكتابة كان متخلفا بشكل عام ومليئا بالأخطاء في اللغة والأسلوب ،ولم تسلم من ذلك إلا صحافة جمعية العلماء التــي كانــت صحافتها أكثر دقة وعناية من ناحية الأسلوب و اللغة[3].

وفيما يخص الصحافة الإصلاحية لجمعية العلماء فبالإضافة إلى إستعمال العلمــاء للمدارس للحفاظ على اللغة العربية، وتخريج العلماء و المثقفــين ،و المســاجد للــوعظ والإرشاد ،فالصحافة هيّأت الأرضية المناسبة للمصلحين لإقناع المجتمع بالتغيير وقبولــه والابتعاد عن الخرافات و الأباطيل و الدفاع عن الدين واللغة و الوطن ،لذلك برز معظــم قادة الجمعية بكتاباتهم التي كانت جرائد و صحف الجمعية فضاءً لها ،وقد نشــط الشــيخ محمد خير الدين كباقي الكتاب المصلحين بدعمه و تأييده للصحافة الإصــلاحية وكانــت البداية بمشاركته في شراء مطبعة بهدف إصدار جريدة "الإصلاح"ببسكرة ويقول الشيخ[4]

---

[1]أبو القاسم سعد الله:<u>**أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**</u>،ج3،المرجع السابق ،ص87.

[2]الزبير سيف الإسلام: <u>**تاريخ الصحافة في الجزائر**</u> ،ج4،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر: 1985،ص ص94-95.

[3]عواطف عبد الرحمان: <u>**الصحافة العربية في الجزائر(1954-1962)**</u>،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1985م، ص33.

[4]محمد خير الدين: <u>**مذكرات**</u>، ج1، المصدر السابق ، ص78.أنظر أيضا محمد علي دبوز:المرجع السابق،ج2،ص112

في مذكراته :<< كان أول أعمالي ببسكرة السعي لشراء مطبعة بالاشتراك مع جماعة المصلحين وذلك بهدف إصدار جريدة( الإصلاح)[*] التي أدارها الشيخ الطيب العقبي>> .

وبفضل مساهمة الشيخ خير الدين و الشيخ محمد العيد و الأمين العمودي ثم شراء تلك المطبعة القديمة من قسنطينة و التي سمّاها"المطبعة العلمية"[1]،التي واصلت مسيرتها في نشر المقالات الدينية والاجتماعية ومع ظهور صحافة الجمعية وتطورها بعد سنة 1931م،نشطت أكثر الصحافة الإصلاحية رغم تعطيل السلطة الفرنسية لبعض الصحف سنة 1933م، وهي السنة النبوية،الشريعة،الصراط السوي[2] أما مجلة الشهاب فقد إستمرت إلى غاية 1939م والتي كان الشيخ خير الدين أحد كتّابها[3]كما شقّت جريدة البصائر نفس الطريق وهي أيضا من أهم جرائد الجمعية التي بقيت لمدة طويلة وصدرت في سلسلتين: السلسلة الأولى تمتد ما بين 1935 إلى 1939 وكان الشيخ خير الدين صاحب الامتياز فيها ورئيس تحريرها الشيخ العقبي، أما السلسلة الثانية فصدرت مابين 1947-1956م وكان الشيخ البشير الإبراهيمي صاحب الامتياز فيها ورئيس تحريرها.

لقد كانت مقلات البصائر تمتاز بأساليب راقية و لغة سليمة وهذا ليس غريبا ما دام كتّاب هذه الجمعية اغلبهم من خرّيجي جامع الأزهر، و الزيتونة ،و الشيخ خير الدين من بين الذين تخرّجوا من الزيتونة ،فقام بنشر عدة مقالات في البصائر خاصة السلسلة الأولى كما أنّه صاحب الإمضاء في معظم البلاغات التي يصدرها المكتب الدائم للجمعية لأنه كان المراقب العام للجمعية في عهد الإمام ابن باديس وفي عهد الإمام البشير الإبراهيمي عيّن كنائب ثان للرئيس كما كان نائبا لمدير معهد ابن باديس .

---

[*]لم يستطع الشيخ الطيب العقبي طبع جريدته الإصلاح في المطبعة الإسلامية بقسنطينة واتهم الشيخ أحمد بوشمال والإمام ابن باديس بعرقلته،انظر أبو القاسم سعد الله:**تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954م**،ج5،ط1 ،دار الغرب الإسلامي 1998م،ص256.

[1]أبو القاسم سعد الله:**تاريخ الجزائر الثقافي**،ج5،المرجع السابق،ص312.

[2]-رابح تركي: "**إبن باديس ونشأة الحركة الإصلاحية في الجزائر**" ،مجلة الأصالة ،العدد 24 ، الجزائر : مارس ــ أفريل 1975،ص101.

[3]-محمد الطاهر فضلاء:**التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح،المرجع** السابق،ص62.

وفيما يخص المقالات[*]التي كتبها مترجمنا في الشهاب أو البصائر فهي تعالج مواضيع تدخل في إطار الحركة الإصلاحية ،وضمن أهداف جمعية العلماء، وهي تدور حول التعليم العربي الإسلامي و التعليم الرسمي، حرية المساجد، وقضية فصل الدين عن الدولة ،كما أنّه كتب حول الزوايا وهاجمها بقوة، بالإضافة إلى مقالات كان يدافع فيها عن الجمعية ويردّ على الخصوم الذين كانوا يهاجمون المصلحين .

وإذا تتبّعنا كتابات الشيخ خير الدين لوجدنا أنّها تصب في اتجاهات كثيرة ولم تقتصر على الإصلاح الديني فقط وفي هذا يقول الدكتور عبد الكريم بوصفصاف[1] :<< و الحق أنّ دور صحافة الجمعية لم يقتصر على نشر الإصلاح الديني فحسب بل كان من بين أهدافها الأساسية محاربة الطرق، الصوفية و الإدارة الاستعمارية و العمل على إحياء الشخصية الجزائرية وربطها بالوطن العربي الإسلامي ،إبراز معالم التاريخ الوطني من أقدم العصور حتى أيامها كما كانت تقوم بدور المعلم و المرشد والمربي ،بما تنشره من دروس وتوجيهات تربوية بين المسلمين الجزائريين>>.

ومن هنا كان دفاع الشيخ خير الدين عن التعليم العربي الإسلامي قويا هجومه ضد الطرقيين أقوي،ومن بين ما كتبه[2] حول الزوايا:<< إنني أعلن صراحة أنّ هذه الزوايا لم تفعل في سبيل الإسلام شيئا يذكر فيشكر ،وإن فعلت فهو شيء طفيف لا يساوي فتيلا بالنسبة لما أخذته من المسلمين من أموال ومما تمتّعت به من الحظوة والتقدير الذي لا حدّ له>>.،أما ردّ الطرقيين فكان بواسطة كاتب مجهول بعبارات السبّ والشتم من جهة وتمجيد الزوايا من جهة ثانية، فكتب:<< لم يكن في الحسبان أن نخصّص وقتا من أوقاتي العامرة لمنازلة الكويتب الجبان وأن أسدّد سهام إنتقاداتي الصائبة نحو قلبه النّجس،لولا أنّه شوّه وجه الحقيقة و صوّر القضية في غير صورتها وألبسها غير حلّتها وجاء شيئا فريا، فأخذ ينعت الزوايا ورؤسائها ومريديها المعتكفين فيها إلى العبادة والأذكار والتعاليم بنعوت لا تتّفق مع الكرامة ...وليس على خير الدين بعد الخطأ! فهو

---

[*]-يمكن للقارئ أن يطلع على بعض مقالات الشيخ خير الدين بالرجوع إلى الملاحق رقم:

[1]-عبد الكريم بو صفصاف: **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و علاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى** ،المرجع السابق، ص ص142-143.

[2]- محمد خير الدين : "**للحقيقة و التاريخ في الزوايا**"،جريدة البصائر ،العدد 124، 29جويلية 1938م،ص ص2-3.

المذبــذب الــذي لا غايــة لــه ولا مبــدأ و لا ثبــات إلاّ الجــري وراء مصــلحته الخصوصية ...>>[1].

لقد كان الصراع قويا بين مترجمنا الذي كان ينشر أفكــار الحركــة الإصــلاحية ويدافع عن أهدافها بينما الطرقيون كانوا يبرّرون أعمالهم ويرون أنّ نهجهم هو الصــحيح ،ففي قضية التعليم كتب الشيخ خير الدين مقالا[2]، هو رد على ما كتبته جريــدة النجــاح حول "اللغة العربية و ازدهارها" و يتعجب لذلك فيقول :<< عجيــب -والله- أمــر هــذه الصحيفة تدّعي أن اللغة العربية في ازدهار وانتشار بعد أن أعلنت الأمــة تكــذيب هــذه الدعوة وإبطالها مرارا بما تشكوه من عرقلة التعليم العربي واضطهاده و محاولة القضاء عليه >>.وقد كتبت النجاح على لسان المراقب العام للجمعية الطرقية بقسنطينة :<< كتب خير الدين مراقب جماعة "الميعاد العصري"مقالا طويلا العدد 126 من البصــائر حــول التعليم الرسمي ...نقول لحضرة المراقب وشيعته أنّ هؤلاء العلماء الأعلام الذين نوّهــت بعلومهم على صفحات جريدتكم التي هي لسان حالكم و ذكرت مالهم من أيــادي بيضــاء على أبناء الجزائر من جهة تعليمهم علوم دينهم و لغتهم ...هل كانوا مع علمهم و فضلهم كم أشهدت لهم بذلك خونة...>>.[3]

و هكذا إستمر الصراع بين العلماء و الطــرقيين، فالاســتعمار الفرنســي يقــوم باضطهاد المدارس الحرة ويحرم أبناء الجزائريين من حقّهم في التعليم ، وإن توفّر لهــم ذلك فإنهم حتما سيدرسون اللغة الفرنسية وعلومها و آدابها ،فــأين هــو إزدهــار اللغــة العربية؟ وما فعله الأولون في الزوايا لا ينكره أحد لكن دور معظم الزوايــا فــي ظــل الاستعمار كان التقوقع والجمود .

لقد كان الشيخ خير الدين مهتمّا بحالة التعليم العربي الإسلامي الذي هو رمز مــن رموز الأمة فإذا ما انقرض انقرضت معه الأمة وأصبح كيانها في خطر ،لذلك لم يقتصر

---

[1]-مؤرّخ: "**للحقيقة والتاريخ في الزوايا**"،جريدة النجاح،العدد 2170، 3 أوت 1938م.

[2]-محمد خير الدين : "**للحقيقة والتاريخ على هامش التعليم الرسمي**"،جريدة البصائر ،العدد 126، 12أوت 1938م،ص ص2-3.

[3]- المراقب العام للجمعية الطرقية بقسنطينة: " **شرذمة البصائر تعترف بالطرق ورجالها الأعلام**"،جريدة النجاح العدد 2178، 24 أوت 1938.

نشاطه على تدشين المدارس و فتح بيوت الله عبر أنحاء القطر بل إستمر ذلك النشاط في جرائد جمعية العلماء فكتب مقالات نوهت بأهمية التعليم في الحياة ودعت الجزائريين إلى الدفاع عن لغتهم و دينهم ،ومن بين ما كتب:<< في هذا العصر شاع فيه العلم بين سائر الأمم و أصبح حقا طبيعيا لكل إنسان كيفما كان جنسه و لونه أن يطالب بنصيبه في العلم لتكمل بذلك إنسانيته وتتهذب طباعه فيؤدي و وظيفته في هذه الحياة كعضو نافع غير ضار ...في هذا العصر الذي يسمونه عصر الثورة و المدنية ...توصد المدارس الأهلية الدينية ...ونعلن لكافة المعلمين والجمعيات الدينية أن يدافعوا لدى المحاكم الابتدائية والمحاكم العليا عن حقهم الذي خوّله لهم القانون حين يرجع الحق إلى نصابه...>>.[1]

ومن بين الصراعات الأخرى في مقالات الشيخ خير الدين تلك التي كان يردّ من خلالها على السعيد الزاهري الذي كان ضمن أعضاء الجمعية ثم إنسحب منها،وأنشأ عدة جرائد،وقد كان الزاهري كثير الاتهام لمترجمنا، ومن بين تلك الاتهامات أنّ الشيخ خير الدين هدّد بائع جريدة الوفاق في بسكرة بينما مترجمنا يتّهمه بالوشاية للسلطة الفرنسية ،وقد ورد في إحدى مقالاته:<<إن حديثنا في كل ما نكتب هو مع فرنسا ...في سبيل تعلم ديننا و لغة ديننا من بعض النواحي الإدارية المتأثرة على الغالب بالوشايات الباطلة التي تضر بالجميع ...لكن صاحب الوفاق-التملاق-وهو من أولئك الوشاة المفضوحين حال في عدده الأخير أن يصرف كلامنا إلى ناحية أخرى وحديث عن دولة أجنبية...>>.[2]

وفيما يخص الاتهام الذي ألصقه السعيد الزاهري بالشيخ خير الدين فقد أجاب عنه أحد الكتاب في تلك الفترة بقوله:<< كتبت جريدة الوفاق عدد 13(في منبر الأحرار)تحت عنوان التهديد و الوعيد يقول كاتبها:جاءنا من بسكرة أنّ الشيخ خير الدين هدّد وواعد بائع الوفاق ببسكرة بالأذى إذا إستمر على بيع الوفاق وقال له...هكذا يقول الشيخ الزاهري في جريدته الوفاق ،وأنا أقول له أتعجّب كثيرا من رجل عالم كسيادة الشيخ الزاهري يتهم الأبرياء بقول الزّور ويلبسهم بلباس ليسوا من أهله ...و ها أنا أقول لك أرسل جريدتك

---

[1]- محمد خير الدين : "**التعليم العربي الإسلامي بالجزائر**" ،جريدة البصائر،العدد 115، 27ماي 1938م،ص02.

[2]-محمد خير الدين : "**الوفاق يتملّق**"،جريدة البصائر ،العدد122 ، 15 جويلية 1938م،ص 3 .

للكويتب الذي أخبرك، فهو يبيعها لك و أرح نفسك من الشغب و المشاغبة و لا تتّهم رجال الإصلاح بما ليس فيهم...>>.[1]

لقد كانت المقالات التي كتبها الشيخ خير الدين متنوعة وفي إتجاهات مختلفة لكنّها لم تخرج عن إطار مبادئ وأهداف الجمعية ،كما أنها تمتاز بالقصر و الدلالة، أما القصر فلأنّ مترجمنا كان كثير التنقل في أنحاء القطر ليتفقد المدارس و المساجد و حل بعض المشاكل التي تصادف الجمعية باعتباره مراقبا عاما للجمعية لذلك كان يقتطع بعضا من وقته للكتابة ،أما الدلالة فتخص المواضيع التي كان يتناولها فهي واضحة في أفكارها وعباراتها ليس فيها تلميح أو ترميز بل كانت مباشرة ،والمقالات التي كتبها عموما كانت عناصرها بارزة واضحة الأهداف، وكما ذكرنا سابقا فإنّ الشيخ خير الدين علاوة على المقالات التي كان يكتبها في جرائد و صحف الجمعية فإن معظم البلاغات التي كانت تنشرها جريدة البصائر كانت تحمل توقيعه تتضمن ما يخص بلاغات لجنة التعليم ،أو ما يقره المكتب الدائم للجمعية وبلاغات تخص شؤونا أخرى وكانت تحمل توقيع مترجمنا باعتباره النائب الثاني لرئيس الجمعية و نائب مدير معهد ابن باديس و رئيس لجنة التعليم.

و الحق أنّ صحافة الجمعية قد عانت الكثير خاصة في فترة الحرب العالمية الثانية (1939-1945م) حيث أصيبت بشلل تام بسبب تجميد نشاطها السياسي وفق المرسوم الذي صدر بتاريخ 27 أوت 1939م القاضي بمصادرة جميع الجرائد التي تتعرض إلى قضايا الأمن الوطني [2]،كما أن الركود في حركة الصحف مردّه أسباب أخرى حسب الدكتور عبد الكريم بو صفصاف[3] حيث يقول:<< وقد يعود هذا الركود في حركة الصحف إلى أسباب الحرب ذلك أن قادة الجمعية قد إختاروا السكوت والحياد الايجابي لأنّ فرنسا كانت في حاجة إلى تأييد العلماء في حربها مع الألمان حتى تظهر للعالم أن شعوب المستعمرات الخاضعة لها تساندها ماديا ومعنويا ،وهذا ما كان ابن باديس

(1)-الأخضر بوزيدي: "**تكذيب وردّ إفتراء**" ،جريدة البصائر،العدد 123، 22 جويلية 1938م،ص8.

(2)-عمار بو حوش: **التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962**م،ط1،دار الغرب الاسلامي ،بيروت :1997م،ص264.

(3)-عبد الكريم بوصفصاف : **جمعية العلماء المسلمين و علاقاتها بالحركات الجزائرية الاخرى**،المرجع السابق،ص143.

والأغلبية الساحقة من أعضاء المجلس الإداري للجمعية قد رفضوه في إجتمـــاع 1938م حيث أعلن ابن باديس بأنه لن يوافق على إرسال برقية التأييد إلى الحكومة ولـــو قطعـــت رأسه >>.

ورغم القرارات التي كانت تصدرها السلطة الفرنســية إلا أنّ نشـــاط الصـــحافة الإصلاحية إستمر بعد الحرب العالمية الثانية و إنطلقت جريدة البصائر في سلسلتها الثانية منذ 1947م ،و واصل الشيخ خير الدين نضاله الصحفي كباقي زملائه المصـــلحين فـــي الجمعية بإتباع نهج الإمام ابن باديس إلى أن توقّف نشاط الجمعية نهائيـــا ســـنة 1956م والتحق أعضاؤها بالثورة التحريرية بعد أن تبلور الهدف الذي لطالما تمنّاه الجزائريـــون وأعدّت له جمعية العلماء صفوفا من جنودها بعد أن درّبتهم على الدفاع عن دينهم و لغتهم ليأتي الهدف الأخير، و هو تحرير الوطن .

**خـــاتمـــة الفصـــل:**

من خلال ما سبق عرضه و مناقشته خلال هذا الفصل يمكن أن نستخلص النتـــائج الآتية:

**أولا-** أنّ الشيخ محمد خير الدين حظي بمكانة هامة في إطار جمعية العلماء،ومن رئيسها الإمام ابن باديس الذي منح مترجمنا ثقة كبيرة جعلت منه رمزا حقيقيا من رموز الإصلاح ،والمشاكل التي كانت تتعرض لها الجمعية كانت مختلفة أي أنّها لم تأخذ اتجاها واحدا إلا أنّ دهاء و حنكة وحكمة الشيخ خير الدين كانت مفتاحا لها،وجعلته يتولّى مهاما مختلفة .

**ثانيـــا-** إنّ نظرة و منهج الشيخ خير الدين للإصلاح الذي قادته جمعيـــة العلمـــاء المسلمين الجزائريين لم يكن مختلفا كثيرا عن ذلك الذي إتّبعه باقي أقرانه مـــن العلمـــاء المصلحين ،إلا أنّه اظهر نية أكثر للإصلاح الوطني عن طريق مشاركته فـــي مختلـــف الأحداث السياسية ،ومن خلال كتاباته و خطبه التي يبدو لي أنّ فيها نظرة سياســـية إلـــى جانب الإصلاح الديني،ولم يصرح به مترجمنا مباشرة لأنّ ذلك يتنافى و مبادئ الجمعيـــة وقد تعرّض الجمعية للخطر.

**ثالثا-** لقد قام الشيخ خير الدين بجهود عظيمـــة فـــي مجـــال التربيـــة و التعلـــيم ،فالمدارس التي ساهم في بنائها و تدشينها ومراقبتها ومتابعتها قد وجدت خصّيصا لتعلـــيم أبناء الجزائر ، والمساجد لصيانة الإسلام من خطر التبشير المسيحي ،وسواء بنيت هـــذه المدارس و المساجد في سوق أهراس شرقا أو بني مصاف غربا أوفي أعماق الصـــحراء جنوبا ،أو العاصمة شمالا فذلك إنّما يدلّ على أنّ نشاط الجمعية لم يكن يخصّ منطقة دون أخرى ،والحق أنّ تلك الانجازات قد ساهمت في الحفاظ على مقومات الشخصية الوطنية.

**رابعا-** يمكن أن نعتبر ما كتبه الشيخ خير الدين من مقالات وإن كانت قليلة هـــي إضافة لمقالات أخرى كتبها زملاؤه المصلحون كوسيلة من وسائل الجمعية للتعبير عـــن تمسك الجزائريين بدينهم، ولغتهم ،ووطنهم ،وأنّ ما كتبه مترجمنا لـــم يكـــن للإبـــداع أو الإمتاع وإنّما لمواجهة الاستعمار الفرنسي و ذيوله من الطرقيين والمرابطين.

# الفــصــل الرابــــــع:

# مــواقــفه السيــاســية.

**المبحث الأول** : دوره في المؤتمر الإسلامي الجزائري 1936م.

**المبحث الثاني** : مشاركته في بيان الشعب الجزائري 1943م.

**المبحث الثالث**:مشاركته في جبهة الدفاع عن الحرية واحترامها1951م.

**المبحث الرابع**: دوره في الثورة التحريرية الكبرى 1954م-1962م.

**المبحث الخامس**: موقفه من النظام السياسي بعد الاستقلال.

يتناول هذا الفصل مواقف الشيخ خير الدين السياسية وهي: المؤتمر الإسلامي 1936م، بيان الشعب الجزائري 1943م،الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها سنة 1951،الثورة التحريرية(1954-1962م)،ثم تأتي فترة الاستقلال وموقفه من النظام السياسي في السنوات الأولى للاستقلال.

**المبحث الأول:دوره في المؤتمر الإسلامي الجزائري1936م.**

يعتبر المؤتمر الإسلامي الجزائري من أهم الأحداث السياسية الذي لم تشهده الجزائر طيلة اكثر من قرن وهو اكبر تجمع شاركت فيه مختلف الاتجاهات و مثلته مختلف الطبقات و قد تميز بالعدد الكبير للحاضرين والمشاركين كما أن المطالب التي طرحها المؤتمرون كانت تحمل آمالا عريضة في مختلف النواحي.

إن فكرة عقد المؤتمر تعود إلى الإمام ابن باديس و يذكر الشيخ خير الدين الذي كان من ابرز قادة الجمعية ومن الذين سايروا الإمام ابن باديس منذ إنشاء الجمعية عام 1931م،أن الإمام ابن باديس قد دعا المكتب الدائم لجمعية العلماء و ذلك لحضور اجتماع مستعجل في أواخر سنة 1935م وقد حضره الشيوخ الطيب العقبي؛ البشير الإبراهيمي ؛الأمين العمودي؛محمد خير الدين،ولم يحضر الشيخ مبارك الميلي،أما الشيخ العربي التبسي فقد كان في مهمة تخص الجمعية ،وقد وقع الاتفاق على إسناد رئاسة المؤتمر للدكتور بن جلول وتأليف مكتب من النواب و العلماء ،كما تم الاتفاق على توجيه الدعوة باسمه ونشرها في الدفاع"لاديفانس" للأستاذ العمودي [1]،و حول تلك الدعوة كتبت الشهاب<< سجل التاريخ المنصف فكرة عقد المؤتمر الإسلامي للأستاذ عبد الحميد ابن باديس فقد نشر في جريدة لاديفانس(la defonce) في عددها الصادر في 3 جانفي 1936م آراء له في السياسة الجزائرية كان لها وقع عظيم ،ومن تلك الآراء التي ارتآها الأستاذ عقد مؤتمر إسلامي جزائري فكان أول من فكر في عقد هذا المؤتمر قبل فوز الجبهة الشعبية بأشهر...>> [2].

وحسب الدكتور ابو القاسم سعد الله[3] فان انعقاد عدة مؤتمرات إسلامية للنظر في قضايا العالم الإسلامي و منها قضية الخلافة ،مؤتمر القاهرة ،مؤتمر الهند 1929،ومؤتمر القدس 1930م كانت الدافعة كما يقول البعض إلى الدعوة إلى عقد مؤتمر إسلامي جزائري.

---

(1)-محمد خير الدين : **مذكرات** ، ج1 ،المصدر السابق ،ص ص272-273.

(2)-البشير الابراهيمي: " **فكرة المؤتمر**" ،مجلة الشهاب ،مج 12، ج 4 ، 12 جويلية 1936 ، ص 198 .

(3)-أبو القاسم سعد الله:**أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**،ج3،المرجع السابق،ص ص20-21.

ويذكر الدكتور عبد الكريم بو صفصاف[1] عوامل داخلية ساهمت في عقد المؤتمر كميلاد جمعية العلماء عام 1931م،ونجاح المنتخبين الجزائريين سنة 1934م في الانتخابات البلدية و أيضا الحزب الشيوعي الذي أصبح منذ 1933 يتهم من طرف الإدارة لمحاولة تهديد مصالح الفرنسية في الجزائر،كما أن ظهور عدة مشاريع إصلاحية و على رأسها مشروع بلوم فيوليت بأنه من أهم عوامل عقد المؤتمر.

لقد ساهمت التحولات السياسية التي وقعت سنة 1936م في الجزائر او فرنسا وحتى في إفريقيا الشمالية و الشرق الأوسط في تغذية روح الاستقلال لدى الشعب الجزائري المسلم ،لذلك دعا الناطقون الرسميون للمجتمع الجزائري إلى تعبئة الرأي العام الإسلامي بهدف عرض طموحات الشعب الجزائري على رجال الدولة الفرنسيين ونتيجة لذلك كان المؤتمر الإسلامي[2].

لقد كان للشيخ خير الدين وبقية قادة جمعية العلماء دور كبير في التحضير لهذا المؤتمر منذ الدعوة الأولى التي أطلقها الإمام إبن باديس ،حيث عقد إجتماع في 6 جوان 1936م أي قبل يوم واحد من المؤتمر التاريخي حيث إجتمعت القوى الجزائرية على إختلاف مشاربها و إتجاهاتها وذلك بنادي الترقي و تدارسوا مطالب الأمة الجزائرية ،وحضر عن العلماء كل من الإمام إبن باديس و الشيخ البشير الابراهيمي والشيخ خير الدين بهدف إستشارتهم فيما يتعلق بالمطالب الدينية و كذا اللغة العربية ،كما تم الاتفاق على صورة المطالب التي تعرض على المؤتمر للموافقة عليها وكيفية التمثيل البرلماني على أن يكون مشكّلا من النواب و العلماء و الشبان مع إسناد رئاسة المؤتمر إلى الدكتور بن جلول [3].

وفي 07 جوان 1936م إنعقد المؤتمر الإسلامي الجزائري،وقد كتبت البصائر :<< هبت الأمة الإسلامية الجزائرية بجميع طبقاتها على تلك الدعوة الجامعة التي أذاعها الأستاذ (عبد الحميد بن باديس )رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و الدكتور (إبن

---

(1)-عبد الكريم بو صفصاف:**جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و دورها في تطور الحركة الوطنية** ،المرجع السابق ،ص 253 .

(2) -ali merad : opict .p.167.

(3)ـــ البشير الابراهيمي : "**النقط التاريخية في المؤتمر** "، مجلة الشهاب ، ،مج 12 ، ج 4 ص 201 .

جلول)رئيس جمعية النواب بعمالة قسنطينة إلى عقد مؤتمر إسلامي جزائري عام تعرض فيه مطالب الأمة وحقوقها ،وتتبادل فيه الآراء بين علماء الأمة و نوابها و ذوي الرأي منها فيما يتّفق من هذه المطالب و الحقوق مع الأوضاع الحكومة الحاضرة ...فتجلت جزائريتها و إسلامها للعيان في يوم مشهود هو يوم 17 ربيع الأول سنة 1355ه الموافق ل7 جوان 1936 و في مدينة تاريخية هي مدينة الجزائر وفي صالة (الماجستيك الفسيحة) >>[1].

لقد انعقد المؤتمر الإسلامي في صالة الماجستيك (حاليا قاعة الأطلس بالعاصمة) وكان حضور العلماء قويا، و فعالا ممثلين في الشيوخ :بن باديس ؛البشير الإبراهيمي ،الطيب العقبي ؛محمد خير الدين إلى جانب حضور النواب و الشيوعيين،أما بالنسبة لممثلي النجم فحسب سعد الله[2] موقفهم لم يكن واضحا ،بينما يذكر احد الكتاب مشاركة النجم في المؤتمر ممثلين عن فروع كل من تلمسان، و مستغانم، و العاصمة ،و يضيف أنّ الفرع الأخير ساهم في حفظ النظام يوم المؤتمر كما شارك في عدة لجان [3]،ويبدو أن القوى الرئيسية التي حضرت المؤتمر حسب المصادر هي:العلماء، والنواب والشيوعيون.

والحق أن المؤتمر كان بهيجا فعدد الحاضرين كان بالآلاف فقد كتبت البصائر:<<إنّ الأمة الجزائرية كلها حشرت في هذا المؤتمر ،وإن قدّرت الجرائد الفرنساوية من ضمتهم قاعة المؤتمر بخمسة أو ستة آلاف شخص وحزرناهم نحن بسبعة آلاف أو يزيدون >> [4]، ويذكر أحد الكتاب أن العدد بلغ أربعة آلاف شخص [5].

---

(1)-البشير الابراهيمي: "**المؤتمر الإسلامي الجزائري ، لا يبني مستقبل الأمة إلا الأمة** "، جريدة البصائر ، العدد 23 ، 12 جوان 1936 ، ص 02 .

(2)-أبو القاسم سعد الله :**الحركة الوطنية الجزائرية** ،ج3،المرجع السابق،ص153.

(3) Mouhamed Guenaneche : **le mouvement d'indépendance en Algérie entre les deux guerres (1919-1939**) ,traduit par sid Ahmed Bouali, entreprise nationale du livre ,Alger ,1990, P.70.

(4)البشير الإبراهيمي : " **المؤتمر الإسلامي الجزائري، لا يبني مستقبل الأمة إلا الأمة** "، جريدة البصائر، المصدر السابق، ص 2 .

(5) -Claude Collot et Henry Jean robert : **le mouvement nationale algérien textes. (1912-1954**),office des publications universitaires, Hydra, Alger ,1978,P.70 .

وتكمن أهمية المؤتمر في الإتفاق الذي وقّعه ممثلو النواب، والعلماء والشيوعيون وهو عبارة عن مجموعة من القرارات تمثل مطالب الأمة أثناء الاجتماع (*)وهي حسب مجلة الشهاب:

1. ثقة المؤتمر بالحكومة الشعبية الجديدة و شكرها على عواطفها نحو الأمة الجزائرية
2. إلغاء جميع القوانين و القرارات الاستثنائية الخاصة بالمسلمين.
3. تخويل المسلمين الجزائريين جميع الحقوق التي يتمتع بها الفرنساويون مع المحافظة التامة على المميزات الإسلامية التي يتمتع بها المسلم الجزائري في أحواله الذاتية الشخصية مع إدخال إصلاحات عليها.
4. تخويل المسلمين الجزائريين حق التمثيل في البرلمان الفرنسي على هذه الصورة:
   - انتخاب مشترك بين المسلمين والفرنساويين.
   - تعميم في المنتخبين على الصورة الجارية الآن في انتخاباتهم المحلية.
   - تأكيد في المحافظة على الأحوال الشخصية الإسلامية.
5. تأسيس لجنة تنفيذية للمؤتمر .

أما الاقتراحات الفردية فهي :

---

(*)- تناول الكلمة الدكتور تامزالي باللغة الفرنسية مرحبا بالمؤتمرين باسم مدينة الجزائر ثم خطب بعده رئيس المؤتمر الدكتور بن جلول الذي وضع أهداف المؤتمر و أهميته و مطالبه وتكلم بعده الدكتور بن التهامي والدكتور عبد الوهاب فالصيدلي عباس فرحات...ثم إنتهت النوبة إلى العلماء فقام الأستاذ عبد الحميد بن باديس باللغة العربية الفصحى فخاطب الأرواح بلغتها ...ثم شرح المطالب الدينية و المطالب المتعلقة باللسان العربي ...وتكلم بعده الشيخ البشير الابراهيمي فنوه بذلك اليوم ،وكانت كلمة الختام للأستاذ الشيخ الطيب العقبي ...،أنظر البشير الابراهيمي:"**يوم المؤتمر**" ،مجلة الشهاب ، ، مج 12 ، ج4، جويلية 1936 ،ص 203.

-إلغاء الولايات العامة وما يتبعها من الأوضاع الإدارية كالدوائر المختلطة والقواد و إلغاء مجلس النيابة المالية الذي يتحكم في الميزانية الجزائرية، و إلغاء المجلس الأعلى المبني عليه.

- إلغاء المحاكم العسكرية.

- عقد المؤتمر بهذا الاسم و بهذه الروح و على هذه المبادئ عند كل مناسبة.

- تكريم الرجال الذين عملوا لخير الجزائر بلا فرق بين أجناسهم الأحياء يشكرهم باسم المؤتمر و الأموات بإحياء ذكراهم و جرى في هذا الموقف ذكر فيوليت(Viollette ) و موتي(Motti) و الأمير خالد و أليان روزي(Alien Rozzi).

* - طرح كلمة (أنديجان)وهجر استعمالها.

* -العفو عن المحكوم عليهم في حوادث 5 أوت [1] [*].

هذا عن أهم مطالب المؤتمر العامة والخاصة،أما مطالب جمعية العلماء التي قدمها لمكتب المؤتمر فهي تصب في محورين هما :اللغة و الدين ، فقد طالبت الجمعية باعتبار اللغة العربية لغة رسمية مثل الفرنسية مع حرية تعليمها في المدارس الحرة ، أما في مجال الدين فقد طالبت الجمعية بتسليم المساجد للمسلمين مع منحها مقدار من الميزانية وفق قانون فصل الدين عن الدولة ، أيضا تأسيس كلية لعلوم الدين ، وتنظيم القضاء مع إصلاح المحاكم الشرعية وفق مبادئ الشريعة الإسلامية [2].

---

[1]البشير الإبراهيمي : "**يوم المؤتمر**" ، مجلة الشهاب، مج 12، ج4،جويلية 1936 ، ص203 ــ 204 .

[*]-تم إسناد رئاسة المؤتمر إلى الدكتور ابن جلول أما المكتب فتكون من السادة :

-عن العاصمة :الدكتور تامزالي،الدكتور بشير عبد الوهاب ،محمد الطاهر طيار الصيدلي،عبد الرحمن بوكردنة.

-عن قسنطينة :عبد الرحمن بن خلاف ،الدكتور سعدان ،الصيدلي فرحات عباس .

-عن وهران :محمد بن سليماني،الدكتور الجيلالي بن التهامي،محمد لالوت.

-عن العلماء:عبد الحميد ابن باديس: البشير الابراهيمي ،الطيب العقبي ،أنظر البشير الابراهيمي : "**المؤتمر الإسلامي الجزائري لايبني مستقبل الأمة إلا الأمة** " ، جريدة البصائر ، المصدر السابق ، ص2 .

[2]البشير الإبراهيمي : " **المؤتمر الإسلامي الجزائري ، لا يبني مستقبل الأمة إلا الأمة** "، جريدة البصائر ، المصدر السابق ، ص2 .

لقد كان للعلماء دور فعّال في مجريات أول مؤتمر إسلامي جزائري ومشاركتهم كانت فعالة و كانوا السبّاقين في إنشائه ،والأكثر إخلاصا في عدد المشاركين، وكان بعض أعضاء مجلسها الإداري الشيوخ: بن باديس ،البشير الإبراهيمي ،الطيب العقبي ،خير الدين،والأستاذ العمودي من أنشط الأعضاء المشاركين في لجانه و أيضا مع الوفد المكلف بعرض مطالب المؤتمر في باريس [1].

و الحق أن الشيخ خير الدين هو واحد من الذين ساهموا ونشطوا في أكبر تجمع سياسي عرفته الجزائر في عهد الاستعمار الفرنسي فكان من الأوائل الذين وضعوا اللبنة الأولى لعقد ذلك المؤتمر بعد الدعوة التي وجهها إليه الإمام بن باديس على معنى المشاورة ،ورغم أنّ الحدث أصبح أكبر و أهم بعد المشاركة الواسعة للنواب والشيوعيين،إلاّ أنّ الشيخ خير الدين تجسد نشاطه بصورة واضحة في اللجان التي أحدثها المؤتمر ،ففي مساء يوم المؤتمر اجتمع زعماء المؤتمر و قرروا تأسيس لجنة مؤقتة تتكون من تسعة أعضاء ،ثلاثة من النواب، و ثلاثة من العلماء، ونفس العدد من الشبان ،فعن النواب :الدكتور بن جلّول رئيس المؤتمر والمحامي عبد السلام بن الطالب والصيدلي عبد الرحمن بو كردنة ،وعن العلماء الشيوخ:البشير الابراهيمي ،والطيب العقبي ،محمد خير الدين .أمّا عن الشبان:الأستاذ بن الحّاج والمهندس عبد الرحمن بوشامة والسيد عبد الله العنابي [2].

و توالت اجتماعات اللجنة المؤقتة بنادي الترقي حيث ساهم الشيخ خير الدين مع بقية الأعضاء في ترتيب المطالب وتنظيم أوراق المؤتمر ،كما تقرر في جدول الأعمال تكوين لجان المؤتمر في المدن الكبرى من العاملات الثلاث ،كما أن كل مدينة تستتبع ملحقاتها لتكون تلك اللجان الفرعية قاعدة قوية للمؤتمر وأن تنتدب كل لجنة عضوا من أعضائها ليكون عضوا في اللجنة التنفيذية ،كما تقرر عقد اجتماع في الخامس جويلية لتشكيل اللجنة التنفيذية [3].

---

[1] -Ali Merad : opcit,p.167.

[2]- البشير الإبراهيمي : "**المؤتمر الإسلامي الجزائري، لايبني مستقبل الأمة إلا الأمة**" ، جريدة البصائر، المصدر السابق ،. ص2 .

[3]- البشير الإبراهيمي : ،المصدر السابق، الصفحة نفسها .

وفي الخامس جويلية انعقد الاجتماع في نادي الترقي بالعاصمة وحضر المنتدبون من اللجان الفرعية التي تم تأسيسها من الغرب إلى الشرق ،وكان الشيخ خير الدين ممثلا للجنة بدائرة باتنة ومعه الدكتور بن خليل و السيد إبراهيم بغباغة [1].

ومن هؤلاء المنتدبين تم اختيار واحد و عشرون عضوا يشكلون "اللجنة التنفيذية للمؤتمر"[*]،وكل سبعة أعضاء يمثلون عمالة و هؤلاء السبعة منهم ثلاثة نواب وعالمين وشابين، فكانت عمالة قسنطينة ممثلة كالآتي:عن النواب:الدكتور بن جلول ،الصيدلي فرحات عباس ،الدكتور الأخذري ،وعن العلماء :الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ خير الدين ،أما عن الشبان :الأستاذ طاهرات و السيد بن قلعية بكير [2].

وبعد الانتهاء من تشكيل اللجنة التنفيذية ،بدأ أعضاؤها العمل في نشاط كبير ،كما أنّ الشيخ خير الدين كان من بين الذين نظّموا و شاركوا في مقررات اللجنة إلى جانب الإمام بن باديس،وسهروا على كتابة مطالب المؤتمر في كراس خاص و قد تقرر إرسال وفد إلى باريس لتقديم المطالب ،وفي جلسة يوم الاثنين السادس جويلية على الساعة الثالثة مساء،شارك مترجمنا في أعمالها التي ركزت على ثلاث نقاط تتعلق بالوفد و هي ،تحديد مأمورية الوفد ،عدد أفراده،ثم تعيين أسمائهم [3]،على أن يكون الوفد متكونا من 18 عضوا ،ومثل العلماء الشيوخ :عبد الحميد بن باديس ،الإبراهيمي و العقبي وسافر الوفد بحرا يوم 8 1 جويلية 1936م و كان قد سبقهم بيومين كل من السيد طالب عبد السلام والدكتور بشير عبد الوهاب، وسلموا مطالبهم إلى مختلف الهيئات الرسمية الفرنسية وكانت الزيارة الأولى الى السيد "موريس فيوليت"(maurice viollette ) الوزير الدولي والوالي العام سابقا ،كما قابل الوفد رفقة السيد فيوليت"(viollette ) رئيس الوزراء السيد

---

(1)-الفتى الزواوي : "**تشكيل اللجنة التنفيذية للمؤتمر الإسلامي الجزائري** " ، مجلة الشهاب ،مج 12 ، ج 04 ،جويلية 1936 ، ص 229 .

(*)-إقترح الشيخ عبد الحميد بن باديس أن يكون رئيس اللجنة التنفيذية ،الدكتور بن جلول و نائبه الأستاذ العمودي وكاتبها العام الأستاذ بن الحاج،أمين مالها السيد عبد الرحمن بوكردنة وتم قبول الاقتراح، أنظر المصدر نفسه ، ص 230 .

(2)-المصدر نفسه،ص229 .

(3)-المصدر نفسه،ص230 .

"ليون بلوم" (Leon Blum) يوم 23 جويلية و قدّموا له مطالب الأمة الجزائرية[*]،التي قررها المؤتمر الإسلامي الجزائري ،كما قابلوا شخصيات أخرى [1].

يمكن القول أنّ مطالب الأمة التي صاغها المؤتمر الإسلامي الجزائري قد انحصرت في خمس محاور أساسية هي :الديني ،الاجتماعي ،السياسي الإداري ،الاقتصادي ،وقد لقيت هذه المطالب آذانا مسدودة من طرف السلطة الفرنسية ،وعاد الوفد وأقام تجمعا كبيرا يوم2 أوت 1936 بالملعب البلدي شرح من خلاله أعضاء الوفد الظروف و لمواقف التي أحاطت برحلتهم الحاملة لمطالب الشعب الجزائري، و حسب أبى القاسم سعد الله فإنّ فشل حركة المؤتمر الإسلامي هي تعبير عن فشل سياسة فرنسا في الجزائر [2]،بينما ذكرت إحدى التقارير الفرنسية أنّ تلك المطالب التي حملها وفد المؤتمر تبين أن هؤلاء الزعماء ينقصهم النضج السياسي [3].

لقد كتب الكثير من الباحثين حول المؤتمر الإسلامي الذي يعتبر أهم تجمع شعبي سياسي كما ذكرنا سابقا،وقد وقعت إحداثه في ظل تولي الجبهة الشعبية للحكم،و التي كانت معروفة بسياستها اللّينة ،وربما ذلك راجع إلى الظروف السياسية الصعبة التي كانت تمر بها فرنسا و أوربا بشكل عام بسبب تنامي الخطر النازي الألماني ، و الفاشي الإيطالي، و كانت الأوضاع تنبئ بوقوع حرب عالمية ثانية و هو ما حدث فعلا، وربما هذا ما جعل القائمين على السلطة في فرنسا يستقبلون الوفد على أرضهم تفاديا لأي تمرد قد يحدث في مستعمرتها الجزائر أو حتى باقي المستعمرات الأخرى .

---

[*]- لقد قامت اللجنة التنفيذية بتنظيم و ترتيب المطالب في أوراق سميت "كراس المؤتمر الإسلامي الجزائري"،وقد نشرت في مجلة الشهاب، مج 12 ، ج4، جويلية 1936 ، المصدر السابق، ص 237 ــ 238 . أنظر أيضا جريدة البصائر: مقال "رجوع الوفد الإسلامي الجزائري من باريز "، العدد 30 ، 31 جويلية 1936 ، ص 03 . . كما تم نشره في عدة جرائد كالأمة ،وجريدة الدفاع.

[1]-إبن الحاج محمد :"وفد المؤتمر يؤم أم العواصم باريس "،جريدة البصائر العدد 30 ، 31 جويلية 1936م،ص 02.

[2] - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية،ج3،المرجع السابق ،ص170.

[3] - **bulletin de renseignements n°12.concernant des mois juillet - Aout –septembre 1936** , S. L. N. A , archive historiques, w de Constantine .

لقد ذكرت إحدى التقارير الفرنسية أنّ المؤتمر الإسلامي قد تكوّن بسبب الجبهة الشعبية التي أبدت تعاطفا مستمّرا معه ،وأنّ المطالب قد وضعت الثقة في حكومة فرنسا الجمهورية ،وأنّ إنهاء قانون الأندجينا هو في مصلحة فرنسا[1].

و مهما يكن فإنّ المؤتمر لم ينته مع عودة الوفد و عقده لاجتماع يوم 2 أوت ،وإنما استمر عمل اللجنة التنفيذية من أجل دفع الجبهة الشعبية لتنفيذ مطالب "كراسة المؤتمر"فالشيخ خير الدين أحد الفاعلين في اللجنة التنفيذية يذكر أنّ اللجنة اجتمعت في ديسمبر 1936م بنادي الترقي و تم تعيين الدكتور البشير عبد الوهاب النائب العمالي عن دائرة البليدة ورئيس وحدة النواب لعمالة العاصمة رئيسا للجنة التنفيذية، أما العلماء فتم تعيين الشيخ خير الدين من الدعاة و الشيخين بن باديس والإبراهيمي ضمن الأعضاء المستشارين ومن بين ما قامت به اللجنة إرسال عريضة إلى الحكومة الفرنسية و طالبت تنفيذ مطالب الوفد الإسلامي الجزائري ،كما أنّها وجهت نداء إلى الأمة دعت فيه إلى الإتحاد و الالتفاف حول رجال المؤتمر و مساندتهم بكل الوسائل [2].

إنّ المتبع لدور مترجمنا و اقرأنه العلماء كممثلين عن الجمعية يلاحظ أنّهم شاركوا بقوة في كل أطوار المؤتمر ،فالعلماء هم أول من دعا إليه، وقد شارك مترجمنا في الاجتماعات التحضيرية و كان ضمن أعضاء اللجنة التنفيذية و مثّل ابن باديس والإبراهيمي و العقبي العلماء في الوفد الذي سافر إلى باريس ،إلا أنّ أحد الكتاب ذهب إلى أنّ المؤتمر هو مؤتمر مخدوعين حيث لم يناقش المشاركون أي مسالة جوهرية ،كما هاجم العلماء على أساس أنّ قبولهم بميثاق المؤتمر في رأيه فيه تناقض كبير لارتكاز مواقف العلماء على مبادئ عربية إسلامية ،فهم يتبنون سياسية الإدماج و يتحدثون في نفس الوقت عن الأمة الجزائرية و عن الاستقلال [3].

---

[1] - **bulletin mensuel d'information concernant la politique indigène dans le département d'Oran** , mois de décembre 1937, S. L. N.A, archive historique ,w de Constantine .

[2] -محمد خير الدين : **مذكرات** ، ج1 ،المصدر السابق ،ص ص279-280.

[3] - Ahmed Mahsas : **le mouvement révolutionnaire en Algérie de la 1ere guerre mondiale a 1954** . libraire éditions L' Harmattan, paris :1979 ,PP.103-104.

ويبدو أن الشيخ خير الدين قد أكد أنّ الجمعية عملت في ميدان السياسة العامة حيث يقول[1] :<< لم تكن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حزبا سياسيا و لم تعمل في ميدان السياسة الحزبية التي تكونت في بلادنا خلال فترة تأسيس الجمعية ،إنّما عملت في ميدان السياسة العامة التي تهدف إلى توعية الأمة و تكوين المواطن الصالح و تبصيره بحقوقه في الحرية والاستقلال>>.

إنّ ما سعى إليه الشيخ خير الدين هو أن ما قامت به الجمعية في جوانبها الإصلاحية كان الهدف منه توعية الأمة ،فالهدف القريب كان تربية النشأ على التمسك بدينه و لغته ،أما الهدف البعيد فهو الكفاح و الجهاد لتحرير الوطن ،ويذهب إلى ذلك الدكتور أبو القاسم سعد الله حيث ذكر أن العمل الذي قامت به الجمعية تمثل في صراعها مع الإدارة الاستعمارية في مطالبها التعليمية و الدينية و رفض سياسة التجنيس ،إلا أنّها تبدو غير سياسية لأنّها صدرت من جمعية و ليس حزبا [2].

إنّ ما يمكن قوله هو أنّ مترجمنا وباقي أقرانه من العلماء قد لعبوا دورا هاما وفعّالا في الترويج لفكرة المؤتمر الإسلامي الذي دعا إليه الإمام ابن باديس ،كما أنّ مترجمنا كان له نشاط كبير في اللجنة التنفيذية للمؤتمر ويكفي أن أعضاءها قد نظّموا ورتّبوا مطالب الأمة في كراسة المؤتمر واكتمل دور العلماء بمشاركتهم في وفد المؤتمر الذي سافر إلى باريس ،ومادام ممثلوا الأمة قد وصلوا إلى فرنسا نفسها فهذا نعتبره خطوة هامة في نمو الوعي الوطن بشكل عام و بداية تبلور أفكار الحرية والاستقلال.

---

(1)-محمد خير الدين: **مذكرات** ، ج1 ،المصدر السابق ،ص285.

(2)-أبو القاسم سعد الله:**أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ،ج4،ط1،دار الغرب الإسلامي ،بيروت:1996م،ص145.

## المبحث الثاني:" مشاركته في بيان الشعب الجزائري 1943م.

يعتبر بيان الشعب الجزائري من أهم الأحداث التي شهدتها الجزائر أثناء الحرب العالمية الثانية وقد كانت هناك خطوات مهدت لذلك البيان التاريخي، ففي 8 نوفمبر1942 وفي ظل أحداث الحرب العالمية الثانية وتعدد الجبهات القتالية جاء الإنزال الأنجلو- أميركي على السواحل الجزائرية، حيث كانت حاملة لشعار الدفاع عن الحرية والديمقراطية .

ومنذ إنزال الحلفاء بدأ الاتصال السري و العلني بين الوطنيين الجزائريين،وبين حزب الشعب و فرحات عباس ،وكانت أيضا المناقشات تدور حول شروط دخول الحرب إلى جانب الحلفاء،ويذكر أبو القاسم سعد الله أنّ فرحات عباس قد اتصل بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ويرجح الشيخان محمد خير الدين و العربي التبسي ،كما أنّه لا يستبعد أيضا مصالي الحاج الذي كان معتقلا ،كما إتصل أيضا بالسيد مورفي (Murphy) ممثل الولايات المتحدة الأمريكية بالجزائر وأغسطين بيرك( Augustin Berque) مسؤول الشؤون الأهلية الفرنسي بالجزائر، وبناء على تلك الإتصالات قدم مذكرة مطالب إلى الحلفاء ،بما فيهم الفرنسيون بتاريخ 22ديسمبر 1942م وقّعها ممثلو الولايات الثلاثة (الجزائر ،وهران،قسنطينة )حيث اشترطت عقد مؤتمر ينتج عنه دستور سياسي وإقتصادي و اجتماعي جديد للجزائر مقابل التضحية التي طلبها الحلفاء لكنها رفضت بحجة أنها تخص الفرنسيين فقط لأنّ دور الحلفاء هو تحرير شمال إفريقيا من السيطرة الألمانية [1].

رغم أن جمعية العلماء قد رفضت الإدلاء برأيها في الحرب كما رفضت مساندة فرنسا ،كي لا تحيد عن مبادئها ،خاصة بعد وفاة الإمام بن باديس و اعتقال الشيخ البشير الإبراهيمي، إلا أنّ الشيخ خير الدين كان من أولئك الذين دافعوا عن حرية الوطن، كما شارك إلى جانبه الشيخ العربي التبسي حتى وإن كانت الجمعية معروفة بابتعادها عن السياسة ،فوجود الحلفاء على أرض الجزائر وتبنّيهم لمبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها جعل مترجمنا من السبّاقين لاغتنام تلك الفرصة إلى جانب وطنيين آخرين

---

[1]-أبو القاسم سعد الله:**الحركة الوطنية الجزائرية** ،ج3،المرجع السابق ،ص ص205 -206.

ممثلين عن مختلف الاتجاهات مما يبين الرغبة الصادقة قي التخلص من الوجود الفرنسي،و لم يثن رفض قائد الحملة "جيرو" لمطالب الطبقة السياسية من عزيمتهم. وقرّروا الاستمرار في المطالبة بحقوقهم ويذكر أحمد توفيق المدني[1] أنّه في شهر جانفي 1943م اتفق كل من الإخوان عباس فرحات و الحكيم ابن جلول على الدعوة إلى اجتماع سياسي تأسيسي، وكان بهدف وضع مطالب الشعب الجزائري ،ويضيف أحمد توفيق المدني[2] أنّهم أخبروا " مورفي"(Murphy ) ممثل أمريكا بذلك الاجتماع تفاديا لما قد تقدم عليه السلطة الفرنسية، وفي 10 فيفري 1943م تم التوقيع على مجموعة من المطالب سميت "بيان الشعب الجزائري".

و قد كان الشيخ خير الدين واحدا من الذين ساهموا في ذلك البيان التاريخي إلى جانب ممثلين عن مختلف الاتجاهات ،ويقول فرحات عباس[3] كاتب هذا البيان :<< فاجتمعوا حينذاك في مكتب الأستاذ بومنجل في الجزائر العاصمة و حضر هذا الجمع السادة الدكتور تامزالي رئيس القسم القبائلي في النيابات المالية ،وغرسي أحمد نائب مالي وقاضي عبد القادر مستشار عام ورئيس جمعية الفلاّحين و الدّكتور الأمين وعسلة عضو حزب الشعب الجزائري ،والشيخ التبسي و الشيخ خير الدين و الشيخ توفيق المدني من جمعية العلماء و الدكتور بن جلول وفرحات عباس و محمد الهادي جمام رئيس جمعية الطلبة والدّكتور سعدان مستشار عام إتفق هؤلاء النواب عن خطط مبدئية و قرروا نشر ميثاق جديد يتضمن مطالب الشعب الجزائري فكلفت أنا بتحريره فعدت إلى مدينتي سطيف وهناك حررت بيان الشعب الجزائري>>.

إن الملاحظ للحاضرين الذين و قّعوا على البيان يلمس تقاربا بين التشكيلات الوطنية ، فنجد العلماء و النواب و حتى من حزب الشعب المنحل،ويبدو أنّ هناك تطورا في الوعي الوطني وإلاّ فلماذا ذلك التقارب والذي بدأ في الحقيقة رغم فشله منذ المؤتمر الإسلامي سنة 1936م و ذلك يتبين من خلال المطالب التي كتبها فرحات عباس

---

(1)-أحمد توفيق المدني :**حياة الكفاح**،ج2،المصدر السابق،ص367.

(2)- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3)-فرحات عباس،المصدر السابق،ص167.

وذكرها في كتابه[1] حيث يقول:<< فان الشعب الجزائري يطالب من الآن و ذلك تبديدا لكل سوء تفاهم و تداركا للمطامع و المطامح التي قد تكشّر أنيابها بما يأتي:

1. إدانة الاستعمار و القضاء عنه ،أي تحريم استغلال شعب من طرف شعب آخر و تحريم إدماجه و ضمه عنوة.
2. تطبيق تقرير المصير لجميع الشعوب الصغيرة منهاو الكبيرة .
3. منح الجزائر دستورا خاصا بها يضمن لها:

أ. حرية جميع السكان و المساواة بينهم دون ميز جنسي و لاديني.

ب. إلغاء الإقطاعية الفلاحية و ذلك بإصلاح زراعي واسع النطاق يضمن الرفاهية و الرخاء لسواد الجماهير الفلاحية .

ج. الاعتراف باللغة العربية كلغة رسمية بجانب الفرنسية .

د. حرية الصحافة و حق الاجتماع .

هـ .التعليم المجاني و الإجباري لجميع الأطفال ذكورا و إناثا.

ز. مشاركة المسلمين في حكم بلادهم مشاركة عاجلة و فعلية.

ن. إطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين من جميع الأحزاب>>.

لقد تعددت الآراء والتحاليل حول محتوى البيان ومقاصده وحسب أحد الكتاب[2] فإنّ ذلك البيان هو نظام قانوني هجين يحتل مكانة وسطى بين استقلال حسب النموذج السوري والمحمية حسب النموذج التونسي ، لكنه يستند إلى استقلال داخلي أضفت عليه أفكار حزب الشعب، أما كاتبين آخرين[3]،فقد عبّرا عنه بأنه طريق "الجنسية والمواطنة".

وإذا ما تتبعنا آراء أخرى نجد أن البيان احتوى على مطالب خاصة بجمعية العلماء والتي دونها الشيخ خير الدين والشيخ العربي التبسي كالاعتراف باللغة العربية

---

[1]- فرحات عباس :المصدر نفسه ،ص ص169-170.

[2]-بنجامين سطورا: **مصالي الحاج 1898-1974م، رائد الوطنية الجزائرية** ،ترجمة صادق عماري ؛مصطفى ماضي ،دار القصبة للنشر ،الجزائر: 1999م،ص186.

[3]- الجيلالي صاري،محفوظ قداش:المرجع السابق،ص72.

كلغة رسمية على قدم المساواة مع اللغة الفرنسية وحرّية التعليم أيضا و مجانية ،حرية الصحافة ،كذلك حرية العقيدة لجميع السكان و تطبيق مبدأ فصل الدين عن الدولة على جميع الأديان وهي من أهم مطالب الجمعية قبل الحرب و منحت للبيان أكثر قوة،كما أنّ البيان كان يهدف إلى القضاء على الاستيطان في الجزائر و يبحث عن دور للجزائريين في حكم بلادهم بعيدا عن السيطرة الفرنسية ،وذلك بالقيام بإصلاحات مختلفة لتجسد ذلك الدور ،وقد ظهرت تلك النية بعدد المنخرطين في الحركة الذي وصل إلى أكثر من نصف مليون في أقل من عام واحد [1].

و هكذا قام و فد عن البيان مكوّن من:الدكتور بن جلول و الدكتور تامزالي ،وأورابح و بن علي الشريف والدكتور الأخضري ،وفرحات عباس بتسليم نص البيان إلى الوالي العام بيروتون[*] (Pyrouton)،بتاريخ 31 مارس 1943، فاستقبلهم ،ووعدهم بأن يأخذ النص بعين الاعتبار كأساس لدستور الجزائر،وتم تشكيل لجنة سميت "لجنة البحث الاقتصادي والاجتماعي الإسلامي" يوم 3 افريل 1943م، ويرى أبو القاسم سعد الله [2] أنّ تلك اللجنة لا تخص المسائل السياسية وأنها أحدثت لكسب الوقت لأنّ الحلفاء لم يعبروا في ذلك الوقت البحر المتوسط إلى أوربا وكذلك تذويب الحماس الوطني وخلق انقسامات داخل الحركة الوطنية التي تجمعت حول البيان.

و مهما كانت طبيعة تلك اللجنة فقد اجتمعت مرتين من 14 إلى 17 أفريل ثم من 23 إلى 26 جوان و صادقت على لائحة عرفت باسم"ملحق البيان"[**]، وسلم إلى الجنرال"ديغول"(De Gaulle) يوم10 جوان كما سلم أيضا إلى الجنرال " كاترو" (Catroux)، وصادقت عليه لجنة الدراسات يوم26 جوان بحضور مندوب الحكومة الذي

---

[1]-مصطفى طلاس،بسام العسيلي:**الثورة الجزائرية** ،ط1،دار الشورى،بيروت :1982م،ص73.

[*]-كما تم تسليم نص البيان إلى ممثلي الو لايات المتحدة، وإنجلترا و روسيا ،وأرسل إلى لندن، و إلى الجنرال ديغول ،و إلى الحكومة المصرية بالقاهرة ،أنظر فرحات عباس ،المصدر السابق ،ص173.

[2]-أبو القاسم سعد الله:**الحركة الوطنية الجزائرية** ،ج3،المرجع السابق،ص208.

[**]-كان يتضمن الملحق فصلين :الفصل الأول متعلق بإصلاحات آجلة لن يتم إنجازها إلاّ بعد نهاية الحرب ،وكان ذلك الفصل يقول:عند نهاية الحرب ،تصبح الجزائر دولة جزائرية لها دستورها الخاص يضعه مجلس تأسيسي جزائري منتخب من طرف الجزائريين قاطبة ،أما الفصل الثاني فإنّه ينص على إصلاحات عاجلة طالب الشعب الجزائري بتنفيذها في الحين،نظرا للظروف...،أنظر فرحات عباس: ا لمصدر نفسه،ص ص173-174.

أعطى موافقته[1]،وقداعتبره بعض الكتاب أنّه الأكثر دقة ووضوحا من البيان نفسه[2] وحسب أبي القاسم سعد الله [3]فإنّ البيان و ملحقه وثيقة واحدة يحتوي على مزيج من المطالب السابقة للنخبة والعلماء و حزب الشعب ،وأنها من وحي التجارب الماضية للجزائريين مع الاستعمار ،و هناك من الكتاب من تحدث عن الملحق وذكر بأنّه يدور حول التحرير و الدستور المستقل ومجلس جزائري منتخب لكنه أعاب على الملحق إهماله للاستقلال و فسر ذلك بأنّه تحدّث عن الرقابة و التوجيه لفرنسا [4].

لقد شارك الشيخ خير الدين في البيان التاريخي و عبّر عن مطامح جمعية العلماء و الشعب الجزائري المقهور ،ويبدو أنّ الإصلاح عنده -كما ذكر سابقا –لم يقتصر على الدين فقط بل حتى الإصلاح الوطني ،أي المشاركة في الأحداث السياسية و في ذلك البيان وقّع مطالب الجمعية التي كانت دينية تربوية و هذا صحيح لكن ذلك التمسّك بالدين واللغة سيؤدي حتما إلى وعي وارتقاء نحو مطالب أخرى هي التخلص من السيطرة الاستعمارية نهائيا.

و الحق أنّ نشاط الشيخ خير الدين قد استمر أثناء الحرب العالمية الثانية نظرا للجواب الذي أعطاه الفرنسيون حول البيان و ملحقه حيث كان رد ديغول(De Gaulle) الإعلان عن إصلاحات 7 مارس 1944م التي لم تأت بالجديد لأنّ الجزائريين صاروا لا يرغبون في الجنسية الفرنسية أكثر مما يبحثون عن الحرية و الاستقلال خاصة مع التطورات التي حدثت أثناء الحرب و نجاح الحلفاء في تضييق الخناق على الألمان،كذلك بداية تبلور فكرة إنشاء هيئة أممية من بين بنودها حق الشعوب في تقرير مصيرها ،كل هذه العوامل جعلت فرحات عباس يبادر إلى إنشاء حركة سياسية باسم "حركة أحباب

[1]-شارل أندري جوليان:المرجع السابق،ص317.

[2]-الجيلالي صاري،محفوظ قداش: المرجع السابق ،ص76.

[3]-أبو القاسم سعد الله:**الحركة الوطنية الجزائرية** ،ج3،المرجع السابق،ص213.

[4] -ahmed mehsas :op.cit.P.168.

البيان و الحرية" [*]التي تأسست في 14 مارس 1944م بمدينة سطيف ،وكان الشيخ خير الدين من بين أعضائها في إطار جمعية العلماء ،وذلك للدفاع عن مطالب البيان السابقة الذي يبحث عن الحرية و يوضح النص الإضافي و الملحق حاولت الحركة جعل فكرة الأمة الجزائرية شيئا مألوفا و الكفاح من أجل تأسيس جمهورية مستقلة ذاتيا ومتحدة مع جمهورية فرنسا[1].

لقد كان رد فعل الاستعمار الفرنسي عنيفا بعيدا عن الأخلاق الإنسانية فكل المطالب التي ظهرت أثناء فترة الحرب العالمية الثانية ومن أول مذكرة إلى حركة أحباب البيان و الحرية ،والتي كانت مطالبها شرعية خاصة مع الظروف الجديدة ،وبعد نزول الحلفاء ظهر بصيص من الأمل للشعب الجزائري و قادة الحركة الوطنية لذلك سعوا جاهدين لإقناع كل الأطراف بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره ،لكن الفرنسيين والأوربيين والأمريكيين إحتسوا كأس الانتصار على حساب ألمانيا و حلفائها ،أما الجزائريون فلم ينالوا شيئا بل العكس فقد احتفل الفرنسيون يوم 8 ماي 1945م بقتل أكثر من 45 ألف جزائري حسب معظم الروايات و كأنّ الجزائريين كانوا إلى جانب الألمان ،كما قال الشيخ البشير الإبراهيمي[2] حول المجازر : << يوم مظلم الجوانب مطرز الحواشي بالدماء المطلية ... وفي لحظة تسامع العالم بأنّ الحرب انتهت مساء أمس ببرلين وابتدأت صباح اليوم بالجزائر...>>.

---

(*)- لقد رسمت حركة أحباب البيان أهدافها كما يلي:

- المهمة العاجلة و الأكيدة لهذه الحركة هي الدفاع عن البيان.
- نشر الأفكار الجديدة التي هي روح الحركة .
- إستنكار الاستبداد و التنديد بالعنصرية و جبروتها، أما وسائل نشاط الحركة هي:
- إسعاف كل ضحايا القوانين الاستثنائية و ضحايا القمع و الاضطهاد.
- إقناع الجماهير بمشروعية الحركة وخلق تيار مؤازر للبيان.
- ترويج فكرة إنشاء دولة جزائرية وتأسيس جمهورية مستقلة مترابطة بروابط فيدرالية مع جمهورية فرنسية جديدة مناوئة للاستعمار ،أنظر فرحات عباس :المصدر السابق،ص ص181-182.

(1)-الجيلالي صاري،محفوظ قداش :المرجع السابق،ص78.

(2)-محمد البشير الابراهيمي: "**ذكرى 8 ماي**"، جريدة البصائر ، العدد 35 ، 10 ماي 1948 ، ص 01 .

كما أنّ الشيخ خير الدين وباقي أعضاء الجمعية قد نالوا نصيبهم جرّاء جرأتهم على المجاهرة بحقوقهم إثناء الحرب لأنّ في تلك المرحلة لم يكن هناك وقت للفرنسيين للرد خاصة أمام الخطر الألماني وبعد القضاء على ألمانيا أفرغ الفرنسيون غضبهم بالقتل و السجن و التعذيب على كل من شارك أو لم يشارك في التشويش على الفرنسيين و يقول الشيخ خير الدين[1] عن الاعتقالات التي كانت مصيره ومصير معظم الجزائريين :<< وفي صباح هذا اليوم –أي 9 ماي 1945م-داهمت شرطة المدينة المنزل الذي نقيم فيه أنا والشيخ العربي التبسي وحملونا إلى سجن الحراش بالجزائر العاصمة وبعد قضاء شهرين بين جدرانه نقلنا إلى سجن وهران وبعد انقضاء عدة شهور نقلونا إلى معتقل (بوسوي) جنوب مدينة وهران>>.

يمكن القول أنّ مشاركة الشيخ خير الدين في بيان الشعب الجزائري وما نتج عنه من ملحق للبيان و إنشاء لحركة أحباب البيان و الحرية أنّها محطة هامة و حاسمة تضاف إلى جهوده الإصلاحية ،وبدأت تظهر جهوده في الإصلاح الوطني بعد المحطة الأولى خلال المؤتمر الإسلامي سنة 1936م،فنشاطه وحنكته جعلته يشارك إلى جانب أبرز قادة الحركة الوطنية الجزائرية ،كما انّه وقع أهداف جمعية العلماء و بيّن أنّ الجمعية ليست دينية فقط،كما أن لها أيادي عظيمة في محاربة الاستعمار.

---

[1]-محمد خير الدين:**مذكرات** ،ج2،ط2،مؤسسة الضحى، الجزائر: 2002م، ص16.

## المبحث الثالث: مشاركته في جبهة الدفاع عن الحرية و احترامها سنة 1951.

لقد خلفت الحرب العالمية الثانية نتائج هامّة وحاسمة سواء على الطبقة السياسية أو الطبقة الشعبية خاصة بعد مجازر 8 ماي 1945 م و التي راح ضحيتها أكثر من 45 ألف شهيد ،ففي سنة 1946م عاودت اتجاهات الحركة الوطنية نشاطها رغم أنها فشلت في تجمعها ضمن حركة أحباب البيان والحرية بسبب التصلّب الفرنسي ،وواصلت نشاطها بعد الحرب و حاولت التجمع و توحيد الجهود مرة أخرى في جبهة تكون قادرة على إيصال مطالبها وذلك بالنظر إلى التطورات الجديدة و ظهور هيئة أممية من مبادئها الحفاظ على السلم والأمن في العالم و الدفاع عن حق الشعوب في تقرير مصيرها .

لقد توحدت الجهود فعلا و ظهرت باسم"جبهة الدفاع عن الحرية واحترامها" ،وقد مهدت لظهورها عدة لجان وهي ،لجنة إغاثة ضحايا القمع التي أنشئت سنة 1948م ولجنة الدفاع عن حرية التعبير التي أنشئت سنة 1950م [1]،وكانت تلك اللجان تدافع عن الحرية و التعبير،وظهر الالتفاف حولها أكثر بعد اكتشاف المنظمة السرية في مارس 1950م من طرف الشرطة الفرنسية و مست إجراءاتها الحركات الأخرى التي لم يعد لها الحق في التعبير الانتخابي بما في ذلك الصحافة التي كانت محل تفتيش ومصادرة دورية كما تم تزوير الانتخابات التشريعية التي جرت في جوان 1951م،وهذا ما أدّى إلى عملية وحدوية بين الحركات الجزائرية ضد القمع [2].

لقد سبق ميلاد الجبهة الجزائرية تأسيس هيئة أطلق عليها "اللجنة الإنشائية لتأسيس الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية و احترامها "وذلك يوم 25 جويلية 1951م [*]، وقد

---

[1]-عمار هلال:المرجع السابق ،ص372.

[2] - claud collot, henry jean robert :op.cit .P.288.

[*]-يتكون أعضاء لجنتها الإدارية حسب ما نشرت جريدة المنار ،العدد 7،ص4:

- عن الجمعية :(العربي التبسي،محمد خير الدين،أحمد بو شمال،جمال سفينجة،حدود الطاهر غيابيا).
- عن حركة الانتصار:(أحمد مزغنة،عمر محبوب،عبد الرحمن كيوان،صالح معيزة،سويح الهواري المستيري).

أشارت الى ذلك جريدة المنار [*] في مقال لها:<< إنها لبشرى تشرح الصدور وتنعش الآمال و تقوي التفاؤل بمستقبل هذا الوطن...بشرى تبين أن قادة الحركة العامة التحريرية في الجزائر يعرفون كيف يستغلون دروس التاريخ وكيف يحبكون من حبال الاستعمار شباكا للقضاء عليه،هذه البشرى هي تكوين"لجنة إنشائية لتأسيس جبهة جزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها "فإنّ الذي تريده هي توحيد السياسة و العمل في جبهة قومية تتمثل فيها مصالح الشعب إلى الحرية والاستقلال...>> [1].

لقد وحدت اللجنة الإنشائية مطالبها [**]،و ضمت كل الاتجاهات الوطنية من العلماء و الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري و الحزب الشيوعي و حركة انتصار الحريات الديمقراطية و دعت اللجنة إلى عقد جمعية تأسيسية و حددت تاريخ 5 أوت 1951م لإعلان المولود الجديد وهو ما تم فعلا حيث تم عقد الجمعية في قاعة سينما" دنيا

---

- عن الاتحاد الديمقراطي:(أحمد بو منجل،قدور ساطور،حاج السعيد الشريف ،أحمد فرنسيس،مزيان محمد،عبد الحميد سالم).
- عن الحزب الشيوعي: (بول كا بالرو،أحمد محمودي،كوش يونس ،أحمد بن خلاف ،كامي لاربير ،عبد الحميد بوضياف).

-عن الشخصيات المستقلة:(الجنرال توبير ،دوميرق ،احمد توفيق المدني،مندوز"غيابيا" العربي رولة"غيابيا" محمد الابلق).

[*]- المنار :جريدة المنار جريدة سياسية ثقافية دينية حرة سايرت حزب حركة الانتصار ،صدر عددها الأول في 29 مارس 1951 بالعاصمة ،مديرها محمود بوزوزو وقد عالجت الجريدة أحداث المغرب العربي و العالم المعاصر ،وتوقفت عن الصدور في عددها 51 الموافق للفاتح جانفي 1954م لخلاف في الوجهة السياسية و المالية بين مديرها و حزب الانتصار.

[1]_محمد بوزوزو:" **بارقة أمل...خطوة كبيرة في سبيل تحقيق الاتحاد القومي**" ،جريدة المنار، ،العدد 6،30 جويلية 1951 ،ص 1.

[**]- لقد نشرت المنار أهداف الجمعية في المصدر نفسه ، ص نفسها :

1. إلغاء الانتخابات التشريعية المزعومة التي جرت في 17 جوان 1951 م .
2. احترام حرية الانتخابات في القسم الثاني .
3. احترام الحريات الأساسية :حرية الضمير و الفكر و الصحافة و الاجتماع.
4. محاربة القمع بجميع أنواعه لتحرير المعتقلين السياسيين و لإبطال التدابير الاستثنائية الواقعة على مصالي الحاج.
5. إنهاء تدخل الإدارة في شؤون الديانة الإسلامية.

زاد" بالجزائر العاصمة و نشرت وقائعه جريدة المنار كما يلي:<< يوم الأحد 3 ذي القعدة الموافق 5أوت 1951م انعقد في سينما دنيا زاد بالجزائر العاصمة الاجتماع العام الذي دعت إليه اللجنة الإنشائية لتأسيس الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية و احترامها ممثلي الحركات والشخصيات الديموقراطية وقد لبى الدعوة عدد عظيم من الجزائريين أقبلوا من سائر أنحاء القطر ، وجلّهم من المسؤولين عن الحركات الديموقراطية في المدن والقرى المختلفة وحضر الاجتماع بعض النساء، وقد اكتظت القاعة بالحاضرين ...>>.[1]

لقد شارك الشيخ خير الدين بفعالية في تأسيس الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها كممثل عن جمعية العلماء إلى جانب الشيخ العربي التبسي ومساهمته كانت منذ البداية أي منذ اللجنة الإنشائية لأنّ الدعوة لإنشاء الجبهة كانت شاملة لكل الاتجاهات ولم تقتصر على اتجاه واحد أو أشخاص معينين لذلك فقد لبى مترجمنا الدعوة وساهم إلى جانب أبناء وطنه في مواصلة النضال من أجل تحقيق المطالب المشروعة للشعب الجزائري وكي يوقع مطالب الجمعية ،فقد عين الشيخ خير الدين كعضو في اللجنة الإدارية للجنة الإنشائية ،كما أنّه كان من الموقعين على مطالبها إلى جانب الشيخ العربي التبسي عن العلماء[2]،مع توقيعات ممثلين آخرين عن إ.د.ب.ج،و ح.إ.ح.د،و الحزب الشيوعي .

لم تكن المهمة التي أداها الشيخ خير الدين بالسّهلة حيث عيّن كعضو في المكتب الدائم للجبهة [*]،الذي يتألف من عشرة أعضاء يمثل كل حركة عضوان مع إجبارية الإقامة في العاصمة و حددت مهام المكتب الدائم كما يلي:

---

[1]- جريدة المنار: مقال"**<u>الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية و احترامها ،مولود جديد في حاجة الى عناية</u>**"،العدد:7،15 أوت 1951 ص1.

[2]- جريدة المنار: مقال"**<u>لجنة إنشائي لتأسيس جبهة جزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها</u>** " ، العدد 06 ، 30 جويلية 1951 ، ص 01 .

[*]-أعضاء المكتب الدائم هم :الشيخ العربي التبسي ،والشيخ محمد خير الدين(الجمعية)،السيد أحمد مزغنة ،الأستاذ كيوان(حركة الانتصار)،الأستاذ أحمد بو منجل،الأستاذ قدور ساطور(الاتحاد الديمقراطي) ،الأستاذ أحمد توفيق المدني ،الأستاذ مندوز(المستقلين)،السيد كاباليرو ،السيد كوش يونس(الحزب الشيوعي)،أنظر جريدة المنار:مقال"**<u>يوم مشهود في تاريخ النضال التحرري</u>**" ،العدد7 ، 15 أوت 1951 ، ص 03 .

-يطبع و يوزع على اللجان و الهيئات و إتباع الأحزاب و الحركات والشخصيات قائمة من اللوائح الاحتجاجية للإمضاء وذلك لتحقيق الأهداف التي ترمي إليها الجبهة .

-مكلف بإعداد مذكرة عن أهداف الجبهة الجزائرية في أقرب الآجال لتوجه للمنظمات الدولية .

-يوجه وفد عن الجبهة حالا إلى فرنسا و مهمة هذا الوفد:عقد ندوات صحفية والاتصال بالأحزاب السياسية و الشخصيات و المنظمات الديمقراطية و الغرف البرلمانية وتنظيم اجتماعات عامة [1].

لقد كان الشيخ خير الدين واحدا من الذين وضعت فيهم اللجنة الإنشائية الثقة للعمل من أجل تحقيق الأهداف الخمسة التي جاءت في التصريح المشترك وذلك سعيا منها للدفاع عن الحرية واحترامها ،تلك الجبهة التي لقيت صدى كبيرا وواسعا في الوسط الشعبي ،وعبّرت عنها صحف الأحزاب المؤسسة لها ،فجريدة البصائر نشرت الحدث بابتهاج كبير : << و الحمد لله والله أكبر ،لقد تحقق الرجاء ،وكللت جهود العاملين في سبيل جمع كلمة الأمة و تحقيق وحدتها ،بفوز عظيم،فهذه"الجبهة"التي برزت أمام العالم قوية الأسس،متينة البنيان إنما هي طليعة الإتحاد الجزائري المقدس الذي كان منذ أمد طويل أمنية كل جزائري صادق ... فوجود طائفة من العلماء الصالحين المستقلين من جهة ووجود الرغبة الصادقة عند سائر الأحزاب لمباشرة العمل المشترك في سبيل الجزائر الحرة الجديدة >>. [2].

رغم أنّ ما جاء في الاتفاق الذي تبنته الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها و الذي لا يمس بأي حال استقلال ونشاط كل حركة في ميدانها الخاص خارج الجبهة ،إلاّ أنّ الشيخ خير الدين كان من المتحمسين للدفاع عن الحرية لأنّه اكتسب تجربة مهمة من خلال مشاركاته السابقة سواء في المؤتمر الإسلامي أو حركة أحباب البيان والحرية و جعلته ينشط بشكل كبير إلى جانب بقية الأعضاء الممثلين لمختلف التشكيلات

---

[1]- أنظر جريدة المنار:مقال"**يوم مشهود في تاريخ النضال التحرري**"، المصدر السابق، ص03.

[2]-أبي محمد: "**الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها أعظم موقف تتخذه الجزائر المجاهدة في تاريخها الحديث**"،جريدة البصائر :العدد167، 13 أوت 1951،ص1.

السياسية ،وكانت البداية بالتجمع الكبير الذي إقامته الجبهة يوم19 أوت 1951م بالملعب البلدي بحسين داي بالعاصمة وكتبت جريدة المنار[1]:<< كان يوم الأحد 17 ذي القعدة 1370ه (19 أوت 1951م) يوما تاريخيا عظيما وقفت فيه الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها أمام الأمة الجزائرية لتشرح لها أهدافها وتطلب منها مصادقتها على برنامجها و ذلك في اجتماع هائل ضمّ آلاف من الجزائريين اقبلوا من كل ناحية إلى الملعب البلدي في حسين داي تلبية لدعوة"الجبهة"وقضوا أربع ساعات و اكثر تحت حر الشمس الشديد صابرين في سبيل تحقيق"الاتحاد" المنشود الذي يبشر به هذا الحادث التاريخي العظيم>>.

وقد ألقى عن العلماء الشيخ العربي التبسي خطابا ركّز خلاله على شرح النقطة الخامسة من أهداف الجبهة و هي فصل الدين عن الحكومة وتعرّض لمعاملة السلطة الفرنسية للدين الإسلامي و ذكر بأنّ الديانات الأخرى لها حرية كاملة بينما الإسلام محروم من ذلك [2].

وفي نفس الاتجاه تحدث الشيخ خير الدين مطوّلا في خطابه الذي ألقاه في اجتماع الجبهة بقسنطينة حيث ركز على قضية فصل الدين عن الحكومة وما يعانيه من إهانات وتجاوزات و دعا إلى توحيد الجهود بين أبناء الأمة لأنّ الاستعمار مهمته هي مغالطة الأمم والشعوب وقد نشرت البصائر ذلك الخطاب[3] :<<...فلترفع الأمة الجزائرية رأسها عاليا،ولتفخر بأبنائها الذين اجتمعوا بعد فرقة وتواصلوا بعد قطيعة ،فوقفوا اليوم صفا واحدا في جبهة شعبية عتيدة ضمت خيرة الرجال العالمين...وإنّ من أشنع الشنع التي نزلت بالوطن ...إمتهان ديننا الإسلامي الحنيف فانتزع أوقافه و منع العلماء الأحرار من دروس الوعظ والإرشاد في مساجدهم ...لكن الواقع أظهر لنا قيمة الوعود الجوفاء والألاعيب السياسية التي لا يقصد بها إلاّ التظاهر بالديمقراطية ومغالطة الأمم و الشعوب

---

[1]جريدة المنار: مقال "**في يوم تاريخي عظيم الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية تقف إمام الأمة**" ،العدد 08 ،31 أوت 1951،ص1.

[2]- جريدة المنار: العدد 08 ، المصدر السابق ، ص 04 .

[3]- جريدة البصائر:مقال "**الخطاب القيّم الذي ألقاه الأستاذ محمد خير الدين في اجتماع الجبهة بقسنطينة**" ، العدد 169 ، 10 سبتمبر 1951 ، ص ص 1 ــ 2 .

...علينا جميعا أن نتعاون و أن نتبادل التناصر ...و يومئذ ترى الجزائر تعمّرها أمة واحدة لا أمم...>>.

لقد أدّت تحركات أعضاء الجبهة إلى تخوف كبير لدى الفرنسيين و الأوربيين الذين حمّلوا السلطة الفرنسية المسؤولية وراحوا يشنّون حربا شعواء من خلال صحافتهم حيث أكدوا من خلالها أنّ تلك الجبهة خطر على النظام الاستعماري وقد نقل لنا فرحات عباس[1] ذلك بقوله : << إنّ تكوين هذه الجبهة أثارت سخط الإدارة الاستعمارية كما جن جنون جريدة "لادييباش كوتيديان"(La Depeche Quotidian) للمستعمر بورجو(Borjou) ،وثار ثائر جريدة "ليكو دالجي"(Echo d'Alger) للمستعمر دوسيريني(Dussirini) مع أن أهداف هذه الجبهة كانت بسيطة متواضعة ما غايتها إلا النعي بالإجراءات التعسفية التي يتخذها الاستعمار من غير وازع ولا رادع>>.

استمرت حملة الانتقادات من الأطراف الفرنسية و الأوربية و استمر معها نشاط الجبهة فقد أعلن الشيخ خير الدين إلى جانب أعضاء المكتب الدائم للجبهة الجزائرية رفضهم المشاركة في الانتخابات العمالية التي ستجرى في شهر أكتوبر 1951م ،رغم تسجيل موافقة الحزب الشيوعي بالمشاركة ،إلاّ أنّ الجبهة أكدت على قرارها ،ونشرت ذلك جريدة المنار[2] :<< إنّ المكتب الدائم للجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها بعد أن درس مشكلة الانتخابات العمالية التي ستجرى في 7 و 14 أكتوبر 1951م ،وبعد أن استمع إلى بسط وجهات النظر للأحزاب السياسية و الشخصيات المذكورة منها الجبهة ...قد قرروا المقاطعة ...و مراعاة مصلحة الشعب العليا ،تقرر أنّ الجبهة الجزائرية بصفتها هذه لا تتدخل في هذه الانتخابات>> ،وقد شارك الشيخ خيرالدين

---

(1)-فرحات عباس : المصدر السابق،ص277.

(2)-جريدة المنار :مقال "**موقف الجبهة من الانتخابات**": العدد 09 ، 5 أكتوبر 1951 ،ص 01 .

في التوقيع على"التصريح المشترك" [*]حول رفض الانتخابات التي ستجري في شهر أكتوبر.

كما اهتمّت الجبهة الجزائرية بمشاكل القطر فكانت ترسل وفودا عن الجبهة للقيام بالتجمعات وتكوين لجان ولائية مهمتها تقديم تقارير إلى اللجنة الإدارية للجبهة .ومن بين الأحداث تلك التي وقعت في الأوراس فقد أرسلت الجبهة وفدا للتحقيق في أعمال القمع وقد ذكرت جريدة المنار[1] ذلك في أحد مقالاتها جاء فيها :<< إنّ الجبهة بمجرد تشكيلها فاجأتها حوادث"أوراس" التي صدر التنبيه على خطورتها ،فعينت الجبهة وفدا منها توجه حينا إلى تلك الأماكن لإجراء التحقيق ،وبعدما أدّى مهمته عاد إلى الجزائر العاصمة فجمع الوثائق و الشواهد التي حصل عليها لتحرير تقرير أوّل عرض على نظر المكتب الدائم للجبهة الجزائرية للمصادقة عليه ...>> . فكان الشيخ خير الدين وباقي أعضاء المكتب الدائم يقومون بتنظيم التقارير وقراءتها ثم يصادقون عليها بتوقيعاتهم،وبعد إعدادها ترسل إلى الإدارة الاستعمارية وينشر في مختلف الصحف لكشف الجرائم التي تقوم بها قواتها ،والقمع المسلط على الجزائريين ونظرا لإيمان الجبهة بمبادئها فقد وسّعت اهتمامها ليشمل البلدان المغاربية و بعثت برقية استنكار واحتجاج إلى السلطات الفرنسية [**]،نتيجة لقيامها بعمليات القمع و التقتيل ضد التونسيين ،كما بعثت ببرقية أخرى إلى الجمعية العمومية

---

[*]- الموقعون على التصريح المشترك حسب جريدة المنار ،المصدر نفسه،ص02:

- عن العلماء:العربي التبسي ومحمد خير الدين.
- عن حركة الإنتصار :مرباح مولاي و الحسين الأحول.
- عن البيان:أحمد بو منجل وأحمد فرنسيس.
- عن المستقلين:أحمد توفيق المدني.

[1]ــ جريدة المنار: مقال "**بيان من الجبهة الجزائرية عن حوادث الاوراس**"، ،العدد:8، 31 أوت 1951 ، ص01.

[**]-وجهت البرقية إلى كل من رئيس المجلس الوطني الفرنسي، ورئيس الوزارة الفرنسية، و الوزير الفرنسي للشؤون الخارجية و ما جاء فيها:"إنّ الكتابة الدائمة للجبهة الجزائرية بصفتها ترجمان الشعب الصادق لتستنكر إعتداء الاستعمار الذي ردّ على أعمال الشعب الشقيق السلمية بإقامته حالة حرب في تونس نتج قتلى و جرحى ...إنها لتحتج إحتجاجا قويا ... وهي تطالب بإطلاق سراح الوطنيين و الزعماء التونسيين...طالبة النظر بعين الاهتمام إلى مطامحه الوطنية أنظر جريدة البصائر: مقال" **الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية ، حوادث القطر التونسي** " ،العدد 182، 1 فيفري 1952،ص06.

لهيئة الأمم المتحدة إلى مجلس الأمن[*]،لتعبّر عن مدى التضامن الموجود بين البلدان المغربية.

لقد بذل الشيخ خير الدين جهودا كبيرة للدفاع عن الدين الإسلامي وحريته في إطار أهداف الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها ،وكان دوره مهمّا فيها حيث كان أحد أعضاء المكتب الدائم- كما ذكرنا سابقا -،كما أنّ نشاطه كان في نفس اتجاه بقية الأعضاء الذين يمثلون الحركات الجزائرية و الشخصيات المستقلة وفق اتفاق مشترك تعهد الموقعون عليه باحترامه والالتزام بما جاء فيه،إلاّ أنّ المدة التي عاشتها الجبهة كانت قصيرة حيث لم تتمكن من الصمود طويلا أمام ضغط الفرنسيين و المستوطنين الأوربيين الذين كانوا ضد فتح الحرية أمام أي جزائري مهما كان توجّهه ،ويضيف أحد الكتاب إن العوامل الشخصية و التباين في التفكير و الاتجاه و التخوف من عواقب الاتحاد في ظل المنافسات العقائدية التي برزت بشكل واضح ما بين 1947م إلى 1954م، هي التي أدت إلى فشل الجبهة [1]،أمّا أحد الكتاب الذين عاصروا الحدث فذكر أنّ أسباب قصر عمر الجبهة يعود إلى مجال نشاطها الضيق و المحدود كما أنّها كانت عبارة عن جبهة وحدوية لم تتورط في العمل ضدّ السّلطة الاستعمارية ،كما أنّها تفادت عن قصد كل عمل طليعي ،وأنّ القاسم المشترك بين قادتها يتعلق بحرية الشخص لا بتحرير الوطن ،و لم يكن الاستقلال شأنها واهتمامها و الجبهة عبارة عن ائتلاف انحرافي هدفه الأساسي هو الدفاع عن الحرية واحترامها [2]،و هناك من أرجع فشل الجبهة إلى مطالبها الضّيّقة وبنيتها الخفيفة كما أنّها لم تقدر على مقاومة اختلاف الآراء بين الأجهزة وتلاشت شيئا فشيئا دون

---

[*]- أما البرقية الثانية التي وجهتها الجبهة إلى الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة، والى مجلس الأمن جاء فيها:"إنّ الجبهة الجزائرية التي تعرب عن عواطف الشعب المتأثر من الحوادث الدامية وحركات القمع التي شنتها الحكومة الفرنسية على الشعب التونسي تطلب من هيئتكم أن تتدخل لتضع حدا للحالة الخطيرة التي أحدثها الاستعمار الفرنسي". أنظر جريدة البصائر: مقال" **الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية ، حوادث القطر التونسي** " ،المصدر السابق،ص06.

[1]-محمد الطيب العلوي :**مظاهر المقاومة الجزائرية ،من عام 1830حتى ثورة نوفمبر 1954م**، ط1،دار البعث للطباعة والنشر ،قسنطينة،الجزائر: 1985،ص234.

[2]-محمد يوسفي:**الجزائر في ظل المسيرة النضالية المنظمة الخاصة** ،ترجمة محمد الشريف ،بن دالي حسين،منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال ،ص ص154-155.

إنفجار ظاهر [1]،ولم تعمر الجبهة طويلا شأنها في ذلك شأن جميع الجهود التي بذلت بعد الحرب لتحقيق الوحدة بين الوطنيين الجزائريين [2].

ومهما اختلفت الآراء حول الأسباب التي أدّت إلى نهاية الجبهة الجزائرية فالأكيد أنّها كانت حلقة من حلقات الوعي الوطني الذي قاد كفاح الجزائريين إلى الاستقلال والحرية وكانت محاولة أعطت دفعا جديدا للحركة الوطنية الجزائرية مرحليا لتحقيق بعض مطالبها من جهة و اكتساب المزيد من الرصيد النضالي من جهة أخرى أما بالنسبة للشيخ خير الدين فإنّ مشاركته في الجبهة الجزائرية ورغم قصر مدتها فإنّها تمثل مرحلة من مراحل نشاطه ونضاله الإصلاحي الوطني وزيادة عن دفاعه عن مطالب جمعية العلماء فإنّ نشاط الجبهة الجزائرية على المستوى المغاربي كما ذكرنا سابقا قد سمح بالتقاء وتوحد الحركات السياسية المناضلة في تلك البلدان ،وقد سمح بإنشاء تجمع في فرنسا أطلق عليه اسم ميثاق أحزاب شمال إفريقيا وذلك يوم 2 فيفري 1952م [3].

وقد شارك فيه الشيخ خير الدين عن جمعية العلماء إلى جانب الشيخ البشير الإبراهيمي و الشيخ العباس بن الحسين ،وقد انتهى ذلك التجمع بإصدار وثيقة "نص

---

(1) عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون:**الكفاح القومي و السياسي من خلال مذكرات معاصر**،ج3 (1947-1954)،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر :1986،ص181.

(2) جوان غليسبي:**الجزائر الثائرة**،تعريب خيري حماد،ط1،دار الطليعة ،بيروت :1961،ص95.

(3) محمد خير الدين :**مذكرات**،ج2،المصدر السابق،ص50.

الميثاق [*]" و التي سلمها الشيخ خير الدين إلى السيد ترفيلي الكاتب العام لجمعية الأمم نيابة عن وفد أحزاب شمال إفريقيا[1].

وصفوة القول أنّ مشاركة الشيخ خير الدين في الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية و احترامها رغم قصر عمرها فقد كانت محطة هامة في نضاله الوطني الذّي منح من خلاله دعما قويا إلى جانب أبناء وطنه في مواجهة الاستعمار الفرنسي، وفضح أساليبه التعسفية القمعية ،و مواجهة عمليات التزوير لنتائج الانتخابات بالإضافة إلى التنديد بالإعتقالات التي تعرض لها مختلف المناضلين ،وذلك من خلال دوره في المكتب الدائم للجبهة الذي كان محور كل نشاطات الجبهة إضافة إلى الخطابات التي كان يلقيها في التجمعات المختلفة ،كما أنّه دعم خبرته و حنكته السياسية الدبلوماسية بتسليم نص وثيقة ميثاق شمال إفريقيا إلى الكاتب العام لجمعية الأمم ،وحتما سيكون لهذه التجربة أثرها الايجابي في الدور الذي سيؤديه في الثورة التحريرية الكبرى كسفير لها في المغرب الأقصى.

---

[*]-نصّ الميثاق على:

**أولا**-تتعهد الأحزاب و المنظمات الوطنية بشمال إفريقيا :

-بمتابعة الكفاح و مضاعفته في سبيل تحرير إفريقيا الشمالية من جميع أنواع الاستعمار و الوصول بأقطارها ــ في دائرة ميثاق الأمم المتحدة – الى نظام دولي ديمقراطي متمتع بسيادته .

-بتنسيق عملها لتحقيق هذه الأهداف داخل إفريقيا الشمالية وفي الميدان الفرنسي و الدولي .

-بالبحث دوريا في حالة الشمال الإفريقي على ضوء الحوادث في الداخل و الخارج.

**ثانيا**-لجنة الاتحاد والعمل :تقرير تأليف لجنة إتحاد وعمل للشمال الإفريقي و إنشاء كل هيئة لازمة لتنفيذ هذا الميثاق ...،أنظر محمد خير الدين: **مذكرات**، ج2،المصدر السابق ص51.وحول خلاصة أعمال الوفد أنظر جريدة البصائر: مقال" **خلاصة من أعمال وفد جمعية العلماء** " العدد 184 ، 10 مارس 1952 ، ص ص 1 ــ 2 .

[1]-محمد خير الدين:**مذكرات**، ج2، المصدر السابق،ص51.

**المبحث الرابع:"دوره في الثورة التحريرية (1954-1962م)".**

اندلعت الثورة التحريرية في الفاتح من نوفمبر سنة 1954م وكانت المنعطف الحاسم و الأخير للحركة الوطنية وللشعب الجزائري بعد نضال طويل استعملت فيه مختلف الوسائل لمقاومة هذا المحتل البغيض الذي أتى على كل شيء ،وقد سبق اندلاع الثورة المظفّرة نشاطا كبيرا للاتجاهات الوطنية مع محاولات كبيرة لتوحيد الجهود.

لقد كان لجمعية العلماء دور كبير في الثورة التحريرية وذلك بتجهيزها لكتائب من الجنود الذين دربتهم على التمسك بمقومات شخصيتهم الوطنية ،وبعد ذلك اتجهوا نحو ميادين القتال بعزيمة و حماس كبيرين من أجل الجهاد و طرد المحتلين نهائيا ،ومن بين هؤلاء الجنود الشيخ خير الدين الذي يعدّ أبرز قادة جمعية العلماء وقد تناولنا في الفصول السابقة الدور الكبير الذي أداه في مسيرته الإصلاحية الدينية و الوطنية ليختم نضاله ضد الاستعمار بالانضمام إلى الثورة التحريرية وهو الحل الذي التفّ حوله الشعب الجزائري بعد أن حضّر له طويلا ليعلن بذلك حربا ضد المستعمر الفرنسي شعارها النصر و الاستقلال.

وأثناء اندلاع الثورة في أيامها الأولى ونظرا لسرية الأعداد لها فقد تفاجأ الجميع لتلك الهجومات المسلحة مما جعل المواقف تختلف ويقول في ذلك الدكتور محمد العربي الزبيري[1]:<<إنّ السرية التامة التي حرص المعدون للثورة على التحلّي بها طوال الفترة التي تطلّبتها الأعمال التحضيرية هي التي ساعدت على مضاعفة المفاجأة وزرع الشك والحيرة في نفوس المواطنين بصفة عامة والطليعة الوطنية بصفة خاصة >>. ،وبالنسبة لجمعية العلماء فبعد يومين من الفاتح نوفمبر أعلن الشيخ الفضيل الورتيلاني[2] نداءا من القاهرة يوم 3 نوفمبر سنة 1954م نشرته الجرائد المصرية وغير المصرية بارك من خلاله الجهاد الثوري في الجزائر ومما جاء فيه:<< حيّاكم الله أيها الثائرون الأبطال ،وبارك الله في جهادكم ...لقد أثبتم بثورتكم المقدسة هذه عدة حقائق ... إن الجهاد للخلاص من هذا الاستعباد قد أصبح اليوم واجبا عاما مقدسا ...لأنكم اليوم أمام أمرين

---

(1)-محمد العربي الزبيري:المرجع السابق،ص181.

(2)-الفضيل الورتيلاني:**الجزائر الثائرة** :دار الهدى للطباعة و النشر، عين مليلة،الجزائر:1982م،ص ص170-171.

:إما حياة أو موت أم بقاء كريم أو فناء شريف>>. وفي 15 نوفمبر من نفس الشهر ومن القاهرة وجّه الشيخ البشير الإبراهيمي و الفضيل الورتيلاني[1] نداء إلى الشعب الجزائري فيه دعوة صريحة إلى الجهاد و مما جاء فيه :<< ...هلمّوا الى الكفاح المسلح ،إنّنا كلّما ذكرنا ما فعلت فرنسا بالدين الإسلامي في الجزائر، وذكرنا فضائعها في معاملة المسلمين... إنما هو الكفاح المسلح فهو الذي يسقط علينا الواجب ،ويدفع عنا وعن ديننا العار ،فسيروا على بركة الله وبعونه وتوفيقه إلى ميدان الكفاح المسلح،فهو السبيل الواحد إلى إحدى الحسنين،إمّا الموت وراء الجنة وإمّا حياة وراءها العزة والكرامة>>.

إنّ الموقف الذي اتخذه مكتب الجمعية قد صدر من الخارج إلاّ أنّ الظروف التي كانت في الداخل قد ميّزها كما ذكرنا سابقا الحيرة و الدهشة نظرا لسرية الإعداد للثورة ،لذلك كان موقف الجمعية في الداخل محل إنتقاد البعض ، فالدكتور محمد العربي الزبيري يذهب إلى أنّ الجمعية إرتكبت أول غلطة في الثورة بمعارضتها العفوية و اللاشعورية لبيان أول نوفمبر وكان من المفروض أن تواصل ملازمة الصمت مادامت غير مقتنعة أو غير مؤمنة بما حدث [2].

وحسب ما ذكر عبد الرحمان العقون [3] فإنّ الشيخ خير الدين أكد أنّه لا أحد من أعضاء الجمعية كان يعلم بأمر الثورة قبل اندلاعها وأنّهم عرفوا ذلك من خلال جريدة " لاديبيش" القسنطينة حيث يقول، :<< و في أثناء هذا الاجتماع الذي انعقد في صباح يوم فاتح نوفمبر بدار الطلبة بقسنطينة دخل علينا موظفا من موظفي الدار و بيده جريدة "لا ديبيش" القسنطينة ومنها علمنا أوّل أخبار الثورة المتفجّرة في منتصف ليل ذلك اليوم>>.

ويضيف أنّه اتفق مع الشيخ العباس و الأستاذ إبراهيم مزهودي على العمل في الثورة باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين [4].

---

(1)-الفضيل الورتيلاني : المصدر السابق ،ص178.

(2)-محمد العربي الزبيري:_المرجع السابق ،ص181.

(3)-عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون :المصدر السابق ، ص 511 .

(4)-المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

لكن المؤرخ محمد حربي إتّهم الشيخ خير الدين بعدم وطنيته وذكر أنّ الشيخ الحسين الميلي طلب إعانة مادية من الشيخ خير الدين باسم جبهة التحرير الوطني فكان ردّه الرفض :<< إننا لا نريد أن نعتبر كأعداء،لكننا حين تحالفنا في ماي / أيار 1945م مع حزب الشعب الجزائري في إطار منظمة أنصار البيان والحرية دفعنا ثمن تصرفات هذا الحزب ،أما اليوم فإنّ الوضع يختلف ،إنّنا لسنا طرفا فيما وقع لقد تحركتم وحدكم فادفعوا الثمن وحدكم>>.[1]

يبدو أنّ الشيخ خير الدين قد إنضم الى تحالف مهم بعد 1945م وهو جبهة الدفاع عن الحرية وإحترامها و التي ضمّت كل الاتجاهات الوطنية وحسب الدكتور أحمد صاري[2] فإنّ محمد حربي كثير الانتقاد لمواقف جمعية العلماء و الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري و الحزب الشيوعي إتجاه جبهة التحرير الوطني ،بينما تظهر مواقفه من جانب آخر شديدة التحفّظ عندما يتعلق الأمر بوضعية المصاليين و علاقاتهم اللاحقة مع جبهة التحرير الوطني.

والحق أنّ أنصار جمعية العلماء لم يكونوا المتهمين بالتقصير اتجاه الثورة بل حتى التشكيلات السياسية الأخرى تأثرت بذات الموقف ،لأنّ جبهة التحرير الوطني ربما كان هدفها هو تجنيد كل الجزائريين سواء من الطبقة الشعبية والأحزاب والجمعيات ما دام الكفاح المسلح هو الحل الأنسب.

كما أن نجاح الثورة في الفيتنام و انتصارها على الفرنسيين قد منح ثقة أكثر لمفجّري الثورة لتحقيق الاستقلال ،كما أن السّريّة في الإعداد والتحضير للثورة هي التي حيّرت الجميع، لذلك فالهجومات التي قام بها المجاهدون في الأشهر الأولى كانت محل تساؤل الجميع ،وإن كان التأكيد على أنها ثورة حقيقية كان يزداد يوما بعد يوم خاصة بعد هجومات 20 أوت 1955م .

---

[1] -Mohamed Harbi : **<u>la guerre commence en Algérie</u>** , op.cit, p.45.

[2] - Ahmed sari : **<u>l'association des ulama musulman algériens et l'administration française en Algérie de 1931 à 1956</u>**,thèse doctorat, université de Provence ,centre d'Aix Marseille ,I ,u, f,r ,histoire, juillet 1990.P.355.

وفي ظل الدّهشة و التردّد الذي أصاب الجمعية في الداخل وحتى التشكيلات الأخرى حاول الفرنسيون التقليل من أهمية الهجومات وذلك باستعمال طريقة المفاوضات التي أتبعها الحاكم العام الجديد للجزائر جاك سوستيل حيث عيّن منذ بداية فبراير 1955م و قام بإجراء عدة اتصالات مع بعض قادة الأحزاب و الجمعيات السياسية الجزائرية أو ما يسمون بالمعتدلين[*]،محاولة منه لإنهاء الحرب الدائرة رحاها بالجزائر وقد عيّن أحد مساعديه الرائد فانسان مونتاي(Vincent Monteil )[1]،حيث توّجت مساعيه بمقابلة جرت بينه وبين وفد يضم المحامي وكواك عن الاتجاه المصالي والحاج شرشالي عن المركزيين وأحمد فرنسيس عن (إ.د.ب.ج) والشيخ خير الدين عن العلماء [2] ،ويضيف محمد حربي[3] أنّ اللقاء تم في شهر أفريل[**] .

كما أن محمد العربي الزبيري ذكر أنّه تحصل شخصيا على معلومات من الشيخ الحسين بن الميلي [4] الذي كان عبان رمضان قد أرسله في شهر ماي لدعوة أعضاء الجمعية إلى الانضمام للثورة ويضيف أن الشيخ الحسين قد تقابل مع الشيخ خير الدين الذي أجابه بأنّ هناك أمالا كبيرة في التوصل إلى نتائج من خلال المحادثات التي كانت جارية مع الوالي العام ،وأنّ الثورة ليس بمقدورها مواجهة القوات الفرنسية و الانتصار عليها.

ليس بمقدورنا التصديق أو التكذيب لما نقله الشيخ الحسين الميلي لأنّ هناك معلومات قليلة و لا نعرف إن كانت هناك خلفيات بين الشخصين ،وحتى الذين عاصروا الفترة و قابلتهم كانت إجابتهم سطحية بعيدة عن الهدف وإنّ إنشغالهم كان بالثورة التي

---

[*]-التيار الذي أطلق عليه أصحابه صفة الاعتدال ،الذي يتمثل في محاولات الانفتاح على السلطات الرسمية أملا في إيجاد طريق التفاوض قصد التوصل إلى إقناع الحكومة الفرنسية بضرورة تطبيق الإصلاح الذي من خصائصه :العدل و المساواة بين كافة سكان الجزائر ،أنظر محمد العربي الزبيري: المرجع السابق،ص185.

[1] Ahmd Sari :op. cit ,p348.

[2] - Mohamed Harbi : op.cit,p144.

[3] - Mohamed Harbi: **une vie debout, mémoires politiques**. tome 1, 1945-1962, casbah éditions ,Alger : 2001,P.189.

[**]-لقد ذكر محمد العربي الزبيري أنّ المفاوضات قد تمت في شهر ماي ،أنظر محمد العربي الزبيري :المرجع نفسه،ص188. أما بنجامين سطورا فقد ذكر يوم 28 مارس 1955م أنظر:

Benjamin Stora, Zakia Daoud : **Ferhat Abbas une autre Algérie** ,édition casbah,1995.P.212.

[4]- محمد العربي الزبيري :المرجع السابق،ص188

دخلت في شهرها السابع،كما أن الوالي العام في حد ذاته تأكد بأنّ تلك المفاوضات ليس لها أي نتيجة فأوقفها وطالب بزيادة عدد الجنود [1].

ومن جهة أخرى فقد أصدرت المنطقة الثانية تعليمات بإعدام مسؤولين من جمعية العلماء، و إ.د.ب.ج،والحزب الشيوعي ،وقد نجا الشيخ خير الدين من ذلك إضافة الى الكثير ممن لم يعثر عليهم فدائيو جيش التحرير ،كالشيخ بن الحسين،فرحات عباس،الدكتور بن جلول وغيرهم [2].

وحسب محمد العربي الزبيري[3] فان الشيخ خير الدين قد سئل عن موضوع التفاوض مع سوستيل (Soustelle ) فلم ينكر،وأنّ جبهة التحرير قد اتصلت به و بباقي الوفد عن طريق عبان رمضان و طلبت منهم مواصلة التفاوض دون التورط مع العدو ،لكن العربي الزبيري يضع هذا الاتصال في محل الشكّ لأنّ عبان رمضان لم يترك وثائق أو مذكرات تؤكد ما ذهب إليه الشيخ خير الدين ،ويضيف أنّ عبان رمضان قد إتصل فعلا بالتشكيلات المختلفة لكن للاستجابة لنداء الفاتح نوفمبر ،ومع توقيف المفاوضات [*]من طرف سوستيل (Soustelle ) حوّل عبان رمضان حكم الإعدام إلى نوع من العفو شرط اعتراف الجمعية بأخطائها ودعوة أعضائها للانضمام إلى صفوف جبهة التحرير الوطني.

يمكن القول أنّ الموقف الذي إتخذه الشيخ خير الدين من الفاتح نوفمبر كان في البداية مشابها لتلك المواقف التي صدرت من التشكيلات السياسية ، ومن الطبقة الشعبية فالكل كان متردّدا نظرا لسرية الإعداد للثورة كما ذكرنا سابقا،أما في ما يخص الموقف السريع و الإيجابي للشيخ البشير الإبراهيمي و الفضيل الورتيلاني من القاهرة فيعود إلى الوضع الذي كان سائدا في المشرق و نشاط الحركات التحريرية في البلاد العربية كما أنّ

---

(1)محمد العربي الزبيري :المرجع السابق،ص189.

(2) - Mohamed Harbi :**la guerre commence en Algérie** ,op.cit , p. 146.

(3)- محمد العربي الزبيري :المرجع السابق ،ص ص 189-190.

(*)- لقد فشل مونتاي في مهمته لأنّ الحكومة الفرنسية لم تكلفه رسميا بأية مهمة للتفاوض مع الجزائريين ،وبالنسبة لسوستيل فإنه كان يريد إرضاء الأوربيين في الجزائر و التخلص من الفكرة التي أخذوها عنه وهي أنّه يهودي إسمه"بن ساسون" ،أنظر عما ر بوحوش :المرجع السابق ،ص 511.

الثورة المصرية لم يمر على نجاحها سوى عامين لذلك فانطلاق الهجومات جعلت موقف الشيخين إيجابيا أما في الداخل فالوضع كان مغايرا نظرا للطريقة التي تمّت بها الأحداث خاصة إذا نظرنا إلى التطورات السياسية التي سبقت اندلاع الثورة ،وفيما يخص انضمامه إلى الوفد المفاوض مع سوستيل لا يمكن إعتباره من باب عدم وجود روح وطنية ،لأنه حسب رأيي قد استمر في النضال السابق الذي نادت به كل التشكيلات كالمطالبة بالحقوق الشرعية وبوقف القمع و الاستغلال ،كما أنّ تلك المفاوضات قد علّق عليها سوستيل (Soustelle ) والفرنسيون آمالا لوقف ما أ سموه بالعمليات الإرهابية لأنّها تمّت مع أبرز ممثلي التشكيلات الذين كانوا قد مثلوا مختلف التحالفات و الحركات السابقة ،وبالتالي فقد سمحت تلك الظروف باتساع الثورة إن لم نقل بداية نجاحها في تلك الفترة حتى وإن كانت قصيرة لأنها وجهت أنظار الفرنسيين ،وما قامت به جبهة التحرير يبدو أنّه من باب إقناع الجميع بأنه قد حان الوقت ليجتمع أبناء الجزائر في صف واحد حتى وإن كان ذلك بتنفيذ الإعدام و التهديدات و أن تقنع الجميع بأنّ العمل المسلح هو طريق الاستقلال.

ولكن أن نهمّش دور الجمعية بحجّة أنها كانت دينية لا غير فهذا من باب الإجحاف في حق من حافظوا و بدون منازع وباعتراف الجميع على مقومات الشخصية الوطنية وفي هذا يقول الدكتور عبد الكريم بوصفصاف[1] :<< ... ومع ذلك كله فإنّ حركة العلماء كانت تبدو عشية الثورة التحريرية كحركة محافظة بل ورجعية في نظر الشباب الوطني الثوري ،إنّ هذا الحكم الأخير يبدو قاسيا جدا على العلماء الذين لم يكونوا يختلفون (سنة 1954م) عن غيرهم من الحركات الوطنية الأخرى حيث كان فيهم الثوريون والمحافظون ... وإذا كان بعض زعماء ومناضلي حركة الانتصار قد وقفوا ضد الثورة فان بعض العلماء الذين لم يبادروا بالانضمام إلى الثورة في أول الأمر بل فإنّ بعضهم لم يقفوا ضدها ...>>.

---

[1]- عبد الكريم بوصفصاف:**جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى** ،المرجع السابق ،ص 149.

وتبقى قضية المفاوضات وما حدث في الأشهر الأولى لاندلاع الثورة بحاجة إلى أكثر دراسة و تحقيق نظرا للآراء المختلفة وشح المصادر الشفوية نظرا لقرب فترة حدوثها ،كما أنّ المعلومات القليلة تعيقنا للوصول إلى الهدف المنشود.

ومنذ توقيف المفاوضات و بداية توسع نطاق الثورة أنضم الشيخ خير الدين إلى العمل المسلح ،وبدأت الخطوات الأولى لانضمام شيخنا عندما إتصل عبان رمضان به عن طريق سعد دحلب كما ذكر الشيخ خير الدين[1] في مذكراته حيث يقول:<< وذات يوم أتصل بي سعد دحلب وأخبرني أنّ عبان رمضان يريد مقابلتي فحدّدت له موعدا نلتقي فيه ...في العاصمة...وفي هذا اللقاء تحدثنا طويلا طيلة ليلة كاملة و قال لي عبان رمضان أنّنا كونا جبهة التحرير ونحن مصمّمون على الكفاح و نطلب من كل جزائري أن يشارك معنا مهما كان إنتماؤه الحزبي لأنّ القضية أصبحت قضية واحدة و قد رأيت الاتصال بك و الحديث معك لما أعرفه عنك من كفاءة ولثقتي بأنك تستطيع القيام معنا بدور كبير ،وتقدم لنا من تثق فيهم من العلماء و غيرهم لكي يشاركوا معنا...وفي هذه المقابلة عرف صلة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بملك المغرب ورجال السلطة هناك فطلب مني أن أقوم بالعمل ممثلا لجبهة تحرير الجزائري بالمغرب>>.

ويبدو أن عبان رمضان قد عرف أنّ الشيخ خير الدين من الرجال الذين يمكن أن تعتمد عليهم الجبهة ،كما أنّ أحد تلاميذه الجمعية [2]ممّن عاصروا الحدث ذكر لي: <<أن عبان رمضان كان يعرف جيدا أنّ الشيخ خير الدين هو الواسطة و همزة وصل بين الأحزاب ،كما عرف أفكاره وأدرك قيمته >>

وهكذا كلّف عبان رمضان و ابن خدة الشيخ خير الدين بتعيين ثلاثة من أعضاء الجمعية لإيفادهم الى الخارج لينضمّوا إلى جبهة التحرير الوطني ،كما كلّف بالاتصال بفرحات عباس ليوفد ثلاثة من أعضاء حزب البيان ليذهب الجميع إلى القاهرة ،وتمّ إرسال ممثلين عن الجمعية و هما العباس بن الشيخ الحسين وأحمد توفيق المدني لينضمّا إلى

(1)-محد خير الدين :**مذكرات** ،ج2،المصدر السابق،ص ص136-137.

(2)-محمد الصالح رمضان ،**مقابلة شخصية** ،الجزائر العاصمة:21 جوان 2005.

رئيس الجمعية الشيخ البشير الإبراهيمي [1]، ويؤكد الشيخ العباس الحسين أنّه قد اجتمع مع عبان رمضان و ابن يوسف بن خدة بوساطة الشيخ خير الدين ،وتمّ إيفاد ممثلين عن الجمعية و ثلاثة عن حزب البيان و فرحات عباس ،أحمد فرنسيس وأحمد بومنجل [2].

أما بالنسبة للشيخ خير الدين فقد عيّن في المغرب الأقصى كممثل لجبهة التحرير الوطني ،وعلاقة شيخنا بالمغرب تعود إلى ذلك التضامن الذي أبدته جمعية العلماء أثناء نفي الملك محمد الخامس [*]في شهر أوت 1953م وقد نشرت بيانا في البصائر [3]،أيدت فيه الملك كانت بإمضاء الشيخ خير الدين ،وقد تركت انطباعا حسنا لدى الشعب المغربي و القصر الملكي ولما عاد الملك إلى بلاده بعثت الجمعية وفدا تكوّن من :الشيخ العربي التبسي الشيخ محمد خير الدين ،أحمد توفيق المدني ،وعبد اللطيف سلطاني ،وذلك لتهنئة الملك على عودته السعيدة وتضامنا مع الشعب المغربي [4]،وقد ذكر لي الشيخ محمد الصالح رمضان[5] أنّ الشيخ خير الدين قد حظي بمكانة هامة لدى الملك محمد الخامس لأنه بعد زيارة الوفد لتهنئة الملك رجع الوفد و بقى الشيخ خير الدين أياما أخرى في المغرب لذلك أصبحت له مكانة لدى الملك وسمح له بالدخول في أي وقت شاء إلى القصر و كان يسميه "الفقيه".

---

[1]-عبدالرحمن بن إبراهيم بن العقون:المصدر السابق،ص ص511-512.

[2]-محمد الطاهر فضلاء :**التحريف والتزييف**، المرجع السابق ،ص191.

[*]-محمد الخامس(1911-1961م):هو محمد بن يوسف بن الحسن بن عبد الرحمن الحسيني العلوي أبو الحسن المنصور بالله،ملك المغرب ورمز النهضة الحديثة ،ولد بفاس وتعلم بها وبالرباط و كان بفاس يوم بويع له بعد وفاة والده سنة 1927م،وانتقل إلى الرباط عاصمة المغرب في عهد أبيه ،وكان يحرضه شعبه على المطالبة بجلاء الفرنسيين فنفي في 20 أوت 1953م الى جزيرة أجاكسيو (كورسيكا) ثم إلى مدغشقر،و عاد من منفاه عام 1955م،له مجموعة خطب بعنوان :إنبعاث امة في خمسة أجزاء ،أنظر خير الدين الزركلي: **الأعلام**،مج7 ، ط 7 ، دار العلم للملايين ، بيروت : 1986 م ، ص ص 158 ـ 159 .

[3]-جريدة البصائر:مقال" **بلاغ من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين** "،العدد239، 4 سبتمبر 1953،ص1.أنظر أيضا أحمد حماني :المصدر السابق،ص284.

[4]-جريدة البصائر:مقال " **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين شكر وولاء وتقدير** " ،العدد 343 ،2 ديسمبر 1955 ،ص01.

[5]-محمد الصالح رمضان،**مقابلة شخصية** ،الجزائر العاصمة : 21 جوان 2005 م.

وهكذا تم إرسال الشيخ خير الدين كممثل لجبهة التحرير الوطني في المغرب منذ ربيع 1956م واستمرت المهمة إلى غاية الاستقلال سنة 1962م ،ويقول الشيخ خير الدين[1] في ذلك :<< ومن هناك شرعت في العمل على تأسيس مكتب لجبهة التحرير الوطني و إكتريت مكانا مناسبا [*]،وطلبت من السلطات المغربية أن تعيرني الأستاذ عبد القادر بوسلهاب ،وهو جزائري يعمل أستاذا بإحدى المدارس المغربية وذلك ليعينني في عملي ويقوم بعمل الكاتب بمركز الجبهة ،فوافقت السلطة المغربية على طلبي ...>> ،وكان على مترجمنا أن يقوم بعدّة مهام لأنّ الثورة إتّسع نطاقها كما أنّ استقلال المغرب قد فتح بابا واسعا للتحرك في الجهة الغربية ومساعدة الثورة داخليا ،وفيما يخص الأعمال التي كان يقوم بها الشيخ فيقول[2]:"<< وأخذ مجال العمل بالمغرب يتسع نطاقه ويشمل عدة مجالات أهمها :

1- إحصاء الجزائريين العاملين والمقيمين ببلاد المغرب و توثيق الاتصال بهم وحل مشاكلهم ورعايتهم .

2-تكوين لجان لجميع الأموال بصورة منتظمة و تقديمها إلى قادة الثورة والمسؤولين عن جمع الأموال فيها سواء من المواطنين الجزائريين و غيرهم.

3-إعداد مراكز لتدريب الجنود [**]من الشباب الجزائري والمتطوعين للجهاد من كافة المواطنين الجزائريين.

4-إنشاء مركز طبي للعلاج و تقديم الدواء و تعيين أطبّاء جزائريين لتسييره والمعالجة فيه لمجاريح الجيش ومرضاهم.

---

[1]-محمد خير الدين :**مذكرات** ،ج2،المصدر السابق ،ص143.

[*]-في مقابلة (الباحث)مع الشيخ عبد القادر عثماني بتاريخ 24 ديسمبر 2004م،في مقرّ زاوية علي بن عمر بطولقة(بسكرة)، ذكر لي أنّه (عبد القادر عثماني)كان موظفا بديوان وزير التربية و التعليم بالرباط ،حيث يلتقي مع الشيخ خير الدين باستمرار الذي كان يسكن في القنيطرة (تبعد عن الرباط ب37 كلم ) أما مكتبه فيوجد في الرباط .

[2]-محمد خيرالدين:**مذكرات** ، ج2 ،المصدر السابق ،ص ص143-146.

[**]-في نفس المقابلة السابقة،ذكرلي أيضا الشيخ عبد القادر عثماني ،أنّ الشيخ خير الدين كان يخطب في الجيوش ويشجعهم ،وذلك بزيارة مراكز التدريب التي كانت معسكرات لفرنسا و اسبانيا قبل استقلال المغرب ،ومن بين هذه المراكز:مركز العرايش(جنوب مدينة طنجة ب75كلم)، مركز الخميسات(غرب مدينة مكناس ب 48 كلم)،مركز بوعرفة(يبعد عن شمال مدينة بشار الجزائرية ب 107كلم).

5-الاتصالات السياسية سواء بالسلطة المغربية أو السفارات العربية والإسلامية الموجودة بالمغرب.

6-جهاز اتصال لاسلكي لتلقّي المعلومات وإرسالها.

7- إنشاء مخازن للعتاد و التموين>>.

لقد كان للشيخ خير الدين دور هام في حل عدة مشاكل و قضايا اعترضت الثورة في الأراضي المغربية و منها مشكلة تلك الباخرة التي وصلت إلى ميناء طنجة محمّلة بالسلاح وتعذّر الإفراج عنها فاتصل الشيخ خير الدين بالسلطان محمد الخامس[*] مباشرة ،فاصدر أمرا بمقتضاه تقوم حافلات وشاحنات القوات الملكية العسكرية بتفريغ الشّحنة من الباخرة الرّاسية في ميناء طنجة ونقلها إلى وجدة و تسليمها إلى مراكز قيادة جيش التحرير الوطني ،كما أنّه إهتمّ بالمهاجرين إلى الأراضي المغربية واتصل بالسلطان وشرح له الوضعية فوفر لهم الأعمال المناسبة و المقام الطيب بين إخوانهم المغاربة [1].

ويذكر مترجمنا أيضا أنّ وزير الصحة المغربي إستدعاه وأخبره أنّ هناك شكوى من المواطنين المغاربة المقيمين في البلاد المحاذية للحدود الجزائرية وهي عدم تمكنهم من الحصول على الدواء من الصيدليات لأنّ الجزائريين يسارعون إلى شرائها بمجرّد أن يوزع فطلب منه أن يعمل على حل هذا المشكل ،فاقترح عليه الشيخ خير الدين أن يقدم قائمة الأدوية المطلوبة للجنود الجزائريين و يشتريها لحسابهم ،فاستحسن الوزير الاقتراح ،وعندما وصل الخبر إلى السلطان أمر وزير الصحة أن يشتري الدواء و تتحمّل خزانة الدولة المغربية دفع الثمن [2].

والحق أنّ نشاط الشيخ خير الدين و بقية المناضلين قد ساهمت في المحافظة على تفعيل التضامن الشعبي واستطاعت تنظيم نشاطها السياسي وتأطير الجالية الجزائرية

---

[*]رغم أنّ الشيخ خير الدين هو الذي كان مقربا من السلطان إلا أنّ توفيق المدني قد ذكر أن الشيخ خير الدين والمبروك هما اللذان أخبراه أنّ هناك باخرة محملة بالسلاح راسية بميناء طنجة و أن صاحبها يريد بيعها و ليس لهما من النقود ما يكفي لشرائها ،فاغتنم فرصة مقابلتك للملك وأخبره بالأمر.أنظر احمد توفيق المدني،**حياة كفاح** ،ج3،المصدر السابق ،ص284.

[1]ــ محمد خير الدين : **مذكرات** ج2 ، المصدر السابق ، ص 146 .

[2]المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

،والاستفادة من القواعد الخلفية رغم المضايقات التي تسببها القوات الفرنسية المتواجدة بالمغرب على ضرورة توفير وسائل مواصلة الحرب و الحفاظ على علاقات الصداقة مع السلطات المغربية للاستفادة من تسهيلاتها، و مساعداتها المادية ،و المعنوية ،و التصرف بحرية في القواعد الخلفية [1].

وتجدر الإشارة إلى أنّ العلاقات بين المغرب و جبهة التحرير قد عرفت عدة خلافات فأحمد توفيق المدني ذكر أنّه في شهر فيفري 1957م وردت أنباء مفادها أنّ ممثلي جبهة التحرير الوطني يلقون القبض على الخصوم وينقلون الأسلحة دون علم السلطات المغربية لذلك قام وفد عن جبهة التحرير الوطني ممثلا في الدكتور الأمين دباغين و توفيق المدني وسارا إلى المغرب في 18 فيفري من نفس السنة و إجتمعا بالإخوان المبروك و خير الدين والثعالبي،و أنّهم تفاوضوا في تفاصيل الوضعية المستجدة ،واتصلوا بحكومة (البكاي و الغزاوي)وجماعة حزب الاستقلال وجيش التحرير وسرعان ما زال سوء التفاهم كما تمت مقابلة الملك لاطلاعه على الاتفاق ووكذلك فعلوا مع الزعيم علال الفاسي بطنجة.

ويضيف أحمد توفيق المدني أنّ ملك المغرب طلب التفاوض مع وفد رسمي يمثل جبهة التحرير الوطني لمناقشة حلول عرضها الأمريكيون ،فمثّل جبهة التحرير :الأمين دباغين،و عباس فرحات ،وتوفيق المدني ،إنظم إليهم في اسبانيا المبروك و عمران، والشيخ خير الدين ،و الثعالبي و قابلوا في تطوان ولي العهد المغربي بتاريخ 23 أفريل1957م لإعلامه بأنّ الأمريكيين مستعدون للتدخل بواسطة الملك على أن يكون العمل باتفاق مع جبهة التحرير فطلب ولي العهد برنامج الجبهة لوضع حد للقتال و إرجاع السلام للجزائر لكن ولي العهد رأى بأن الوفد غير مستعد للتنازل لذلك فشل اللقاء [2].

ويبدو أنّ مطالبة المغرب بإقرار سيادته على المناطق الجنوبية الغربية التي يدّعي مغربيتها أدّى إلى عقد عدة إجتماعات لحل المشكل لأنّ الثورة ليست بحاجة إلى مثل هذه

---

[1] -عبد الله مقلاتي:**دور بلدان المغرب العربي في دعم الثورة الجزائرية (1954-1962م)** ،مذكرة لنيل شهادة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ،قسنطينة :2002م،ص67.

[2] -أحمد توفيق المدني :**حياة كفاح**،ج3،المصدر السابق،ص ص336-340.

التصرفات و المشاكل بقدر ما هي في حاجة إلى المدد وبقدر ما هي في حاجة إلى تنظيم ،لذلك ساهم الشيخ خير الدين في إيجاد أيّة تسوية ففي 8 أفريل 1958 م عقد اجتماع بالرباط بين الشيخ خير الدين ، وعبد القادر معاشو، وحسين قادري مع ابن بركة و محمد البصري عن الجانب المغربي ،لكنه فشل مما جعل الموقف المغربي يتحفّظ في دعم الثورة الجزائرية [1].

وفي نفس شهر أفريل انعقد مؤتمر طنجة الذي دام من 27 إلى 30 أفريل 1958م و قد شارك مترجمنا في المؤتمر إلى جانب ممثلين آخرين [*]عن جبهة التحرير الوطني،وحضر أيضا حزب الاستقلال المغربي،الحزب الدستوري الحر،وقد أكد المؤتمرون على مخاطر السياسة الاستعمارية وحتمية التنسيق المشترك ووحدة أقطار المغرب العربي،والإلحاح على مساعدة الجزائر و تخليصها من الاستعمار الفرنسي، ومن خلال قرارات مؤتمر طنجة [*] يظهر أنّ القضية الجزائرية نالت إهتمامات المناقشين ،فضلا عن تجسيد فكرة وحدة المغرب العربي [2].

وفضلا عن مهام الشيخ خير الدين داخل المغرب فإنّه كان يحضر إجتماعات المجلس الوطني للثورة بطرابلس بليبيا الذي صار أحد أعضائه وشارك في الاجتماع الذي

---

[1]- عبد الله مقلاتي:المرجع السابق،ص79 .

[*]- مثّل الوفد الجزائري : عباس فرحات عضو اللجنة التنفيذية لهيئة التحرير (رئيسا الحكومة المؤقتة) التي تأسّست فيما بعد يوم 19 سبتمبر 1958م بالقاهرة،الشيخ محمد خير الدين عضو المجلس الوطني للثورة الجزائرية وممثل جبهة التحرير بالمغرب،عبد الحفيظ بوصوف عضو اللجنة التنفيذية لجبهة التحرير الوطني والمسؤول العسكري عن الولاية الخامسة ، عبد الحميد مهري عضو اللجنة التنفيذية لجبهة التحرير ،أحمد فرنسيس الناطق الرسمي باسم جبهة التحرير،أحمد بومنجل الناطق الرسمي باسم جبهة التحرير ،رشيد قائد.أنظر محمد خير الدين:**مذكرات** ،ج2،المصدر السابق،ص151.

[*]- قرارات مؤتمر طنجة:

- لائحة حول حرب التحرير الجزائري .
- إعلان حول مساعدة عدد من الدول العظمى لفرنسا في حربها ضد الشعب الجزائري .
- لائحة حول رواسب الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي.
- لائحة حول وحدة المغرب العربي.
- لائحة حول السكريتيرية الدائمة.
- ميثاق طنجة ... أنظر محمد خير الدين : **مذكرات** ، ج2 ، المصدر السابق ،ص152.

[2]-عبد الله مقلاتي:المرجع السابق،ص ص71-72.

عقد من 10 ديسمبر1959م إلى 20 جانفي 1960م وذلك من أجل دراسة الوضعية الداخلية للمجلس و الحكومة [1]،كما أنّه أستدعي عدة مرات وذلك بطلب من المجلس لدراسة عدة قضايا و مستجدات الثورة [**].

ونظرا لتنقلاته إلى ليبيا فقد كانت له فرصة مقابلة الشيخ البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء بالقاهرة سنة 1958م الذي كان ممثلا لجبهة التحرير الوطني هناك.

كما أنّ مترجمنا لم ينس دور الطلبة الجزائريين الذين كانوا يدرسون في المغرب ،فقد ذكر أحمد توفيق المدني[2] أنّه كان هو و الشيخ خير الدين يقومان بتفقّد المدارس ووضعية الطلبة الجزائريين لرفع معنوياتهم فيقول:<<...وهم كمثل بقية طلبة تونس والمشرق متشبعون بفكرة الثورة ومستعدون لكل تضحية و قد عقدت لهم إجتماعا عاما توجيهيا بفاس أرجع لهم الثقة بالنفس وأصبحت معنوياتهم تتغلب على مادياتهم الضعيفة وكان إلى جانبي يومئذ ممثّلنا المجاهد الشهم الشيخ محمد خير الدين>>.

ويبدو أن الشيخ خير الدين قد إستغل المناسبات الثقافية في المغرب ليحث المفكرين والعلماء على مساندة ثورة الجزائر ، ففي الملتقى العلمي المخلد للذكرى المائة بعد الألف لتأسيس جامع القرويين سنة 1960 م ألقى مترجمنا[3] خطابا مطولا أشاد فيه بفضل الجامع العلمي والثقافي على الطلبة الجزائريين كما نوّه بمساعدة الشعب المغربي وعلمائه للثورة ، ومما جاء فيه : << أيها السادة نحن الآن لا نقاوم فرنسا وحدها بل نقاوم معها استعمارا غريبا يتمثل في الحلف الأطلسي ... فكونوا لنا رسل الحق ودعاة الحرية واصرخوا في وجه المتخاذلين ،واكشفوا مأساة هذه الحرب التي يقترفها غلاة الاستعمار فإنّنا لا نعتمد بعد الله إلا على أنفسنا وعلى أمثالكم من أرباب الفكر الحر في العالم .>>

---

[1]-جمعية أول نوفمبر و حماية مآثر الثورة في الأوراس :**المرحلة الانتقالية للثورة الجزائرية من 19 مارس 1962م إلى سبتمبر 1962م**،منشورات المتحف الوطني للمجاهد 1995م،ص ص332-333.

[**]- لقد شارك الشيخ خير الدين في عدة إجتماعات خاصة بالمجلس الوطني للثورة ،وذلك من خلال الاستدعاءات الرسمية الموثقة في مذكراته .أنظر محمد خير الدين: **مذكرات**، ج2 ،المصدر السابق ،ص ص160-170.

[2]-أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح** ، ج3 ، المصدر السابق،ص474 .

[3]_ محمد خير الدين : **مذكرات** ، ج 1 ، المصدر السابق ، ص 264 .

لقد كلّلت جهود الشيخ خير الدين وباقي المناضلين في ثورتنا التحريرية المجيدة بإرغام الاستعمار الفرنسي على الرّضوخ للمفاوضات، والوقوف أمام الأمر الواقع، وذلك بتوقيع إتفاقية وقف إطلاق النار ، حيث كان مترجمنا من الذين صوتوا [*] على لائحة وقف إطلاق النار في إطار المجلس الوطني للثورة أثناء إجتماعه من 22 إلى 27 فيفري 1962 ، وتم وقف إطلاق النار رسميا في 19 مارس 1962 [1].

ويمكن القول أنّ تعيين مترجمنا ممثلا لجبهة التحرير الوطني كان تصرفا سديدا نظرا للحنكة السياسية والدبلوماسية التي كان يتمتع بهما وكذلك لتصحيح الأحكام الخاطئة حوله أثناء اندلاع الثورة ، لأنّ مرور الأيام بعد انطلاق الرصاصة الأولى كشفت أنّ مليونا ونصف مليون شهيد من أبناء الجزائر قد وهبوا أنفسهم في سبيل الحرية والاستقلال ويضاف إلى ذلك المكانة التي حظي بها الشيخ خير الدين لدى سلطان المغرب وشعبه حيث مكنته من التحرك في كل الاتجاهات مانحا للثورة أكثر فعالية في المنطقة الغربية كما أنّ ثقة جبهة التحرير الوطني في الشيخ جعلتها تعيّنه عضوا في المجلس الوطني للثورة ليكمل نشاطه النضالي بالتصويت على لائحة وقف إطلاق النار التي طبّقت رسميا كما ذكرنا في 19 مارس 1962م ، والتي أرغمت الفرنسيين على الرضوخ وإعلان استقلال الجزائر في جويلية 1962م .

---

(*)_ الأعضاء الآخرون في المجلس الوطني للثورة الذين صوّتوا : فرحات عباس ، بن مصطفى ، بن عودة ، محمدبن سالم ، محمد بن يحي ، أحمد بومنجل ، سليمان دهيلس ، محمد حمادي ( المدعو قاسي ) ،علي كافي ، محمد خير الدين ، عبيدي حاج الأخضر ، عبد الحميد مهري ، عمار أوعمران ، عمر أوصديق ، الطيب الثعالبي ، محمد يازوران ( المدعو السعيد ) . أنظر بن خدة بن يوسف : **نهاية حرب التحرير بالجزائر ، إتفاقيات إيفيان** ، تعريب لحسن زغدار و محل العين جبائلي ، مراجعة عبد الحكيم بن الشيخ الحسين ، ديوان المطبوعات ، د_ ت ،ص57 .

(1)_ إبن يوسف بن خدة : المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

**المبحث الخامس : موقفه من النظام السياسي بعد الاستقلال .**

بعد مائة واثنين وثلاثون سنة(132سنة) من معاناة الشعب الجزائري جراء الاحتلال الفرنسي الذي حاول أن يقضي على كيان الأمة ومقوماتها الشخصية وجعلها فرنسية إلى الأبد ، إلا أن ما يؤخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة فقد إتحد الجزائريون كرجل واحد لمدة سبع سنوات ونصف دفعوا من خلالها مليونا ونصف مليون شهيد ليتم طرد المحتلين نهائيا ، وكان ذلك في الخامس جويلية سنة 1962 م تاريخ استقلال الجزائر ويقول الشيخ خير الدين[1] في هذا الإنجاز التاريخي الكبير : << وأسعدني الله الذي مد في عمري فشاركت أبناء أمتي أفراح انتصاراتها بتحقيق الاستقلال وانبعاث آمالها لكل ما تصبو إليها بعد الاستقلال وكان الموت قد تخطف من حولي عددا كبيرا من رفاقي في الكفاح والنضال ... وكان عزائي فيهم أنهم أحياء عند ربهم يرزقون وأنّ أعلام الحرية التي ماتوا من أجلها ارتفعت ترفرف خفاقة فوق ربوع البلاد تحي أرواح الشهداء ... وكنا قد أخذنا العهد على أنفسنا طوال سنوات الكفاح أن نكون أوفياء لله في دينه ، أوفياء للوطن في حريته أوفياء لجميع المواطنين في رفع نير الظلم والاستعمار ... >> .

والحق أنّ مترجمنا قد أدّى واجبه الوطني ممثلا لجبهة التحرير الوطني في المغرب ، كما مثلها آخرون في المشرق العربي ،و الإسلامي ،وحتى إفريقيا وأوربا وفي كل أنحاء العالم لتبليغ رسالة الثورة التي أكدت على حق الشعب الجزائري في الاستقلال ومساعدتهم ماديا ومعنويا ، وبعد حصول الجزائر على استقلالها ، عاد الشيخ خير الدين إلى وطنه ليشارك إخوانه في البناء والتشييد فعيّن نائبا في أوّل برلمان جزائري مستقل[*] ويتحدث مترجمنا [2]عن ذلك الحدث بحماس فيقول : << وقد شرعنا في البناء منذ الأيام الأولى للاستقلال وتكوين الدولة الجزائرية الحرة المستقلة ، وحدهم لا يشاركهم غيرهم من الأجناس ، وبعد أن أديت رسالتي المنوطة بي ممثلا لجبهة التحرير في

---

(1)_ محمد خير الدين : **مذكرات** ، ج 2 ، المصدر السابق ، ص 226 .

(*)عقد إجتماع الإطارات بقاعة الماجستيك يوم 2 أكتوبر 1963 ، حول الاجتماع ووثيقة الاستدعاء ، أنظر محمد خير الدين :المصدر نفسه ، ص 230 .

(2) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

المغرب ، وكانت آخر أعمالي به تلك المقابلة التي حضرتها مع السلطان والرئيس أحمد بن بيلا عقب الإفراج عنه مباشرة بعد ذلك استدعيت من المغرب لأتولى منصبي نائبا في البرلمان الجزائري الأول بعد الاستقلال >>.

وقد شارك الشيخ خير الدين في مناقشات المجلس حول عدة قضايا كقضية الجنسية الجزائرية التي تحقق ثباتها و استقلالها بعد أن كانت أيام الاستعمار بين التذويب والاندماج وبدأت مناقشة الناحية التطبيقية وظهر مشكل المواطنين المغاربة حول أحقّية هؤلاء المواطنين في الحصول على الجنسية الجزائرية ، وفي تلك المناقشات بدأت العلاقة تتأزم بين الشيخ خير الدين والنظام السياسي في بداية الاستقلال الذي كان يقوده الرئيس أحمد بن بله فيذكر مترجمنا أن أحد النواب تبنّى فكرة عدم أحقية بعض المواطنين المغاربة في الجنسية الجزائرية ــ وكان ذلك النائب وهو محام و من الذين شاركوا في الدفاع عن المختطفين الخمسة في أكتوبر 1956 م وكان بن بلة من بينهم ــ لكن مترجمنا بقي مصرا على رأيه بحكم أن هؤلاء المغاربة قد شاركوا في خدمة الثورة الجزائرية كما أنّ سلطانهم ،وحكومتهم قدّموا الكثير من المساعدات وأنّه ليس من العدل أن ينكر فضلهم ويحرموا من حقّ المقام في الجزائر ، ولم يتم الحسم في هذه النقطة مما جعل مترجمنا يستقيل من البرلمان وفي هذا يقول[1] : << ويبدو أن العلاقة بين الرئيس أحمد بن بيلا وبين هذا النائب ــ الذي فنّدت رأيه ــ حالت دون سماع الحقيقة وتفهمها و قوبلت بالاستنكار ، وعدم الارتياح وبذلك تأزمت الأمور فقدمت استقالتي من البرلمان إحتجاجا لهذا الموقف المشين >>.

ومن هنا بدأت مقاطعة الشيخ خير الدين للنظام الذي كان يقوده الرئيس بن بله ويذهب أحد تلامذة الجمعية إلى أنّ ما قام به مترجمنا هو إقتداء بأسلوب الشيخ البشير الإبراهيمي [*] ، وحسب نفس المصدر فانّ بن بلة كان يتّبع نهج الرئيس المصري جمال

[1]- محمد خير الدين :**مذكرات** ،ج2،ص232.

[*]-توفي الشيخ البشير الإبراهيمي في 20 ماي 1965،وقد أبّنه الشيخ خير الدين بخطاب بليغ .أنظر محمد الطاهر فضلاء:أعلام الجزائر ،**الإمام البشير الإبراهيمي في ذكراه الأولى** ،مطبعة البعث ،قسنطينة: 1967م،ص ص22-30.

عبد الناصر[2]، ويبدو أنّ أعضاء الجمعية حاولوا الاستمرار في برنامجهم الإصلاحي بعد الاستقلال إلا أن الدولة أقرت مبدأ الحزب الواحد الممثل في جبهة التحرير الوطني.

و نظرا لاضطراب الأمور السياسية و الإدارية في بداية الاستقلال، فقد قام العقيد هواري بومدين بانقلاب عسكري أطلق عليه اسم"التصحيح الثوري " وذلك في 19 جوان 1965م بحجة أنّ النظام قد خرج عن مبادئ وأهداف الثورة، ويذكر أحد المشاركين [1] في الإطاحة بالرئيس بن بلة ، أن 19 جوان لم يكن انقلابا و لا مغامرة ،أو حربا من أجل السلطة ، ويضيف أن بومدين كان مضطرا للإطاحة ببن بلة عشية المؤتمر الأفروـــ آسيوي ،الذي كان سينعقد في الجزائر. وكان الشيخ خير الدين من الذين وضعوا آمالا كبيرة في ذلك التصحيح لتحقيق الأهداف التي كان يرجوها كل جزائري ،ومن هنا قرّر أن يواصل في نشاطه بالمشاركة في عضوية أول مجلس إسلامي أعلى الذي تأسس عام 1966م[*]،ونشط مترجمنا في إحدى المهام التي قام بها وفد المجلس الإسلامي إلى وادي ميزاب بتاريخ 17 سبتمبر 1967[**]، وذلك لمعالجة الأزمة التي سادت مناطق وادي ميزاب نتيجة الاستفزازات التي قام بها بعض المسؤولين عن الحزب هناك وتدخلهم في المساجد ،و التعليم الديني والأوقاف فعين الشيخ خير الدين رئيسا للوفد الذي اتجه إلى المنطقة و درس الوضعية بالاشتراك مع السلطات المحلية والعسكرية و بحضور الإمام إبراهيم بيوض،وبعد نقاش طويل وتفصيل للقضية تم تهدئة الوضع و عاد الوفد بتقرير مفصّل أرسل إلى وزير الأوقاف [2].

رغم أن الشيخ خير الدين شارك في نشاط المجلس الإسلامي الأعلى إلا أن ذلك لم يمنعه من مواصلة انتقاد النظام السياسي ،فحتى الرئيس هواري بومدين كان محل انتقاد شيخنا رغم العلاقة الموجودة بين الشخصين لأنّ كلاهما ناضل في الجبهة الغربية أثناء

---

[2]-محمد الصالح رمضان:**مقابلة شخصية** ،الجزائر العاصمة:21 جوان 2005م.

[1] خالد نزار : **مذكرات** ، تقديم علي هارون ، منشورات الخبر ، دار النشر الشهاب ، باتنة : 1999 ،ص78 .

[*]-تأسّس المجلس الإسلامي الأعلى أوائل عام 1966 وتولى رئاسته الشيخ الصديق سعدي .أنظر أحمد حماني :المصدر السابق ص305.

[**]عين السيد وزير الأوقاف وفدا من أعضاء المجلس الإسلامي الأعلى تكون من المشايخ:محمد خير الدين ،مصطفى فخار،المهدي بو عبدلي ،أحمد قصيبة،أنظر إبراهيم بيوض بن عمر : المصدر السابق ،ص75.

[2]-إبراهيم بيوض بن عمر:المصدر نفسه ،ص ص75-87.

الثورة التحريرية إلا أن السياسة التي اتبعها بومدين لم ترض مترجمنا لأنه قد حوّل صلاحيات المكتب السياسي، واللجنة المركزية إلى مجلس الثورة المكوّن من ستة وعشرين عضوا والذي بدأ يتفتت عمليا بعد أقل من عام واحد ،عندما غادره كل من السيدين بو معزة وعلي مهساس ،وأصبح العدد ثمانية بعد أقل من عشر سنوات [1]،كما أنه لم يكن يتسامح مع معارضيه ،لكن الرئيس بومدين إستطاع أن يقوم بأعمال منحته شعبية كبيرة في أوساط الجزائريين كمواقفه الخارجية المشرفة سواء في العالم العربي ،أو الإسلامي ،و انتهج سياسة إقتصادية تعتمد على إقامة صناعة قوية ومخططات تنموية مختلفة.

وفي شهر فيفري 1969م أرسل الشيخ خير الدين رسالة نصح وتوجيه إلى الرئيس بومدين وعرض من خلالها عدة نقاط تمحورت في قسمين أساسيين هما:الشؤون الداخلية والشؤون الخارجية[*] ، ومما جاء في خاتمة الرسالة ما يلي:<< هذه وجهة نظري حول بعض القضايا و المظاهر التي تسود حياتنا ،أقدّمها لكم بإيجاز دون التعرض إلى مواقف معينة أو اذكر أمثلة خاصة لمظاهر الانحرافات ...ورجائي أن تجدوا في هذه الانطباعات العابرة ما يحملكم على تقصي هذه المظاهر للقضاء عليها قبل أن تتراكم ويعقدّها الزمن ،وأحب أن أكرر لكم مرة ثانية ما دفعني لهذا سوى الوفاء للصداقة التي تربطني بكم ،والتي أتمنى أن تتوطد عراها وتتوثق في جو من الصراحة والإخلاص>> [2].

لقد وجدت رسالة النصح و التوجيه التي وجهها الشيخ خير الدين الى الرئيس بو مدين أذنا مسدودة ،واستمرت الأوضاع على حالها إلى غاية 1976م أين ظهرت حملة توعية واسعة لشرح مشروع الميثاق الوطني وقد صرّح مجلس الثورة بمايلي: <<... والطريق إلى ما ترمي إليه هو تشجيع المناقشات الداخلية في مستوى القاعدة

---

[1]-محمد العربي الزبيري:**المؤامرة الكبرى أو إجهاض ثورة**،المؤسسة الجزائرية للطباعة وحدة خميستي ،الجزائر: د-ت،ص51.

[*]- لقد تطرّق الشيخ خير الدين إلى النقاط المذكورة بالتفصيل،أنظر محمد خير الدين:**مذكرات** ج2 ،المصدر السابق،ص ص233- 240.

[2]- محمد خيرالدين :المصدر نفسه،ص240.

وتوسيع الإطارات التي تدور فيها هذه المناقشات و ممارسة النقد الذاتي ،و إ شراك أكبر عدد من المناضلين في القضايا المصيرية ليعطي كل رأيه بصراحة ونزاهة>> [3]ومع تلك المستجدات التي سمحت بحرية الرأي فقد اتصل الشيخ خير الدين بشخصيات وطنية معروفة بنضالها وهي :فرحات عباس رئيس سابق للحكومة المؤقتة، و ابن يوسف بن خدة رئيس سابق للحكومة المؤقتة ،والأحول حسين الأمين العام لحركة انتصار الحريات الديمقراطية سابقا،وحرّروا نداء إلى الشعب الجزائري في مارس 1976م[*] ،ومما جاء في ذلك البيان:<< للمرة الثانية في أقل من أربعة عشر عاما الجزائر في صدام مع الشعب المغربي الشقيق فبين جنودنا وأبنائنا منهم قتلى ،و جرحى ،وأسرى وذلك دون أن يأخذ شعبنا أية مسؤولية في هذا ،إنّ أمواتنا وأموات المغاربة و المعاملة غير الشريفة التي عومل بها إخواننا المغاربة الذين طردوا من الجزائر ...و الأحقاد التي ستتولّد عنه تعرض وحدة المغرب العربي الإسلامي للخطر ...في إنقلاب19 جوان 1965م كان عليه أن يرد لشعبنا سيادته الكاملة لأنّ الذين قاموا به كانوا حكموا بدون غموض على الحكم الفردي ...لكن للأسف الشديد أنّ هذا الانقلاب لم يغير شيئا فعبادة الشخصية لازالت في أوجها و الحكم الفردي لا يزال يمارس بدون رقابة و حظوظ وطننا موضوعة بين يديه...>> [1].

كما أنّ الموقعين على النداء طلبوا من الشعب الجزائري النضال من أجل:

<<1-انتخاب جمعية وطنية تشريعية ذات سيادة بواسطة استشارة شعبية حرة .

2-جعل حد لهذا النظام الفردي و إقامة حواجز شرعية ضد انحراف من هذا النوع

3-إقامة حرية التعبير و الفكر اللذين طالما كافح الشعب الجزائري من أجلهما.

4- فتح السبيل إلى إقامة مغرب عربي إسلامي يسوده الاتحاد والاخوة>> [2].

---

[3]-محمد العربي الزبيري :**المؤامرة الكبرى أو إجهاض ثورة**،المرجع السابق،ص56.

[*]- أنظر ملحق الوثائق، الملحق رقم :

[1]-محمد خير الدين **: مذكرات** ،ج2 ،المصدر السابق،ص ص242-243.

[2]المصدر نفسه،ص244.

وبعد توقيع ذلك النداء من الشخصيات الأربعة نقلته المعارضة و نشرته في الخارج ،وكان عاقبة الشيخ خير الدين جرّاء النداء وضعه تحت الإقامة الجبرية _دار الأمان ببئر خادم بالعاصمة_التي دامت إلى غاية 1979م أي بعد وفاة الرئيس بومدين ،وقد ذكر لي أحد أبناء الشيخ أنّ الزيارات كانت مسموحة لأولاده فقط. ويضيف أنّه لما توفي الشاعر الكبير محمد العيد آل خليفة [*] 1979 سمح للشيخ خير الدين بحضور الجنازة ليومين فقط[1] ،وبعد أن أفرج عنه الرئيس الشاذلي بن جديد اعتزل مترجمنا الساحة السياسية وراح يهتم بحياته الخاصة كما أنّه استرجع ذكرياته وأعماله في الميدانيين الديني والوطني و نشرها في مذكرات من جزأين، وقد شرفته إدارة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تم اعتمادها رسميا سنة 1991م ووضعته كرئيس شرفي نظرا للخدمات الجليلة التي قدمها في مسيرة طويلة و صلت إلى واحد وتسعين عاما كان جلّ عطائها ،و نضالها ،و جهادها في المرحلة الاستعمارية لتتوقف بوفاته عام 1993م،ليلتحق شيخنا بالرفيق الأعلى.

يمكن القول أنّ الشيخ خير الدين كان حريصا على كلمة الحق ووقوفه ضد النظام السياسي في العقدين الأولين للاستقلال كان منبعه المبادئ والأهداف التي كان يراها الشيخ ناجعة لتطوّر الأمة بعيدا عن الصراعات والمطامح الفردية و كي ينعم الجزائريون بشمس الحرية التي حجبها الاستعمار الفرنسي لمدة مائة و اثنتين وثلاثين سنة .

---

[*]-توفي الشاعر محمد العيدآل خليفة في 31 جويلية 1979م،وقام الشيخ خير الدين بتأبينه في جنازته ببسكرة يوم 2 أوت 1979م وذلك بخطاب بليغ ،نص الخطاب أنظر:محمد خير الدين :**مذكرات** ،ج1،المصدر السابق، ص ص352-353.

[1]- فيصل خير الدين ،**مقابلة شخصية** ،بسكرة:30 مارس 2005م.

## خـــاتمـــة الفصـــل .

من خلال ما سبق عرضه ومناقشته في هذا الفصل الأخير يمكن أن نستخلص النتائج الآتية :

أولا: أنّ دور الشيخ خير الدين في المؤتمر الإسلامي كعضو نشط في اللجنة التنفيذية للمؤتمر مهد لخطواته الأولى في إطار الإصلاح الوطني إضافة إلى الاحتكاك بباقي الشخصيات التي مثّلت مختلف الاتجاهات السياسية ، واطلع على طريقة أخرى غير بناء المدارس والمساجد وهي طريقة التجمعات والمطالب ،وامتد تأثيرها الإيجابي إلى الحرب العالمية الثانية، فرغم احتدام الحرب في جبهات القتال إلا أنّ الطبقة السياسية الوطنية إلتفّت وطالبت بحق الجزائريين في تقرير مصيرهم ، وكان لمترجمنا يد في تلك المطالب التي منحته تجربة أخرى ووعي أكثر ، إضافة إلى أنّ بيان الشعب الجزائري قد حمس عشرات الآلاف من الجزائريين للانخراط في حركة أحباب البيان والحرية وأملهم زاد مع رفع الحلفاء لشعارات الحرية .

ثانيا: إنّ مشاركة مترجمنا في جبهة الدفاع عن الحرية واحترامها تعتبر محطة هامة في جهوده الإصلاحية الوطنية ، فرغم أنّ الجمعية معروفة بأنها دينية إلا أنه شارك في هذا التجمع السياسي ومن خلاله أكد على مطالب الجمعية وأظهر ميله إلى النضال السياسي كما أنّ دعوة الجبهة الجزائرية الأحزاب والجمعيات المغربية إلى الوحدة قد وجدت صداها وتجسدت في تجمع أحزاب الشمال الإفريقي بباريس ، وقد كان الشرف للشيخ خير الدين بتسليم نص الميثاق الذي خرج به المؤتمرون إلى الكاتب العام للجمعية الأممية ، وهذا الحدث يبدو أنه أكسب مترجمنا تجربة دبلوماسية وحنكة سياسية استغلها في الثورة التحريرية .

ثالثا: إنّ ما وقع في العام الأول لانطلاق الثورة من عدم تجاوب مترجمنا مع الحدث هو في الحقيقة لم يكن كذلك لأنّ معظم الشخصيات الوطنية الأخرى كان لها نفس الموقف ولأن نضالها الطويل كان سياسيا بعيدا عن السلاح كما أنّ التحوّل المفاجئ إلى العمل المسلح مع سرّية التحضير للثورة هو الذي أدهش الجميع حتى الطبقة الشعبية، كما أنه لا يمكن اعتبار موقف الشيخ خير الدين من باب الخيانة كما يدعي البعض لأنها إذا

كانت كذلك فكيف يعيّن بعد ذلك في مهمة كبيرة وخطيرة وهي تمثيل الثورة في الخارج كما أنّ انضمامه إلى الثورة المباركة كان له أثر إيجابي بالنظر إلى دبلوماسيته وحنكته السياسية التي كان يتمتع بهما حيث وظّفها في علاقاته الجيدة مع السلطان المغربي وشعبه وساهمت في تفعيل دور المغرب بمساندته للثورة ماديا ودبلوماسيا .

رابعا: إنّ الاضطرابات السياسية التي عاشتها البلاد خلال السنوات الأولى للاستقلال جعلت الشيخ خير الدين يفصح عن موقفه الذي كان ضد النظام وحتى تعيينه كنائب في أول مجلس وطني مستقل لم يكن عائقا أمام انتقاده للنظام ، فتجربته النضالية الإصلاحية جعلته يرفض منهج النظام السياسي في ظل الحرية والاستقلال ، كما أن المضايقات التي تعرّض لها ووضعه تحت الإقامة الجبرية كانت السبب في عزلته وعدم استفادة الوطن من خبرته كونه من الرجال القلائل الذين بقوا على قيد الحياة لكن ما قام به في الفترة الاستعمارية حتما ستستفيد منه الأجيال الحاضرة والقادمة .

## خـــاتمـــة :

لقد اتضح لي من خلال هذا العمل العلمي المتواضع أنّ شخصية هذا العالم المصلح من الشخصيات الثّرية بأعمالها وجهودها الإصلاحية نظرا لمستواها العلمي والفكري وإيمانها الرّاسخ بالحفاظ على المقومات الشخصية للأمة الجزائرية خاصة مع الوجود الاستعماري الذي لا يعترف بأي شيء وطني لذلك فقد كرّس كل وقته وماله وجهده دفاعا عن دينه، ولغته، ووطنه ، وبعد هذه الدراسة يمكن أن نخلص إلى نتائج تؤكد الجهود الإصلاحية للرجل ، ومن أهم هذه النتائج :

**أوّلا:** إنّ المتتبّع لحياة الشيخ محمد خير الدين لابد أن يقرّ بأنه أحد قادة الإصلاح في الجزائر إلى جانب أقرانه من العلماء مثل الإمام بن باديس والشّيخ البشير الإبراهيمي و غيرهما ،فقد برز في الساحة الجزائرية و البلاد كانت ترزح تحت وطأة أبشع نظام استعماري عرفته البشرية في ذلك الوقت ،وبالنّظر للوسط الّذي نشأ فيه مترجمنا حيث كانت عائلته تشتهر بالفلاحة و التجارة وكان من الممكن أن يوجّه نظرته إلى ذلك الجانب مع ما تدرّه من أرباح ،ولكن تمسك والده بالقيم العربية و التقاليد الإسلامية الجزائرية جعلته يوجّه ابنه البكر إلى حقل العلم والتّربية بداية بقسنطينة ونهاية بتحصله على شهادة التطويع العالمية من تونس وهي أعلى الشهادات في ذلك الوقت وكان من الممكن أيضا أن يصبح مدرّسا متطوعا داخل الزيتونة، إلا أنه عاد إلى وطنه ليصبّ كل جهوده في إطار الحركة الإصلاحية التي قادتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ليكون بذلك المنبر الذي كان يرسل من خلاله أفكاره و نشاطه ووعظه وإرشاده.

والحق أنّ الجهود الإصلاحية التي قام بها مترجمنا أخذت اتجاهين؛ الأول إصلاح ديني تربوي و الثاني إصلاح وطني، فمترجمنا بدأ نشاطه الدّيني بمسجد فرفار وضواحيها عن طريق الوعظ والإرشاد بعد اجتماع الرّوّاد مع الإمام بن باديس والشيخ البشير الإبراهيمي وغيرهما، ومنذ تأسيس جمعية العلماء صار مراقبا عاما لها، وهنا كانت الانطلاقة الحقيقية في ظل جمعية دينية لم تجد معارضة الإدارة الفرنسية وهذا ما سمح لمترجمنا بالمساهمة في مراقبة وتدشين المدارس في مختلف أنحاء القطر الجزائري وبناء المساجد وإلقاء خطب الوعظ و الإرشاد التي لم تكن تختلف عن تلك التي كان يلقيها أقرانه

من العلماء،لأنّها كانت ترمي إلى هدف واحد حتى وإن اختلفت أساليب إلقائها ،ولغتها وفصاحتها، وذلك الهدف هو إتّباع تعاليم الدين الإسلامي الصّحيحة ومحاربة الخرافات والبدع والأباطيل ،كما أنّ المدرسة كانت من أهم حقول الإصلاح التّربوي حيث أنّ مدارس الجمعية الّتي ساهم مترجمنا في تأسيسها و تدشينها كانت تخرج من أقسامها رجالا متشبعين بثقافتهم وقيمهم العربية الإسلامية .

وبالنسبة للإصلاح الوطني الذي شكّل جزء هاما من نشاط الشيخ خير الدين فهو في الحقيقة بدأ عندما كان طالبا في جامع الزيتونة حيث عايش الاضطرابات السياسية التي عاشتها تونس عقب نهاية الحرب العالمية الأولى ومما يبدو أنّ الفكرة الوطنية قد ترسّخت في ذهنه،وتجسدت وفي الأحداث السّياسية التي عرفتها الجزائر، والأهم من ذلك هو مشاركة مختلف اتجاهات الحركة الوطنية وهذا الاحتكاك هو الذي أعطى حماسا أكثر لمترجمنا لخوض تجارب أخرى ،فمن المؤتمر الإسلامي شارك في بيان الشعب الجزائري و حركة أحباب البيان و الحرية ،و بعد الحرب العالمية الثانية شارك في الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها ،كما أنه عبر إلى ما وراء البحار باتجاه فرنسا وشارك في ميثاق أحزاب شمال إفريقيا وسلّم بنفسه نص الميثاق إلى الكاتب العام للجمعية الأممية.

ويمكن القول أنّ مترجمنا دخل مجال الإصلاح الوطني من بابه الواسع رغم أنّ السّياسة تتعارض ومبادئ الجمعية، ومن خلال ذلك ساهم في الدفاع عن المطالب التي كانت تخرج بها تلك التجمعات السّياسية رغم ما فيها من اختلاف في التوجّهات ،إلاّ أنّه كلّ مرة كان يضع أهداف الجمعية كمطلب رئيسي، خاصة الدّفاع عن الدّين الإسلامي والتعليم العربي ،ويبدو أنّ تلك التجمعات قد ساهمت في نمو الوعي الوطني لأنّ الدّارس لمطالب الحركة الوطنية قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها يجدها مختلفة، وبالتالي فإن الجهود التي قام بها الشيخ خير الدين شملت المدارس و المساجد ومنابر السّياسة .

**ثـــانيـــا**: لقد سلك الشيخ خير الدين نفس الطريق الذي سلكه الشيخ عبد الحميد بن باديس و الشيخ البشير الإبراهيمي وغيرهما، وهو طريق التعلّم و الدّراسة و التّخرج من أعظم المراكز العلمية التي كانت معروفة في ذلك الوقت كجامع الزّيتونة، والجامع الأزهر، حيث كانت تستقطب العديد من الطلبة يمثّلون مختلف الأقطار العربية

والإسلامية، للانتهال من منابعها والتشبع بمختلف علومها، ومترجمنا تعلم بالزّيتونة لمدة سبع سنوات نال من خلالها أعلى شهادة بها و هي "التطويع العالمية"، ويبدو أنّ الاحتكاك بالطلبة وبالشيوخ المدرسين وطريقة إلقاء الدروس قد أثّر في مترجمنا ، ويتبين ذلك في الخطب التي كان يلقيها، و التي لا تخلو من مناهل الدين الإسلامي وفصيح اللّغة العربية إضافة إلى المصطلحات التي كان يستعملها الأئمّة و الشيوخ الكبار،جعلت منه ذلك الواعظ المرشد، والمدافع عن دينه، وهويته .

**ثـــالثـــا:** إنّ حضور الشيخ خير الدين اجتماع الرّواد ثم مشاركته في تأسيس الجمعية قد مكّنته من أن يختاره أعضاء الجمعية كمراقب عام لها ، أي أنّه كان المسؤول عن مراقبة كل نشاطات الجمعية،وقد كان لتحركاته النشيطة الأثر الواضح على مكانته في وسط العلماء المصلحين، فاكتسب ثقة كبيرة سواء في عهد الإمام بن باديس أو في عهد الشيخ البشير الإبراهيمي، و يتجلى ذلك في المهام المختلفة التي أسندت إليه وهي في غالبها عبارة عن مشاكل تعرضت لها الجمعية سواء من خصومها أو من الإدارة الفرنسية، و معظمها كانت ناجحة بفضل حنكته ودهائه،حتى أنّ الوظائف و المسؤوليات التي قام بها قد فتحت له المجال للمشاركة في الأحداث السّياسية، كتعيينه عضوا في اللّجنة التنفيذية إلى جانب الإمام بن باديس أثناء انعقاد المؤتمر الإسلامي ،كما أنّه كان من الذين وقّعوا على بيان الشّعب الجزائري إلى جانب فرحات عبّاس ومختلف الشّخصيات السّياسية الأخرى ،وبعد الحرب العالمية الثّانية شارك هو والشيخ العربي التّبسي في إنشاء الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها ،وعين مترجمنا عضوا في المكتب الدائم للجبهة التي طالبت بتوحيد العمل المغاربي ضد الاستعمار الفرنسي لذلك فقد شارك في ميثاق أحزاب الشمال الإفريقي بباريس حيث كلّف الشيخ خير الدين بتسليم نص الميثاق إلى الكاتب العام للجمعية.

**رابعـــا:** لم يكن الشيخ خير الدين مختلفا عن بقية أقرانه من العلماء في نظرته للإصلاح فهو نابع من مبادئ و أهداف جمعية العلماء و على رأسهم الإمام بن باديس حيث اتفقوا على أن يضعوا الدّين الإسلامي واللغة العربية وكل ماله علاقة بالمقومات الشخصية الوطنية في مجال إصلاحهم، كما أنّ مترجمنا لم يخرج عمّا كانت تنادي به

جمعية العلماء، ففي مقالاته التي كتبها ونشرها في البصائر و الشهاب ،تحدث عن الدين الإسلامي وعن التعليم العربي كما انتقد الزوايا و شيوخها ،وهي كلها تدخل في إطار الإصلاح الديني و التربوي، و هاجم بعض الجرائد التي كانت تتربص بالعلماء ،وقد وجدت هذه الكتابات صدى وردّا عنيفا خاصة من مؤسسات الجمود و التحجر، ولم يسلم مترجمنا من السلطة الفرنسية وعملائها لذلك سجن لعدة مرات، كما أنّ التقارير العسكرية الفرنسية كان لها وزنها، ودورها في مراقبة خطوات مترجمنا ومراقبة كل من يهدد مصالح فرنسا.

**خـــامســا**: لا يمكن أن نهمل أو نتغاضى عن دور جمعية العلماء في الثورة التحريرية المظفّرة،فهذا إجحاف في حق من ضحّى بنفسه، وواجه الاستعمار بقلمه ووعظه ،وإرشاده ضد الاحتلال الفرنسي من أجل ترسيخ مبادئ الدين الإسلامي وتنقيته من البدع و الخرافات، كما شيّدوا وبنوا المدارس التي حافظت على لغة الأمة من الاندثار، وتصدّت للغة الفرنسية، و كسّروا بذلك الأقوال التي ادعت بأنّ الجزائر فرنسية إلى الأبد، وبعد تكوين أولئك التّلاميذ أصبحوا رجالا حقيقيين، متشبّعين بدينهم، و لغتهم ومستعدين لعدم التنازل عن ثلاثية طالما تغنت بها الجمعية، وهي خفيفة في اللسان، ثقيلة في الميزان:الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا. وبذلك كوّنوا جيوشا جاهدت في الله حق جهاده، لكن ما حدث في العام الأوّل من الثورة أوقع الشّيخ خير الدين في شباك المنتقدين كغيره من الشخصيات الأخرى، ذلك بحجّة أنّه لم يسارع إلى مباركة الثورة والانخراط فيها، إلاّ أنّ ما وقع قبل اندلاع الثورة من انشقاق في صفوف حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وانبثاق التيار المسلح، وكذلك التحضير السرّي للثورة جعل الأشهر الأولى للهجومات المسلحة غير واضحة ،حتى أنّ الطبقة الشعبية كانت مندهشة، وهذا باعتراف المعاصرين للحدث،و كذا معظم الكتابات حول الفترة ،ويبدو أنّ الفترة الطويلة التي قضتها اتجاهات الحركة الوطنية في العمل السّياسي جعلت معظم شخصياتها الفاعلة تتردّد في العام الأوّل للثورة،وهو ما يفسر المفاوضات الّتي جرت مع الحاكم العام جاك سوستيل حيث أنّ الشّيخ خير الدين وبعض الشخصيات السياسية الأخرى شاركت في المفاوضات، و ربما استغلت هذا التنازل من الحاكم العام الّذي حاول أن يوجّه أنظار الفرنسيين والمستوطنين نظرا لاستمرار الهجومات المسلحة عبر مختلف أنحاء

الجزائر،لأنّ ما رددته الحكومة الفرنسية كون أنّ الهجومات ما هي إلّا عمليات إرهابية وصانعوها هم قطاع طرق، وخارجون عن القانون، و أنّها ستقضي عليها خلال أسابيع أصبحت حقيقة،لكن سوستيل عندما استيقظ من خطّته كانت الثورة في شهرها السابع لذلك أوقف المفاوضات ،ومن جهة أخرى فإنّ حكم الإعدام الذي صدر من المنطقة الثانية والقاضي بتصفية الشيخ خير الدين وكل الذين شاركوا في المفاوضات كان حكما قاسيا بالنسبة لمترجمنا بالنظر إلى دور الجمعية.

وبالنسبة للمفاوضات بشكل عام يبدو أنّها ساهمت في تسهيل مهمة انتشار الثورة لأنّ السلطة الفرنسية علقت آمالا كبيرة على المفاوضات في توقيف الهجومات المسلحة واعتقدت أنّ الشخصيات السياسية كانت في السابق تصرّ دائما على مطالبها دون اللجوء إلى السّلاح، و بالإمكان إقناعها ،وربما كانت هي وراء تلك الهجومات، وبقيت السلطة الفرنسية في موقع دفاع تنتظر نتائج المفاوضات التي أكدت لسوستيل والفرنسيين والأوربيين أنّ الجزائريين يريدون الحرية فقط،فأصدر سوستيل أمرا بتكثيف عدد الجنود وتوقيف المفاوضات،لكن هجومات 20 أوت 1955م ألهبت الجزائريين وأكّدت البعد التحرّري للثورة ليتحوّل قرار الإعدام إلى نداء بالالتحاق بالثورة ،فحنكة ودبلوماسية مترجمنا وتجربته، أقنعت قادة الثورة بأهمية هذا الرجل لينتهي الأمر بتعيينه كممثل لجبهة التحرير الوطني بالمغرب ،ليضع علاقته بالسلطان محمد الخامس وكل الشعب المغربي في خدمة الثورة، تلك العلاقة التي جعلته يتحرك بحرية بين معسكرات التدريب، و يساهم في تسهيل عملية مرور الأسلحة بالاستعانة بالسلطان ،كما شارك بآرائه داخل المجلس الوطني للثورة في مختلف قضايا الثورة وشارك أيضا في مختلف اللقاءات، و المؤتمرات التي اهتمت بكل ما يتعلق بنشاطات الثورة الداخلية أو الخارجية، و التعاون على المستوى المغاربي، والعربي والإفريقي، وحتى العالمي ،ليجسد بذلك جهده الوطني ليصب مع باقي جهود أبناء وطنه في اتجاه واحد ،وهو الحرية والاستقلال.

**ســـادســـا:** إنّ مساهمة الشيخ خير الدين لم تتوقف باستقلال الجزائر عام 1962م رغم أنه قدّم جل طاقته في مواجهة الاستعمار الفرنسي ،إلّا أن تقدمه في السن، وطول النضال جعلت مشاركته لا تتعدى العقدين الأوّلين من الاستقلال ،فقد شارك في

عضوية أوّل مجلس نيّابي جزائري مستقل في عهد الرئيس بن بلة واستقال بعد فترة وجيزة، ويبدو أنّ تهميش الجمعية لم يؤثّر في مترجمنا فقط بل حتى في رئيسها الشيخ البشير الإبراهيمي حيث بقيت جبهة التحرير الوطني هي الحزب الوحيد و بدون منازع،كما أنّ النزاع بين الجيشين الجزائري و المغربي على الحدود الغربية عام 1963م والذي اتخذ البرلمان منه موقفا سلبيا بالنظر إلى عدد القتلى ،أحداث لم ترض الشيخ خير الدين الذي ربطته علاقة مع الشعب المغربي منذ 1953م عندما أصدر فتوى مؤيدة للسلطان محمد الخامس وشرعية حكمه ،ثم تمثيله طيلة الثورة لجبهة التحرير لدى السلطان ،لذلك طالب بمنح الجنسية الجزائرية للمغاربة الذين ناضلوا في الثورة التحريرية ومن هنا فمترجمنا كان ضد الحوادث التي وقعت على الحدود بين الجزائر و المغرب ،يضاف إلى هذا البيان الّذي أصدره الشيخ البشير الإبراهيمي عام 1964م، الذي يبدو أنّه أثّر في مترجمنا .

ورغم إبعاد الرئيس بن بلة من الحكم من طرف العقيد هواري بومدين الذي أصبح رئيسا للدولة بعد قيامه بما أ سماه"بالتصحيح الثوري"في شهر جوان 1965م،إلّا أنّ الشيخ خير الدين استمر في انتقاده للنظام في عهد الرئيس بومدين الذي كانت له علاقات معه في الجبهة الغربية أيّام الثورة ،ففي السنوات الأولى لم يفصح عن موقفه و ربّما ما يفسر ذلك هو انضمامه للمجلس الإسلامي الأعلى الذي تأسّس عام 1966م و قيامه بمهمة كرئيس للوفد الذي توجه إلى وادي ميزاب، وربما كان يرى في إنشاء هذا المجلس فرصة لإعادة دور الجمعية ولمّ شمل المصلحين،إلا أنّ هذا النشاط يبدو أنه كان الأخير في مسيرة الرجل حيث وجّه نداء نصح إلى الرئيس هواري بومدين، وربما هو إقتداء بما قام به الشيخ البشير الإبراهيمي في عهد الرئيس السابق بن بلة ،كما أنّ هذا الموقف تطوّر وأصبح موجّها إلى الشّعب على شكل نداء أصدره عام 1976م إلى جانب فرحات عبّاس والحسين الأحول وابن خدة بن يوسف لإعطاء وجهة نظر من رجال يملكون خبرة سياسية تفوق خبرة الرئيس ،وكان ذلك النداء المنعطف الحاسم في نشاط الشيخ خير الدين حيث تم وضعه تحت الإقامة الجبرية إلى غاية سنة 1979م وبعد الإفراج عنه في عهد الرئيس الشاذلي بن جديد أختار العزلة والاهتمام بحياته الشخصية خاصّة مع تقدمه في السنّ إلى أن توفي عام 1993م.

**ســـابعـــا**: لقد ساهمت جهود الشيخ محمد خير الدين في المجال الإصلاحي بشكل فعّال في خدمة مسيرة الحركة النضالية خاصة أثناء الفترة الاستعمارية حيث قدّم كلّ إمكانياته في إطار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خدمة لوطنه وتوّجت مع جهود بقية أبناء وطنه بطرد المحتل نهائيا،واستمر نضاله حتى بعد الاستقلال، ورغم ما استعرضناه عبر فصول ومباحث المذكرة حول أعمال هذا الرجل وجهوده الإصلاحية ورغم ما تمّ جمعه من وثائق مختلفة وشهادات عايشت الأحداث إلاّ أن الشّخصية مازالت تحتاج إلى دراسات أخرى قد تضيف نتائج أخرى، وتنفض الغبار عن حقائق جديدة، وأتمنى أن يواصل الباحثون النظر في تراث هذه الشخصية بعد ما حاولت جمعه عنها والتي كانت الأولى من نوعها ،وأن تكون دراستهم بطريقة علمية موضوعية تتوخى الحقيقة التي ناضل من أجلها مدة طويلة ،وذلك لاستخلاص النتائج التي قد تفيد الأجيال الحاضرة و القادمة في معرفة سير من صنعوا تاريخ أمجادهم و كافحوا وجاهدوا أعتا قوة استعمارية عرفتها البشرية.

## المــلاحــق:

لقد دعّمت البحث بملاحق تثري الموضوع وهي عبارة عن وثائق تتعلق بالشيخ محمد خير الدين من مصادر مختلفة، من الجرائد والمجلات التي كان ينشر فيها مقالاته أو من مذكرات بعض معاصريه، وهي تمس جل مراحل نشاطه الإصلاحي، إنطلاقا من دوره في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ثم مشاركته في الثورة التحريرية المظفرة وأخيرا نشاطه بعد الاستقلال .

و في ما يخص دوره في جمعية العلماء فقد أوردت قصيدة كتبها الشيخ أثناء الاحتفال الذي أقامته مدرسة الإخاء ببسكرة عند رجوع رئيسها من البقاع المقدسة، كما دعمت دراستي بصورة ومقالات تتعلق بعضويته في المجلس الإداري الأول لجمعية العلماء، كما أبرزت دوره في مجال التربية والتعليم بصورة لأحد خطاباته في معهد إبن باديس بمناسبة إختتام السنة الدراسية، وأوردت بعض مقالات الشيخ التي لا توجد في مذكراته وهي تمس الجانب الإصلاحي، وصورة أخرى ترتبط بفتح دار الحديث بتلمسان كما استشهدت ببعض التقارير العسكرية الفرنسية التي دونت إسم الشيخ خير الدين في تقاريرها.

وفيما يتعلق بمشاركته في الثورة التحريرية فقد أوردت وثيقة تمثلت في إستدعاء لحضور إجتماع المجلس الوطني للثورة، وصورة تبرز أحد تنقلاته في مختلف معسكرات جيش التحرير بالمغرب، إضافة إلى بطاقة تعريف ثورية تسمح للشيخ خير الدين بالتنقل داخل الأراضي المغربية .

وفيما يرتبط بمرحلة الاستقلال فقد دعمت الدراسة بالنداء الذي كتبه إلى الشعب الجزائري رفقة شخصيات وطنية أخرى

انتقادا للنظام السياسي الحــاكم فــي تلــك الفتــرة، كمــا أوردت قصــيدة مخطوطة ابّن فيها الشــيخ أحمــد ســحنون أســتاذه الشــيخ محمــد خيــر الدين إضافة إلى بعض الأعمال الخيريــة التــي تركهــا الشــيخ كالمســجد الذي بناه في مدينة بسكرة وكذا المكتبة الضــخمة التــي أهــداها لجامعــة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة.

**ملحق رقم: 01**

قصيدة للشيخ محمد خير الدين بعنوان"احتفال مدرسة الإخاء ببسكرة برجوع رئيسها الفاضل الحازم السيد الحاج الحفناوي أدبابش من الأماكن المقدسة"[1].

**حللتــم بالبــلاد حلــول غيث ** همــى فسفي المرابــع والبطاحــا**

**تباشرت المعاون يــوم قالــوا ** ركــاب الحج قــد نزلــوا صباحــا**

**وكبــرت _الإخاء_وطالبوهــا ** غــداة جبينــك الــوضــاح لاحــا**

**بعود رئيسهم رفعوا رؤوســا ** فيــا لك عــودت صحــبت نجاحــا**

**غيابــك روع الفقــراء لكــن ** إيــابــك اكسب القلــب إنشراحا**

**وليس البر منك بأن تجــازي ** ولا تبغي من المجزى امتداحــا**

**وفي الحرم الأمين لقد روينــا ** لجــودكــم أحــاديثــا صحاحــا**

**وكم في الخير عندك من أيــاد ** يعلم جودها الايــدي الشحاحــا**

**وكم في السلم عندك من مزايا ** وتبرز في الوغى شاكي السلاحا**

**أبا الايتــام والكهف المرجــى ** ومولى البر عفــوا والسماحــا**

**لقــد نشر الحجيج لكم خصالا ** ورياها علــى الاوطــان فاحــا**

**(دبابش)إنّ هذا النشئ نشــئ ** أنــاط عليــك آمــــالا فساحــا**

**فأنت الذائــد الــحامي عرينــا ** إذا ما الجهــل رام لهــم كفاحا**

**فهــل بلغت أنــا قــد صقلنــا ** لحمدكـــم مقاويـــلا فصاحــا**

**وأعضاء الجمعيــــة تراهــم ** أقاموا الــدين والكسب المباحــا**

**فلم ينسوا من الــدنيا نصيبــا ** وقد حــازوا من الدين القداحــا**

**فأحيــوا أمــة كــانت مواتــا ** وقادوا بالعلوم لهــــا فــلاحــا**

**وكــانوا كلهم إخــوان صــدق ** ولا يشــرون بالــجدّ المزاحــا**

**سبل الرشد قد سلكوا سراعــا ** فكــان لهم غــدوا و رواحــــا**

**ومن يحمــل لواء العلم فينــا ** أســـام لشكره حقــا صراحــــا**

**وكــان جــزاؤه جنّات عــدن ** فــلا حرجــا عليــه ولا جناحــا**

---

[1]أنظر جريدة النجاح ،العدد 1325 ،1 جويلية 1932م.

**ملحق رقم:**

نشرة معلومات رقم : 13 ، الخاصة بالحالة المعنوية لأهالي شمال إفريقيا خلال الفترة التي تمتد من 15 أكتوبر إلى 15 ديسمبر 1936 م،( مصلحة الإتصالات الشمال الإفريقية)، أرشيف ولاية قسنطينة .

**العلماء**:

الجمعية العامة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين عقدت جمعيتها بنادي الترقي الأحد 27 إلى الأربعاء 30 سبتمبر بحضور ألفين ( 2000 ) عضو نشيط وأعطت نتائج إعادة الانتخابات التالي :

الرئيس: عبد الحميد بن باديس .

نائب الرئيس: البشير الابراهيمي.

الكاتب العام : العربي التبسي .

نائب الكاتب: محمد بن منصور .

أمين المال : مبارك الميلي .

نائب أمين الخزينة : أبو اليقظان.

المراقب : محمد خير الدين.

الأعضاء : الطيب العقبي، يحي، حمودي، بلقاسم بن بلوش ، علي أولخيار، عبد القادربن زيان ، نصر الدين.

18 أكتوبر ، محاضرة ألقيت من طرف مجموعة من العلماء بتيزي وزّو ، والحضور قارب 200 من الأهالي .

وخلال هذه المحاضرة لم تناقش إلاّ المسائل الدينية ، ومحاربة المرابطين .

( تقرير الدرك تيزي وزّو، 19 أكتوبر) .

**ملحق رقم :**

تقرير شهري:أفريل 1945 م ،( مصلحة الإتصالات الشمال الإفريقية)، أرشيف ولاية قسنطينة.

**العلماء :**

لم يكن للشيخين التبسي وخير الدين نية التقرب من الشيخ العقبي الذي إستمر في مهاجمة تقاليد المرابطين بطريقة مباشرة .

وحاول الشّيخان تكوين رابطة مع شيوخ الطرق الصوفية المهتمين بالسياسة وجلبهم إليهم.

من الجانب الديني المحض ، الجمعية إستطاعت بسط تأثيرها ، وإستطاع المعلمين في كل المدارس تحقيق نوع من السلطة .

كانت عملية إحياء ذكرى وفاة الشيخ إبن باديس قد تمت في مختلف المقاطعات بصورة هادئة .

الشيخ الإبراهيمي الذي شرّف بحضوره حفل إفتتاح الجمعية التربوية لقسنطينة وأعطى محاضرة دينية كانت متبوعة كالعادة بجمع التبرّعات وصلت إلى 555000 فرنك.

وتمّ بيع صور تذكارية للشيخ إبن باديس من طرف دار تريبولت بشارع مارتيس بقسنطينة ، وقد تعرّض المصور الذي كان يبيع صور إبن باديس إلى إستنطاق من قبل محافظ الشرطة وتمت مصادرة صوره .

## فهرس الأماكن

- ت -

- **فهرس الأعلام .**

-أ -

# بيبليوغــرافيـــة البحـــث

## أولا - المصـــادر:

### 1ــ بالعربيـــة:

### أ ـــ الجــرائـــد والمجلاّت القديمـــة:

**جــريـــدة البصائـــر:**

**السلسلـــة الأولـــى ( م1935ــ 1939م ):**

- العدد،04 ، 24 جانفي 1936م .
- العدد 23، 12جوان 1936 م .
- العدد 30 ، 31 جويلية 1936م .
- العدد، 35 ،18 سبتمبر 1936م .
- العدد 95، 14 جانفي 1938 م .
- العدد 115 ، 27 ماي 1938 م .
- العدد 122، 15 جويلية 1938 م .
- العدد 123 ، 22 جويلية 1938 م .
- العدد 124 ، 29 جويلية 1938 م .
- العدد 126 ، 12 أوت 1938 م
- العدد 137 ، 28 أكتوبر 1938 م
- العدد 149 ، 20 جانفي 1939 م .

**السلسلـــة الثانيـــة ( 1947م ــ 1956م):**

- العدد 01 ، 25 جويلية 1947م .

- العدد35 ، 10 ماي 1948 م .
- العدد 36 ، 17 ماي 1948م .
- العدد 41 ، 28 جوان 1948م .
- العدد 43 ، 12 جويلية 1948م .
- العدد 133 ، 23 أكتوبر 1950 م .
- العدد 140 ـــ 141 ، 05 فيفري 1951 م .
- العدد 156 ، 21 ماي 1951 م .
- العدد 158 ، 04 جوان 1951 م .
- العدد 167 ، 13 أوت 1951 م .
- العدد 169 ، 10 سبتمبر 1951 م .
- العدد 182 ، 01 فيفري 1952 م .
- العدد184 ، 10 مارس 1952 م
- العدد 190 ، 19 ماي 1952 م .
- العدد 239 ، 04 سبتمبر 1953م.
- العدد 269 ، 30 أفريل 1954 م .
- العدد 276 ، 25 جوان 1954 م .
- العدد 281 ، 30 جويلية 1954 م .
- العدد 283 ، 03 سبتمبر 1954 م .
- العدد 292 ، 05 نوفمبر 1954 م .
- العدد 343 ، 02 ديسمبر 1955 م .

**جـــريـــدة النجـــاح :**

- العدد 216 ، 10 جويلية 1925 م .
- العدد 220 ، 07 أوت 1925 م .
- العدد 1183 ، 22 جويلية 1931 م .

- العدد 1325 ، 01 جويلية 1932م.
- العدد 1999 ، 02 جوان 1937 م .
- العدد 2090 ، 12 جانفي 1938 م .
- العدد 2091 ، 14 جانفي 1938 م .
- العدد 2170 ، 03 أوت 1938 م .
- العدد 2173 ، 12 أوت 1838 م .
- العدد 2178 ، 24 أوت 1938 م .
- العدد 2196 ، 06 أكتوبر 1938 م .
- العدد 3874 ، 31 جانفي 1951م.
- العدد 3878، 14 فيفري 1951م.

**جـــريدة المنـــار:**

- العدد 06 ، 30 جويلية 1951 م .
- العدد 07 ، 15 أوت 1951 م .
- العدد 08 ، 31 أوت 1951 م .
- العدد 09 ، 05 أكتوبر 1951 م .

**الشهـــــــــاب :**

- جريدة الشهاب : العدد 28 ، 27 ماي 1926 م .
- جريدة الشهاب : العدد 103 ، 30 جوان 1927 م .
- مجلة الشهاب : مج 07 ، ج 08 ، أوت 1931م .
- مجلة الشهاب : مج 12 ، ج 04 ، جويلية 1936م .
- مجلة الشهاب : مج 08 ، ج 08 ، أوت 1936م .

**جـــريـــدة الشعلـــة :**

- العدد 19 ، 20 أفريل 1950 م .

**ب ــ الكتــب :**

1. الإبراهيمي(البشير):"آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي"،ج2،(1940-1952)جمع وتقديم الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي ،ط1،دار الغرب الإسلامي ،بيروت 1997 م.
2. الإبراهيمي( البشير):سجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بمركزها العام بنادي الترقي الجزائر، دار الكتب ،الجزائر1982م.
3. إبن خدة (يوسف):نهاية حرب التحرير في الجزائر،إتفاقيات إيفيان .تعريب لحسن زغدار،ومحل العين جبائلي،مراجعةعبد الحكيم بن الشيخ الحسين ،ديوان المطبوعات الجامعية،د-ت.
4. بيوض (بن عمر إبراهيم):أعمالي في الثورة،الزيتونة،للإعلام والنشر ،باتنة ،الجزائر 1990م.
5. إبن العقون( عبد الرحمن إبراهيم ): الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر ، ج3 ،( 1947ــ 1954 م ) ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1986 م .
6. حماني (أحمد):صراع بين السنة والبدعة،ج2، دار البعث، قسنطينة، الجزائر 1984م.
7. خير الدين(محمد):مذكرات الشيخ محمد خير الدين، ج1، ط2، مؤسسة الضحى، الجزائر 2002م.
8. خير الدين(محمد):مذكرات الشيخ خير الدين، ج2، ط2، مؤسسة الضحى، الجزائر2002م.
9. الطالبي (عمار):كتاب آثارإبن باديس ،ج1،ط1،دار اليقظةالعربية ،بيروت 1968م.
10. عباس(فرحات):حرب الجزائر وثورتها(ليل الإستعمار)،تعريب أبو بكر رحال، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، د-ت.
11. المدني(أحمد توفيق):كتاب الجزائر،ط2،نشر دار الكتب البليدة الجزائر 1963م.
12. المدني(أحمد توفيق):حياة كفاح(مذكرات)،ج2(1925-1954)الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر1977م.

13. المدني(أحمد توفيق):حياة كفاح(مذكرات)،ج3،(مع ركب ،الثورة التحريرية )،الشركة الوطنية للنشر و الإشهار ،الجزائر 1982م.
14. نزار خالد : مذكرات اللواء خالد نزار ، تقديم علي هارون ، منشورات الخبر، دار النشر الشهاب ، باتنة ، 1999 م .
15. الورتيلاني (الفضيل):الجزائر الثائرة ،تعريب خيري حماد،ط1،دار الطليعة بيروت1961م.
16. يوسفي(محمد):الجزائر في ظل المسيرة النضالية، المنظمة الخاصة، ترجمة محمد الشريف، بن دالي حسين، منشورات الذكرى الأربعين للإستقلال، د-ت.

### ج ـــ المقابلات الشخصية:

1. الشيخ عبد الرحمن شيبان: مقابلة شخصية بمقر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، حسين داي ، الجزائر العاصمة ، 4 أفريل 2005 م .
2. الشيخ محمد الصالح رمضان: مقابلة شخصية بمنزله الكائن بالقبة ، الجزائر العاصمة ، 21 جوان 2005 م .
3. الشاعر عمر البرناوي : مقابلة شخصية بدار الثقافة ببسكرة ، 23 ديسمبر 2004 م
4. الشيخ عبد القادر عثماني : مقابلة شخصية بمقر زاوية الشيخ علي بن عمر بطولقة ولاية بسكرة ، 24 ديسمبر 2004 م .
5. عقبة خير الدين : مقابلة شخصية بمقر عيادته بمدينة بسكرة، 21 ديسمبر 2004 م
6. فيصل خير الدين : مقابلة شخصية بمكتبه بمدينة بسكرة ، 21 ديسمبر 2004 م .
7. فيصل خير الدين : مقابلة شخصية بمكتبه بمدينة بسكرة ، 30 مارس 2005 م .
8. الأخضر رحموني : مقابلة شخصية بدار الثقافة بمدينة بسكرة، 23 ديسمبر2004 م

2 ـ بالفرنسية:

**Service des liaison Nord-Africaines,( S.L.N.A)** :

**Rapport militaire :**

1. Bulletin de renseignement N°:12 concernant des mois Juillet - Août Septembre 1936 .
2. Bulletin de renseignement N° 13 concernant l'état d'esprit des indigènes Nord-Africain, pendant la période du 15 octobre au 15 décembre 1936, S.L.N.A, Archive historiques, W. de Constantine.
3. Bulletin mensuel d information concernant la politique indigène dans le département d'Oran , mois de décembre 1937 .
4. Bulletin mensuel d information concernant la politique indigène dans le département d'Oran, mois de janvier 1938
5. Rapport mensuel, Avril 1945, S.L.N.A, Archive historique, W. de Constantine.

## ثانيا - المراجــع:

### 1ـ بالعربيــة .

1. أجيرون (شارل روبير):"تاريخ الجزائر المعاصرة"،ترجمة عيسى عصفور ،ط1،منشورات عويدات ،1983م.
2. الأشرف (مصطفى):الجزائر الأمة و المجتمع،ترجمة حنفي بن عيسى المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر 1983م.
3. بركات (انيسة): محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر،منشورات المتحف الوطني للمجاهد1995م.
4. بن علي شغيب (محمد المهدي):أم الحواضر في الماضي و الحاضر،تاريخ مدينة قسنطينة،مطبعة البعث،1980م.

5. بو طمين (جودي الأخضر):مسيرة الثورة الجزائرية من خلال مواثيقها ،ط1،دار البعث
6. بوحوش (عمار):التاريخ السياسي بالجزائر من البداية ولغاية 1962م.ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت 1997م.
7. بوصفصاف (عبد الكريم):جمعية العلماء المسلمين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، (1930-1945)،ط1،دار البعث،قسنطينة1981م.
8. بوصفصاف (عبد الكريم):جمعية العماء المسلمين الجزاريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى (1931-1945م)دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة ،منشورات المتحف الوطني للمجاهد ،المؤسسة الوطنية للإتصال و النشر و الإشهار،1996م.
9. تركي (رابح):التعليم القومي والشخصية الجزائرية (1931-1956)،ط2،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1981م.
10. الجابري (محمد الصالح):النشاط العلمي و الفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس،1900-1962م،الدار العربية للكتاب ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر 1983م.
11. جمعية أول نوفمبر و حماية مآثر الثورة في الأوراس :المرحلة الانتقالية للثورة الجزائرية من 19 مارس 1962م إلى سبتمبر 1962م،منشورات المتحف الوطني للمجاهد 1995م
12. جوليان (شارل أندري):إفريقيا الشمالية تسير،ترجمة المنجي سليم وآخرون الدار التونسية للنشر،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،تونس 1976م.
13. الخطيب (أحمد):جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر ،1985م.
14. دبوز (محمد علي):إعلام الإصلاح في الجزائر من عام 1921م-1975م،ج1،ط1،مطبعة البعث 1974م.

15. دبوز (محمد علي):نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة ،ج2،ط1،المطبعة العربية ،الجزائر1981م.
16. الزبير (سيف الإسلام):تاريخ الصحافة العربية في الجزائر،ج4،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر1985م.
17. الزبيري (العربي):الثورة الجزائرية في عامها الأول،ط1،دار البعث ،قسنطينة ،الجزائر 1984م.
18. الزبيري (العربي):المؤامرة الكبرى أو إجهاض ثورة، المؤسسة الجزائرية للطباعة وحدة خميستي ،الجزائر ،د-ت.
19. السائحي (محمد الأخضر):محمد الأمين العمودي الشخصيةالمتعددة الجوانب،ط2،دار هومه للطباعة و النشر ببوزريعة ،الجزائر 2001م.
20. سطورا (بنجامين):مصالي الحاج(1898-1974م)رائد الوطنية الجزائرية ،ترجمة صادق عماري ،مصطفي ماضي ،دار القصبة للنشر ،الجزائر 1999م.
21. سعد الله (أبو القاسم): أفكار جامحة ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر1988م.
22. سعد الله (أبو القاسم): أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ،ج2،ط2،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1990م.
23. سعد الله (أبو القاسم): أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،ج3،ط1،دارالغرب الإسلامي ،بيروت 1990م.
24. سعد الله (أبو القاسم): أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ،ج4،ط1،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1998م.
25. سعد الله (أبو القاسم):الحركة الوطنية الجزائرية(1900-1930)،ج2،ط4،دار الغرب الإسلامي،بيروت ،لبنان،1992م.
26. سعد الله (أبو القاسم): الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1945)،ج3،ط4،دار الغرب الإسلامي ،بيروت،1992م.

27. سعد الله (أبو القاسم): تاريخ الجزائر الثقافي ،1830-1954م،ج5،ط1،دار الغرب الإسلامي ،1998م.
28. صاري (الجيلالي)،قداش(محفوظ):المقاومة السياسية (1900-1954)الطريق الإصلاحي و الطريق الثوري، ترجمة عبد القادر بن حرّاث ،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، 1987م.
29. طلاس (مصطفى)،العسلي(بسّام):الثورة الجزائرية ،ط1،دار الشورى بيروت،1982م.
30. عبد الرحمن (عواطف):الصحافة العربية في الجزائر(1954-1962)،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر 1985م.
31. العسيلي (بسّام):عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية ،ط2،دار النفائس ،بيروت 1983م.
32. العلوي (محمد الطيب):مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830م حتى ثورة نوفمبر1954م،ط1،دار البعث للطباعة و النشر ،قسنطينة الجزائر ،1985م.
33. غليسبي (جوان):الجزائر الثائرة ،تعريب ،خيري حماد،ط1،دار الطليعة ،بيروت1961م. 33_فضلاء(محمد الطاهر):أعلام الجزائر ،الإمام البشير الإبراهيمي في ذكراه الأولى:مطبعة البعث ،قسنطينة1967م.
34. فضلاء (محمد الحسن): من أعلام الإصلاح في الجزائر ،ج2،مطبعة هومه،للنشر و التوزيع،الجزائر 2000م.
35. فضلاء (محمد الطاهر):التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح،ط1،دار البعث،قسنطينة ،الجزائر،1982م.
36. فضلاء (محمد الطاهر): أعلام الجزائر، الإمام البشير الإبراهيمي في ذكراه الأولى، مطبعة البعث، قسنطينة: 1967.

37. قنانش (محمد)،قداش (محفوظ) :نجم الشمال الإفريقي(1926-1937)وثائق وشهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر 1984م.

38. كاشة الفرحي (بشير) : **الشيخ أحمد الحماني ، العالم المجاهد المجتهد**، دار الآفاق ، الجزائر: 2004،ص ص75-78.

39. الميلي (محمد):إبن باديس وعروبة الجزائر ،الشركة الوطنية للتوزيع،الجزائر1973م.

40. هلال (عمار):أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر المعاصر،1830-1962م،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر1995م.

## 2ــ بالفرنسيـــة.

1. Ageron (Charles Robert) : Les Algérien musulmans et la France (1871-1919)tome2.(P.U.F)Paris .1968.
2. Benamrane( Djilali) : L'émigration Algérienne en France passé ;présent et devenir. S.N. d'édition et de diffusion, Alger 1983.
3. Benjamin (Stora) , Zakia (daoud) : Ferhat Abbas une autre Algérie , édition casbah , 1995 .
4. Claude (Collot) et Henry (Jean robert) : Le mouvement nationale algérien textes. (1912-1954),office des publications universitaires, Hydra, Alger ,1978.
5. Colonna (Fanny) :instituteurs .Algériens.1883-1939 , office des publications universitaires ,Alger ,1975.
6. Guenaneche (Mohamed) : Le mouvement d'indépendance en Algérie entre les deux guerres (1919- 1939) ,

traduit par Sid Ahmed Bouali , entreprise nationale du livre , Alger . 1990 .

7. Harbi (Mohamed) :Une vie debout .mémoires politiques, tome 1.(1945-1962).casbah édition. Alger .2001.
8. Harbi (Mohamed) : 1954 , la guerre commence en Algérie .édition complexe, bruxelles.1998.
9. Jean-Claude Martens : le modèle algérien de développement bilan d'une décimée (1962-1972)، (p.S. N) d'édition et de diffusion ; Alger ،1973.
10. Kaddache( Mahfoud) : Histoire du nationalisme Algérien (1919-1939).tome 1,édition .Paris – méditéraneé.2003.
11. Mahsas( Ahmed) :Le mouvement révolutionnaire en Algérie de la 1er guerre mondiale à1954, librairie édition l'harmattan paris,1979.
12. Merad (Ali) :le réformisme musulman en Algérie de 1925 à1940.essai d'histoire religieuse et social deuxième édition, les éditions Elhikma ,Alger -1999.

## 2ــ الــرسائــل الجامعيـــة :

### أ. بالعربيـــة :

1. بوصفصاف( عبد الكريم) : الأبعاد الثقافية والإجتماعية والسياسية في حركتي محمد عبده وعبد الحميد بن باديس (دراسة فكرية تاريخية مقارنة ) ج 1 ، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في التاريخ الحديث

والمعاصر ، غير منشورة، جامعة تونس الأولى ، السنة الجامعية 1996ـ 1997 م

2. زنير ( سليم ): التطور الثقافي في الجزائر، دراسة في النصوص والمؤسسات ( 1962 ـ 1986 م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة ، 2001 م .
3. مقلاتي ( عبد الله ) : دور بلدان المغرب العربي في دعم الثورة الجزائرية ( 1954م ـ 1962 م )، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية ، قسنطينة ، 2002م .

**ب. بالفرنسية:**

1- Sari ( Ahmed ) : L' association des Ulama musuLman algérien et L administration française en Algérie de 1931 a 1956 , thèse doctorat , université de Provence centre d'Aix Marseille , I, U, F , R , d'histoire juillet 1990 .

**3ـ الـدوريـات المعاصـرة:**

1. الإبراهيمي (عبد الحميد) : تأملات حول التجربة الجزائرية في التنمية الإقتصادية والإجتماعية ، مجلة الثقافة ، العدد 83 ن الجزائر سبتمبر ــ أكتوبر 1984 م .
2. بالسايح( بوعلام) : إبن باديس رجل علم وفكر ومصلح ديني ، مجلة الثقافة ، العدد 98 ، الجزائر مارس ــ أفريل 1987 م
3. تركي( رابح ): إبن باديس ونشأة الحركة الإصلاحية ، مجلة الأصالة ، العدد 24 الجزائر ، 1975م 4ــ خير الدين( محمد) ، الميلي( محمد) : مناقشات حول خلافة إبن باديس ، مجلة الثقافة ، العدد 81 الجزائر ، ماي ــ جوان 1984 م .
4. رمضان( محمد الصالح) : جمعية العلماء ودورها العقائدي والإجتماعي والثقافي مجلة الثقافة ، العدد83 ، الجزائر ، سبتمبر ــ أكتوبر 1984 م
5. زوزو( عبد الحميد) : دور الهجرة في الحركة الوطنية الجزائرية ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد 05 ، تونس ، جانفي 1976 م .
6. الزيدي (علي) : الوضع العام بالتعليم الزيتوني حتى إصلاح سنة 1951 م ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد 33 ــ 34 ، تونس ، جوان 1984 م

7. سحنون( أحمد ): تأبين شيخي العظيم الإمام محمد خير الدين ، مجلة الموافقات العدد 03 ، الجزائر ، 1994م .

8. الشنوفي( علي) : حفظ الشعائر وتغيير المناكر دعامة من أهم دعائم حركات التحرير في الجزائر و تونس والمغرب الأقصى ، مجلة الثقافة ، العدد 79 ، الجزائر ، جانفي ــ فيفري 1984 م

9. جريدة الشعب : العدد 6755 ، الجزائر ، 04 جويلية 1985م .

## 4ــ المعــاجــم :

1. إبن منظور : لسان العرب المحيط ، المجلد 02.

2. خير الدين الزركلي : الأعلام ، مج06 ، ط 07 ، دار العلم للملايين ،بيروت، 1986 م .

3. خير الدين الزركلي : الأعلام ، مج 07 ، ط 07 ، دار العلم للملايين ،بيروت 1986م .

## الملاحـــق:

لقد دعّمت البحث بملاحق تثري الموضوع وهي عبارة عن وثائق تتعلق بالشيخ محمد خير الدين من مصادر مختلفة، من الجرائد والمجلات التي كان ينشر فيها مقالاته ، أو من مذكرات بعض معاصريه، تمس تقريبا جل مراحل نشاطه الإصلاحي، انطلاقا من دوره في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ثم مشاركته في الثورة التحريرية المظفرة ، وأخيرا نشاطه بعد الاستقلال .

أما في يخص دوره في جمعية العلماء فقد نشرت بعض الصور ومقالات تتعلق بعضويته في المجلس الإداري الأول لجمعية العلماء ، وصورة أخرى خاصة بمشاركته في اللجنة التنفيذية للمؤتمر الإسلامي عام 1936م ، كما أبرزت دوره في مجال التربية والتعليم بنشر صورة لأحد خطاباته في معهد إبن باديس بمناسبة افتتاح السنة الدراسية ، وأوردت بعض مقالات الشيخ التي لا توجد في مذكراته وهي تمس الجانب الإصلاحي،كما نشرت بعض التقارير العسكرية الفرنسية التي دونت اسم الشيخ خير الدين في تقاريرها والتي لم يسبق نشرها.

وفيما يتعلق بمشاركته في الثورة التحريرية فقد أوردت وثائق تمثلت في إستدعاءات لحضور إجتماعات المجلس الوطني للثورة، وصورة رفقة بعض زعماء الثورة ،وتنقلاته في مختلف معسكرات جيش التحرير بالمغرب،إضافة الى بطاقة تعريف ثورية تسمح للشيخ خير الدين بالتنقل داخل الاراضي المغربية .

وفيما يخص مرحلة الإستقلال فقد نشرت النداء الذي كتبه الى الشعب الجزائري رفقة شخصيات وطنية أخرى كإنتقاد لنظام الرئيس الراحل هواري بومدين،كما نشرت قصيدة مخطوطة ابّن فيها الشيخ أحمد سحنون أستاذه الشيخ محمد خير الدين في 11 ديسمبر 1993م، وقمت كذلك بنشر صورة المسجد الذي بناه في مدينة بسكرة والذي يشبه جامع الزيتونة في شكله لكن بحجم أصغر ، إضافة إلى صورة تخصّ المكتبة التي تزخر بشتى أمّهات الكتب ، وهي هدية قدّمها الشيخ لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة.

**ملحق رقم:**

قصيدة للشيخ محمد خير الدين بعنوان"احتفال مدرسة الإخاء ببسكرة برجوع رئيسها الفاضل الحازم السيد الحاج الحفناوي أدبابش من الأماكن المقدسة"[1].

**حللتـــم بالبـــلاد حلول غيث ** همى فسقي المرابع والبطاحـــا**

**تباشرت المعاون يـــوم قالـــوا ** ركاب الحج قد نزلـــوا صباحا**

**وكبرت _الإخاء_وطالبوهـــا ** غداة جبينك الوضـــاح لاحـــا**

**بعود رئيسهم رفعوا رؤوســا ** فيا لك عودت صحبت نجاحـــا**

**غيابك روع الفقـــراء لكـــن ** إيابك اكسب القلـــب إنشراحا**

**وليس البر منك بأن تجـــازي ** ولا تبغي مـــن المجزى امتداحـــا**

**وفي الحرم الأمين لقد روينـــا ** لجودكـــم أحاديثـــا صحاحـــا**

**وكم في الخير عندك من أيـــاد ** يعلم جودها الايـــدي الشحاحا**

**وكم في السلم عندك من مزايا ** وتبرز في الوغى شاكي السلاحا**

**أبا الايتـــام والكهف المرجـــى** ومولى البر عفـــوا والسماحـــا**

**لقد نشر الحجيج لكم خصالا ** ورياها على الاوطـــان فاحـــا**

**(دبابش)إنّ هذا النشئ نشـــئ ** أناط عليك آمـــــالا فساحـــا**

**فأنت الذائد الـــحامي عرينـــا ** إذا ما الجهل رام لهـــم كفاحـــا**

**فهل بلغت أنـــا قـــد صقلنـــا ** لحمدكم مقاويـــــلا فصاحـــا**

**وأعضاء الجمعيـــــة تراهـــم ** أقاموا الدين والكسب المباحـــا**

**فلم ينسوا من الـــدنيا نصيبـــا ** وقد حازوا من الدين القداحـــا**

**فأحيوا أمـــة كـــانت مواتـــا ** وقادوا بالعلوم لهـــــا فـــلاحـــا**

**وكانوا كلهم إخوان صـــدق ** ولا يشـــرون بالـــجدّ المزاحـــا**

**سبل الرشد قد سلكوا سراعا ** فكان لهم غـــدوا و رواحـــــا**

**ومن يحمـــل لواء العلم فينـــا ** أقام لشكره حقـــا صراحـــــا**

---

[1]أنظر جريدة النجاح ،العدد **1325** ،**1** جويلية **1932**م.

**وكـــان جزاؤه جنّات عـــدن ** فلا حرجا عليـــه ولا جناحـــا**

**ملحق رقم:**

نشرة معلومات رقم : 13 ، الخاصة بالحالة المعنوية لأهالي شمال إفريقيا خلال الفترة التي تمتد من 15 أكتوبر إلى 15 ديسمبر 1936 م،( مصلحة الإتصالات الشمال الإفريقية)، أرشيف ولاية قسنطينة .

**العلماء:**

الجمعية العامة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين عقدت جمعيتها بنادي الترقي الأحد 27 إلى الأربعاء 30 سبتمبر بحضور ألفين ( 2000 ) عضو نشيط وأعطت نتائج إعادة الانتخابات التالي :

الرئيس: عبد الحميد بن باديس .

نائب الرئيس: البشير الابراهيمي.

الكاتب العام : العربي التبسي .

نائب الكاتب: محمد بن منصور .

أمين المال : مبارك الميلي .

نائب أمين الخزينة : أبو اليقظان.

المراقب : محمد خير الدين.

الأعضاء : الطيب العقبي، يحي، حمودي، بلقاسم بن بلوش ، علي أولخيار، عبد القادربن زيان ، نصر الدين.

18 أكتوبر ، محاضرة ألقيت من طرف مجموعة من العلماء بتيزي وزّو ، والحضور قارب 200 من الأهالي .

وخلال هذه المحاضرة لم تناقش إلاّ المسائل الدينية ، ومحاربة المرابطين .

( تقرير الدرك تيزي وزّو، 19 أكتوبر) .

**ملحــق رقــم :**

تقرير شهري:أفريل 1945 م ،( مصلحة الإتصالات الشمال الإفريقية)، أرشيف ولاية قسنطينة.

**العلماء :**

لم يكن للشيخين التبسي وخير الدين نية التقرب من الشيخ العقبي الذي إستمر في مهاجمة تقاليد المرابطين بطريقة مباشرة .

وحاول الشّيخان تكوين رابطة مع شيوخ الطرق الصوفية المهتمين بالسياسة وجلبهم إليهم

من الجانب الديني المحض ، الجمعية إستطاعت بسط تأثيرها ، وإستطاع المعلمين في كل المدارس تحقيق نوع من السلطة .

كانت عملية إحياء ذكرى وفاة الشيخ إبن باديس قد تمت في مختلف المقاطعات بصورة هادئة .

الشيخ الإبراهيمي الذي شرّف بحضوره حفل إفتتاح الجمعية التربوية لقسنطينة وأعطى محاضرة دينية كانت متبوعة كالعادة بجمع التبرّعات وصلت إلى555000 فرنك.

وتمّ بيع صور تذكارية للشيخ إبن باديس من طرف دار تريبولت بشارع مارتيس بقسنطينة ، وقد تعرّض المصور الذي كان يبيع صور إبن باديس إلى إستنطاق من قبل محافظ الشرطة وتمت مصادرة صوره .

**ملحـــق رقــم:**

**الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية**
**وزارة العلاقات العامة والإتصالات**

إلى الشيخ خير الدين .
**الموضوع :إستدعاء إلى المجلس الوطني للثورة الجزائرية.**

أخي العزيز:

باسم المؤتمر الوطني للرؤساء العسكريين للثورة الذي أنهى أعماله أحيطك علما باستدعائكم لحضور الجلسات المقبلة للمجلس الوطني للثورة الجزائرية الذي سينعقد في طرابلس 12 ديسمبر 1959م، وستبدأ أشغال المجلس في التاريخ المحدد على الثامنة صباحا ، سأكون مضطرا للفت نظركم إلى أخذ جميع الاحتياطات للحضور في المكان المحدد بيومين قبل إنعقاد الجلسة والوضع الراهن للثورة الجزائرية وضع صعب، وعامر بالآمال .وهذا ما يجعل إنعقاد المجلس للثورة الجزائرية أمرا ضروريا ، وسوف يؤكد ذلك بطريقة واضحة وصلابة تنظيماتها ومقوماتنا .

**تونس في 11 نوفمبر1959**
**عبد الحفيظ بوالصوف**